روائع
الفنون الإسلامية
في المغرب الأقصى
الدكتور
عبد العزيز صلاح سالم
مركز الكتاب للنشر

روائع الفنون الإسلامية
في
المغرب الأقصى

الدكتور

عبد العزيز صلاح سالم

أستاذ الآثار والفنون الإسلامية المساعد بكلية الآثار جامعة القاهرة

خبير الآثار بمنظمة الإيسيسكو للتربية والعلوم والثقافة

٢٠١٠م

مركز الكتاب للنشر

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية

سالم، عبد العزيز صلاح.

روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى/ عبد العزيز صلاح سالم. -ط١-

القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ٢٠٠٩.

٢٢٤ ص؛ ٢٤سم.

تدمك ٦ ٤٣١ ٢٩٤ ٩٧٧

١- الفن الإسلامي

أ- العنوان

٧٠٤,٩٤٨١

رقم الإيداع: ٤١٨٠

تاريخ ٣/ ٢/ ٢٠٠٩

دار النشر: مركز الكتاب للنشر

عنوان الكتاب: روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى

اسم المؤلف: د. عبد العزيز صلاح سالم

رقم الطبعة: الأولى

تاريخ الطبع: ٢٠٠٩

التصميم الداخلي: ضياء نور الدين

الغلاف: طارق صادق

الإخراج الفني: بغداد للاستشارات الفنية وتحقيق التراث (٠١١٢٥٦٧٥٠١-٠١٠٤٦٧٣٢٢٦)

مركز الكتاب للنشر

شارع الهداية قطعة ١ بلوك ١٨ (برج نور ١) - حي السفارات - مدينة نصر - القاهرة

ت/ ٢٢٧٠٤٠٩٥ - ٢٢٧١٣٠٣٧ فاكس ٢٢٩٠٦٢٥٠ - ٢٦٧٠٦١٥٤

www.bookcp.net E-mail : bookcp@menanet.net

إهداء

إلى تراث البلدين الشقيقين

مصر والمغرب

الزاخرين بروائع الفنون الإسلامية

أهديهما هذا العمل المتواضع حبًّا وتقديرًا واحترامًا



المحتويات

الموضوع | الصفحة

المصادر والمراجع

تقديم

للحضارة الإسلامية خصائص متفردة، منها تنوع المشارب، وتعدد المصادر، وغنى المضامين، وثراء المفاهيم، وجمال الرموز. فما من منطقة من مناطق العالم الإسلامي، إلاّ وتمتاز بإبداعات وفنون وعطاء ثقافي حضاري، تتكامل مع ما تمتاز به مناطق أخرى، وتشكل معها في النهاية، الإطارَ المتكامل للحضارة الإسلامية ذات الأشكال المتنوعة والملامح المتعددة والعطاءات المتدفقة التي أغنت الحضارة الإنسانية عبر العصور.

ويأتي المغرب الأقصى في مقدمة أقطار العالم الإسلامي التي ازدهرت فيها حضارة إسلامية متميّزة انصهرت فيها الحضارات السابقة، وتفاعلت مع الحضارة العربية الإسلامية في المشرق، لتضفي تلك العناصر الممتزجة المندمجة المنسجمة على الحضارة المغربية طابعًا خاصًا، وفر لها مقومات النماء والإبداع والازدهار طوال العصر الوسيط. وكان ذلك هو الأساس الراسخ الذي قامت عليه الفنون الإسلامية في المملكة المغربية. وهو ما يكشف عنه هذا الكتاب الجديد للدكتور عبد العزيز صلاح، ويقدمه للقارئ في إطار دراسة موثقة معتمدة على المصادر المغربية والعربية والأوروبية التي وفق في استقرائها والاستفادة منها، ومزودة بالصور الإيضاحية، وممهدة بمدخل عام يتناول المراحل السياسية والثقافية من تاريخ المغرب الأقصى إبان العصرين الموحدي والمريني، وهما العصران اللذان ازدهرت فيهما الحضارة الإسلامية في المملكة المغربية ازدهارًا كبيرًا.

ولئن كان عنوان الكتاب يحصر المضمونَ في جانب محدد من جوانب الحضارة الإسلامية المغربية، فإنه مع ذلك يخوض باختصار في جوانبَ إبداعية حضارية عامة، خصوصًا في الفصل التمهيدي الذي استعرض فيه المؤلف ما تميزت به هذه البلاد من خصوصيات فنية ومعمارية ثقافية وحضارية. ولذلك فإن المؤلف الذي اختار لكتابه عنوان: «**روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى**»، يقدم للقارئ في قالب أكاديمي صورة إجمالية عن فنون العمارة، وبصورة خاصة فنون الثريات الفائقة الروعة من حيث الشكل والصنعة المعدنية والزخرفة الجمالية، مما يكاد تنفرد به المساجد الكبرى في المملكة المغربية، وفي المقدمة منها جامع القرويين ذو التاريخ العريق في المجد العلمي والعطاء الفكري والثقافي الذي كان له امتداد واسع المدى وصل إلى أقطار أفريقيا الغربية وإلى بلدان شمال أفريقيا جميعًا وإلى الأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط.

إن القيمة العلمية للموضوعات التي يتناولها هذا الكتاب، تكمن في التعريف المركز الوافي بجوانب مشرقة من الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى الذي ورث الحضارة الأندلسية من خلال احتضانه للوفود الكثيرة التي هُجرت من موطنها الأصلي في بلاد الأندلس في مأساة إنسانية تاريخية غير مسبوقة، فكان هذا البلد مأوى كريمًا آمنًا لها، ومحضنًا رحبًا لإبداعاتها في حقول العلم والأدب واللغة والتاريخ والفن والطب والبيطرة والفلك والصناعة والزراعة وشتى مناشط الحياة العامة. وهي ظاهرة لم تتكرر إلاّ نادرًا في مناطق أخرى من العالم الإسلامي، جعلت من المملكة المغربية معرضًا دائمًا لفنون الحضارة الإسلامية، يظهر روائع الإبداع الحضاري في مختلف المجالات، سواء في العمارة، أو في الحرف التقليدية، أو في عشرات الآلاف من المخطوطات التي هي ذخائر معرفية ناطقة بنبوغ أبناء هذا البلد، وبتفوقهم العلمي وتألقهم الثقافي على تعاقب الدهور وتوالي العصور.

ويسعدني أن أقدم هذا الكتاب إلى القارئ الكريم، متمنيًا له أن يقضي ساعات ممتعة مضمخة بعبق الحضارة الإسلامية في هذا الجزء من العالم الإسلامي.

والله أسأل أن يوفقنا لما فيه تجديد الحضارة الإسلامية ومدّ إشعاعها في الآفاق، لنشر قيم الخير والعدل والسلام.

د. عبد العزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية

للتربية والعلوم والثقافة

«إيسيسكو»

شكر وتقدير

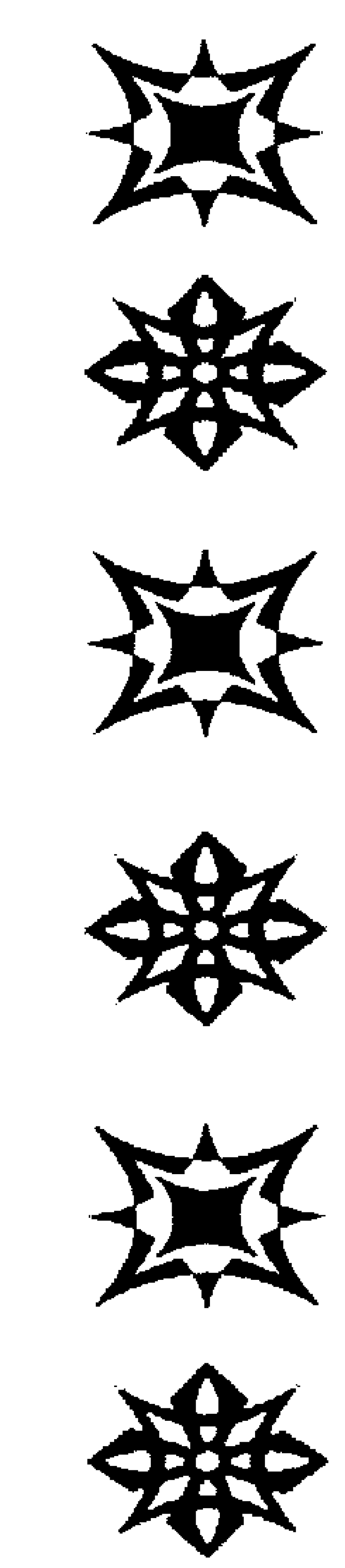
أجد لزاما عليَّ أن يتصدر هذا الكتاب الذي آمُل أن يكون لبنة صغيرة في مجال الدراسات الأثرية المتخصصة في عمارة المغرب الأقصى وفنونه، خاصة وأنني قمت بإعداده بعد مرور أكثر من ستة أعوام قضيتها في المملكة المغربية، تمكنت خلالها من الإلمام بمعالم التراث الحضاري المغربي العريق وفنونه المتنوعة. وأفدت من مكتباته القيمة، بالإضافة إلى الاستفادة من بعض مكتبات الدول الأوربية المجاورة، مما أثرى هذا العمل وأسهم في خروجه بالشكل الذي يليق بمكانة التراث المغربي العريق. وبهذه المناسبة أهدي كلمات الشكر والتقدير والعرفان بالجميل إلى السادة الكرام التالية أسماؤهم:

- أ. د. **عبدالعزيز بن عثمان التويجري**، المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «إيسيسكو».
- أ.د. **عبدالعزيز توري**، أستاذ الآثار الإسلامية بالمعهد الوطني لعلوم الآثار، الكاتب العام «السابق» لوزارة الثقافة المغربية، بالمملكة المغربية.
- أ. د. **أحمد الطاهري**، أستاذ العمارة الإسلامية بالمعهد الوطني لعلوم الآثار بالرباط.
- **الأستاذ محسن الإدريسي**، مفتش المباني التاريخية بمدينة فاس.
- **الأستاذ عزوزي محمد**، مفتش المباني التاريخية بتازة.
- **الأستاذ سمير الراوي**، محافظ متحف الآثار بالرباط.
- **الأستاذ سمير قفص**، رئيس قسم الجرد بمديرية التراث الثقافي بالمملكة المغربية.
- **الأستاذ منتصر لوكيلي**، محافظ مساعد بمتحف البطحاء بفاس.
- المكتبة الوطنية بمدينة الرباط في المملكة المغربية.
- مكتبة المنبع بمدينة الرباط في المملكة المغربية.

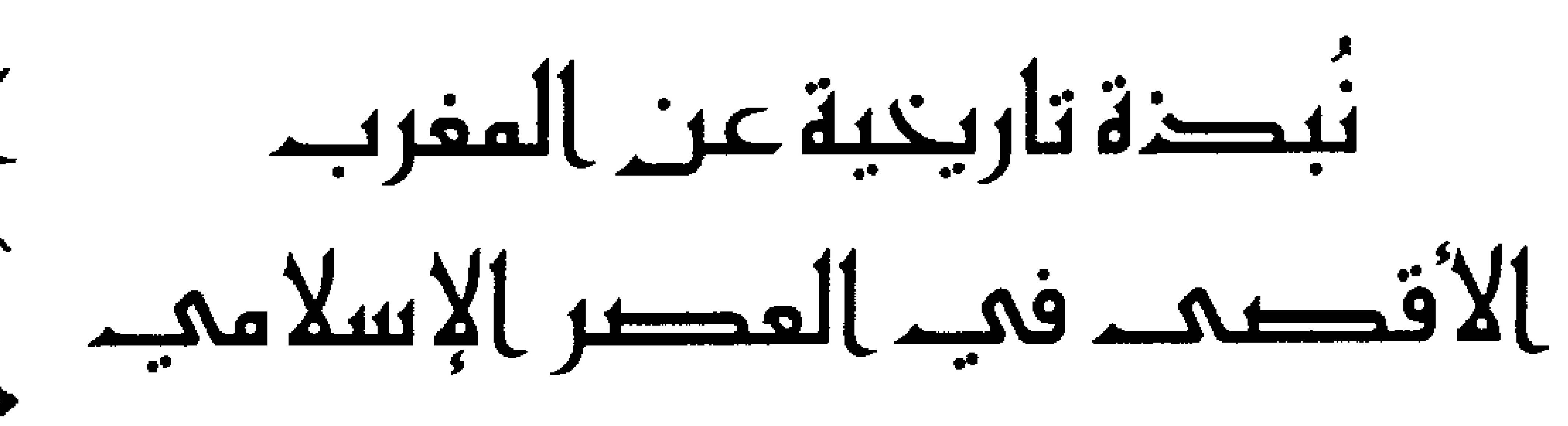
● مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء في المملكة المغربية.

كما أقدم الشكر والتقدير إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة لإخراج هذا الكتاب في هذه الصورة.

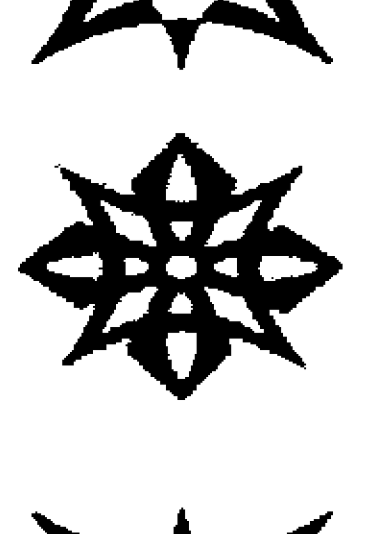
المؤلف

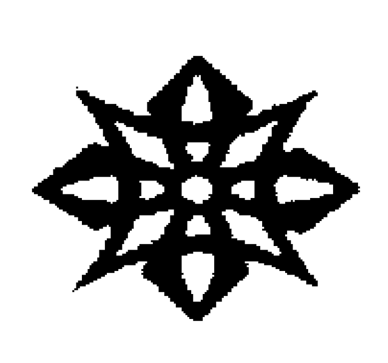
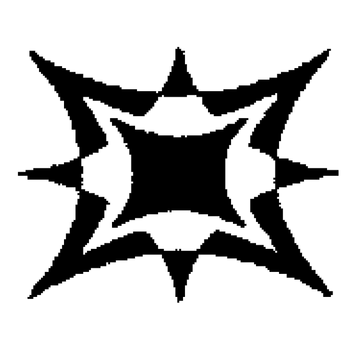
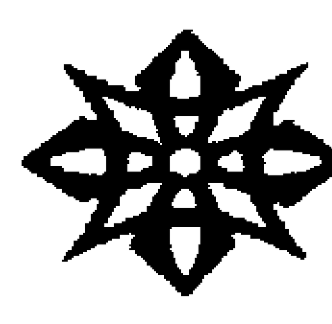


المقدمة



نُبذة تاريخية عن المغرب الأقصى في العصر الإسلامي



يحتل المغرب الأقصى موقعًا استراتيجيًّا ممتازًا بين البلاد الإفريقية، فهو يحرس مدخل البحر الأبيض المتوسط من الغرب، كما تحرسه مصر من الشرق، وقد كان للفتح الإسلامي في المغرب الأقصى آثار عميقة شملت الناحية الاجتماعية والسياسية[(١)].

والثابت تاريخيًّا أن الإسلام دخل المغرب رسميا مع القائد عقبة بن نافع[(٢)] عام ٦٢ للهجرة عندما ولاه يزيد بن معاوية على الشمال الإفريقي الذي كان فُتح من قبل، وهي ولايته الثانية التي بنى فيها مدينة القيروان، وجعلها عاصمة للمغرب الكبير، ومنها زحف إلى المغرب الأقصى، ومضى يحتل مواقعه من طنجة إلى سوس، واستنزل زعماءه على طاعتهوالدخول في دولة الخلافة الإسلامية تبعية وحكمًا. وبعُد أن أنهى عقبة بن نافع فتح المغرب عطف على ساحل البحر المحيط، وفي مدينة آسفي أدخل قوائم فرسه في الماء، وقال: «**اللهم أشهد أني بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت أقاتل في سبيلك حتى لا يعبد في الأرض أحد سواك**»، وبعد عقبة توالى على تدبير شؤون المغرب ولاة متعددون طوال العهد الأموي ثم العهد العباسي[(٣)].

وتعتبر دولة الأدارسة أول دولة إسلامية أسست بالمغرب[(٤)]، وقد اتخذت مدينة فاس عاصمة لها[(٥)]. فيذكر المؤرخون أن هذه المدينة التاريخية قد عرفت في ذلك العهد نزوح

---

(١) راجع: إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ص ٩، ٨٨، ٩٢.

(٢) هو عقبة بن نافع بن عبد القيس القرشي الفهري، وهو آخر من ولي المغرب من الصحابة، وكان عمرو بن العاص وهو أمير على مصر، قد استعمل عقبة على أفريقية، وفي سنة ٥٠ هـ/ ٦٧٠م في عهد معاوية ولاه على أفريقية استقلالاً، وبعث معه عشرة ألاف فارس، فدخل عقبة أفريقية، وشيد مدينة القيروان، وبعث يزيد بن معاوية، عقبة بن نافع واليا على المغرب في عام ٦٢هـ/ ٦٨١م، ولما ارتحل حسان بن النعمان إلى المشرق قدم موسى ابن نصير، وعندما استقرت القواعد لموسى بالمغرب كتب إلى طارق بن زياد وهو بطنجة يأمره بغزو الأندلس فغزاها، وصعد الجبل المنسوب إليه المعروف بجبل طارق يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ٩٢هـ/ ٧١١م. راجع: أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ١، تحقيق، أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المملكة المغربية ٢٠٠١م، ص ٨٩ -١١٩.

(٣) راجع: عبدالله كنون، الإسلام في المغرب، معلمة المغرب، ج ٢، نشر مطابع سلا، المغرب، ١٩٨٩م، ص ٤٣٤.

(٤) تنسب إلى الإمام إدريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، بويع له بمدينة وليلي يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم سنة ١٧٢هـ فبراير ٧٨٩م، ثم خرج برسم غزو من كان من قبائل البربر بالمغرب على دين المجوسية، وفي منتصف رجب خرج برسم غزو تلمسان، ودخلها وأمن أهلها، وبنى مسجد تلمسان، وأتقنه . راجع: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس الرباط ١٩٧٣م، ص ٣٢.

(٥) تأسست دولة الأدارسة في إقليم المغرب الأقصى سنة ١٧٢هـ/٧٨٩م، وذلك بعد أن بايعت قبائل البربر إدريس بن

وهجرة بضعة آلاف من عرب القيروان، حيث عمل أميرها على إسكانهم بالضفة الشرقية من وادي فاس، وسماها عدوة القيروانيين، ولكثرة الاستعمال خُففت فأصبحت القرويين[١] وندرك القيمة التاريخية والأثرية للنقوش القديمة[٢] التي تحمل تاريخ انتهاء العمل في مسجد القرويين، وهو «شهر ذي القعدة من سنة ثلاثة وستين ومائتين» وبذلك تكون أعمال البناء قد استغرقت ثلاث عشرة سنة. وهذه النقوش تحمل سرًا آخر حيث تنصف عاهلًا إدريسيًا مرت عليه كتب التاريخ مرور الكرام بالرغم من أنه ظل المسيطر الحقيقي طيلة الفترة التي عاشتها فاس بعد توزع الأمر بين بني إدريس هذا العاهل هو داود بن إدريس الذي كان عاملا على إقليم تازة من قبل أخيه محمد[٣].

وتعتبر الدولة المرابطية، الدولة الثانية بعد الأدارسة، وقد حكموا المغرب والأندلس حوالي سبعة وثمانين عامًا «٤٥٤ - ٥٤١هـ/ ١٠٦٢ - ١١٤٢م»[٤] ويرجع تسميتهم بالمرابطين إلى النصف الأول من القرن ٥هـ/١١م، وذلك على يد الفقيه عبدالله بن ياسين[٥].

عبدالله العلوي بالإمامة الذي فر ناجياً بنفسه من وقعة فخ قريباً من مكة سنة ١٦٩ هـ، إذ أنَ فشل ثورة الحسين بن علي أمام قوات العباسيين ومقتل العديد من أفراد آل البيت، دفعت إدريس بن عبدالله والذي كان مشتركا في الثورة إلى الاختفاء في موسم الحج ثم الهروب مع مولاه راشد قاصداً مصر ومنها استطاعا الوصول إلى مدينة وليلي بالمغرب الأقصى، وفي مدينة وليلي، اتصل إدريس بزعيم قبيلة أوربة، وكان إيذاناً بمولد دولة علوية على أرض المغرب الأقصى سنة ١٧٢ هـ. راجع: حسن علي حسن، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الشباب، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٦٣.

(١) راجع: ابن أبي زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس ، ص ٣٤-٣٨.

(٢) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج ١، ط ١، الرباط، ١٩٩٢م، ص ٢٦٧.

(٣) راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين، فصلة من مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ١٤، ١٩٦٠، ص٦٢.

(٤) عرفت هذه الدولة بأسماء أخرى كدولة الملثمين نسبة إلى اللثام الذي اشتهر بوضعه على وجوههم منذ أن كانوا مجرد قبائل رحل ينتقلون في الصحراء الكبرى جنوب المغرب الأقصى، كما عرفوا أيضًا بالدولة اللمتونية نسبة إلى قبيلة لمتونة أكبر قبائل صنهاجة وأقواهم شوكة وهي التي أقامت الدولة وانتسب إليها جميع ملوكها. راجع: رشيد السلامي، المرابطون، معلمة المغرب، ج٢١، ص ٧٠٦٥ - ٧٠٦٦.

(٥) كان نجاح عبدالله بن ياسين في إثارة حركة دينية إصلاحية واسعة النطاق في المغرب، ثم تمهيده الطريق لقيام دولة صنهاجية استطاعت أن تخلص الصنهاجيين من استبداد الزناتيين، حافزا لفقيه مغربي آخر من إحدى قبائل مصمودة على محاولة القيام بدعوة مماثلة لصالح القبائل المصمودية، وهي الكتلة الكبرى من البرانس، ومواطنها في المغرب الأقصى كله. راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج ٢، ج٢، دولة المرابطين والموحدين والحفصيين، العصر الحديث للنشر

وتعتبر البداية الحقيقية لدولة المرابطين في سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م، بتنازل أبي بكر بن عمر اللمتوني[١] بأغمات لابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني[٢] وفي نفس العام بني يوسف بن تاشفين مدينة مراكش، واتخذها عاصمة للمرابطين[٣]، ولقب نفسه بأمير المؤمنين وناصر الدين، وقضى يوسف بن تاشفين أكثر من نصف قرن في الجهاد وتدعيم أركان دولة المرابطين، وعندما توفي في سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، ترك البلاد لولي عهده علي بن يوسف الذي نهج سيرة أبيه، ولكن ابتداء من سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م، أخذت أمور البلاد تختل وكثرت المشاكل، واستبد الأمراء والفقهاء، والقضاة بالأندلس[٤].

ويمكن القول بأن مدينة فاس ازدهرت، وكثر العمران بعدوة القرويين في عصر المرابطين حتى ازدحمت المدينة[٥]، واكتظت بسكانها، وضاق جامع القرويين بالمصلين حتى كان الناس يصلون في الأسواق والشوارع والطرق المحيطة بالجامع أيام الجمع، وكانوا يلاقون متاعب كثيرة لتعرضهم لحرارة الشمس أيام الصيف، فاجتمع الفقهاء والأشياخ، وخاطبوا قاضي القضاة في هذا الأمر، فاستأذن القاضي أبو محمد بن عبدالحق بن عبدالله بن معيشة الغرناطي أمير المسلمين علي بن يوسف في إجراء زيادة بالمسجد، فأذن له بالشروع فيها في سنة ٥٢٨هـ/١١٣٢م[٦]. وأذن له وشرع في شراء الأملاك التي كانت بقبلي الجامع فهدمت وبيع ما لا يحتاج من نقضه وأخذ في بناء الزيادة ثلاث بلاطات عرضية، أضيفت إلى السبع القديمة، فكملت به عشر بلاطات من صحنه وغشيت الأبواب بصفائح النحاس الأصفر

والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٦٣.

(١) بعد وفاة ابن ياسين عين مكانه سليمان بن حدو للقيام بالدعوة الدينية، بينما استمر أبو بكر بن عمر منذ سنة ٤٤٧هـ، يدير دفة الشؤون السياسية والحربية، على أن سليمان بن حدو توفي في سنة ٤٥١هـ، فلم يعين له خلف في الشؤون الدينية التي أضيفت إلى مهام ابي بكر بن عمر، وكان الأمير ابو بكر رجلاً صالحاً متورعاً، وجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللتموني. راجع: ابن أبي زرع: روض القرطاس ، ص ١٦٢، إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج١، ص ١٦٠.

(٢) هو أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقوت، وكنيته أبو يعقوب. راجع: ابن أبي زرع: روض القرطاس ، ص ١٧٢.

(٣) قيل في بعض الكتابات في سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م. راجع: رشيد السلامي، المرابطون، معلمة المغرب، ج٢١، ص ٧٠٦٥، ٧٠٦٦.

(٤) راجع: رشيد السلامي، المرابطون، معلمة المغرب، ج٢١، ص ٧٠٦٥، ٧٠٦٦.

(٥) راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال، مجلة اللسان العربي، العدد ١، ١٩٧٢، ص ٢٤٢ ٢٤٥.

(٦) راجع: السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص ٦٧٢.

بالعمل المحكم وأمر بعمل المنبر، ثم بدأ العمل في بناء مقدم القبلة حيث يدخل إلى مصلى الجنائز، وأعيد بناء الباب الغربي الكبير المعروف بباب الفخارين، فسمي بباب الشماعين. وأقيم على الباب قبة بداخلها نقش ذكر ابن أبي زرع نصه كالتالي: «**صنع هذه الباب والقبة وكلف بالبناء والتركيب في شهر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة**» وكان الفراغ من هذه الزيادات سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[١].

وقد عرف العهد المرابطي نزوح كثير من العلماء وطلبة العلم إلى مدينة فاس بعد أن ذاع أمر القرويين بها واشتهرت فاس عاصمة علمية تُشَد إليها الرحال لطلب العلم من داخل المغرب وخارجه. ويمكن القول بأن القرويين قد انتقلت ابتداء من العصر المرابطي من مرحلة الجامع إلى مرحلة البداية الجامعية لأن المرحلة الجامعية المكتملة حسب النصوص المتوفرة لم تتضح بصورة كاملة سوى في العصر المريني عندما عُزِّز جامع القرويين بمجموعة من المدارس والكراسي العلمية والخزانات، فأصبحت فاس بذلك قبلة أنظار الملوك والأمراء ومهبط السفراء والكتاب ومحط كبار العلماء والأدباء ومأوى أرباب النبوغ من أهلها ومن الآفاق[٢].

وظهرت دولة الموحدين بالمغرب في أواسط القرن السادس الهجري، واستمرت إلى أوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجري، وقد امتد نفوذها على المغرب الإسلامي بكامله من المحيط غربًا إلى خليج سرت شرقًا، ومن أعماق الصحراء جنوبًا إلى أواسط شبه الجزيرة الإيبيرية شمالًا، فكانت أعظم وأوسع دولة في تاريخ الغرب الإسلامي. ويرجع أصل التسمية بالموحدين إلى المهدي بن تومرت[٣] مؤسس الحركة الذي اعتبر أتباعه الموحدين الحقيقيين لله، غير أن المهدي توفي سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠م، قبل قيام دولة الموحدين، بعد هزيمة أتباعه

---

(١) زاد المرابطون ثلاثة أساكيب خلف حائط القبلة القديم وأصبح تخطيطه النهائي مشتملا على عشرة أساكيب واحدى وعشرين بلاطا، ومن زيادات المرابطين بناء الباب الغربي الكبير الذي بسماط الموثقين بني من مال الأحباس في أيام القاضي محمد بن عيسى السبتي سنة ٥٠٥ هـ وكذلك باب الشماعين أيام القاضي محمد بن داود سنة ٥١٨هـ حسبما كتب في قبة الجص التي بداخلها وهو الذي زاد في الصحن بناء البلاطين من الجهة الشرقية ومن الجهة الغربية كذلك. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ١، ص ٢٧٣.

(٢) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، مج ١، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢، ص ٨٠.

(٣) محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدي، أصله من هرغة من بطون المصامدة، ولد سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م. راجع: أبي بكر بن علي الصنهاجي المُكنا بالبيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ٢٠٠٤م، ص ١٦ ٦٣.، ابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، وهو القسم الأخر من التاريخ الكبير المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ج١، راجعه وصححه، البارون دسلان، طبع في دار طباعة الدولة في المغرب، ص ٢٧٤.

في معركة البحيرة خارج مراكش أمام المرابطين، فتزعم الحركة تلميذه وصاحبه عبد المؤمن بن علي الكومي الزناتي[١] الذي اتبع خطة عسكرية جديدة تقتضي مطاولة الحرب مع المرابطين، وإبعادهم عن مركز الدولة[٢].

وقد امتدت المرحلة الأولى من سنة ٥٤١ هـ إلى سنة ٦١٠ هـ، تولى خلالها الحكم أربعة خلفاء، هم: عبد المؤمن، وابنه يوسف، ثم يعقوب المنصور بن يوسف ثم الناصر بن المنصور. وقد تسمى عبد المؤمن بالخليفة وأمير المؤمنين ليقطع بذلك أي ارتباط بالخلافة العباسية، على عكس ما كان عليه الحال أيام المرابطين. لكنه بعد فتح مراكش انشغل بالثورات التي عمت معظم المغرب الأقصى، ولقد قضى عبد المؤمن كسائر مؤسسي الدولة معظم فترة حكمه في العمل العسكري، ولكنه أعطى أهمية أيضًا لوضع بعض التنظيمات الضرورية ليستمر عليها خلفاؤه من بعده فقد حول نظام الحكم الشورى الذي وصل بفضله إلى الإمارة، إلى نظام وراثي بتعيين أكبر أبنائه وليا للعهد، وأنشأ مدرسة بمراكش لتكوين أطر الدولة من الولاة والعمال وكان منهم أبناؤه فوزعهم على الولايات. كما أعاد تنظيم البريد الرسمي بشكل يجعل انتقال المراسلات والأخبار تتم بسرعة بين العاصمة والولايات، وسعيا منه في تخفيف ضغط القبائل الغربية على الجناح الشرقي للدولة والاستفادة من طاقتها القتالية في الأندلس.

بدأ برنامج إدماج هذه القبائل في الإطار العسكري، وهو ما سيظهر بوضوح في عهدي ابنه وحفيده. كما وضع الأساس المالي للدولة بفرض الخراج على القبائل والمدن التي خضعت لنفوذه عنوة. وورث أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[٣] «٥٥٨ـ ٥٨٠ هـ/ ١١٦٣ -١١٨٤م»، عن أبيه مملكة واسعة الأطراف مستقرة الأحوال عمومًا رغم ما شابها في أول

(١) عبد المؤمن بن علي بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر .. بن عدنان، كانت بيعته يوم الخميس الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وهي البيعة الخاصة، بايعه العشرة أصحاب المهدي، وبويع بيعته العامة يوم الجمعة الموفي عشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمائة، بعد وفاة المهدي بسنتين بعد صلاة الجمعة. راجع: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص٢٣٥،٢٣٩.

(٢) راجع: أحمد عزاوي، الموحدون، معلمة المغرب، مطابع سلا، ٢٠٠٥م، ص ٧٣٠٤، ٧٣٠٥.

(٣) هو أمير المؤمنين يوسف بن الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، ولد يوم الخميس من شهر رجب من سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وبويع يوسف بعد وفاة أبيه، في يوم الأربعاء الحادي عشر لجمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وتوفي شهيدا في غزاة شنترين من بلاد غرب الأندلس يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة، وهو ابن سبع وأربعين سنة، وكانت أيامه في الملك إحدى وعشرين سنة وأشهراً وأياماً ودفن في تينمل إلى جانب قبر أبيه.راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس ، ص٢٦٩، ٢٧٣.

عهده من منافسة بعض الإخوة على السلطة، وبعض الثورات خاصة في جبال غمارة، وقد تمكن من الانتقال إلى الأندلس وإنهاء إمارة ابن مردنيش في الشرق المتحالف مع الإسبان، واسترد جملة من الحصون والمدن التي سقطت في يد البرتغاليين، واستغل وجوده في اشبيلية بين سنتي ٥٦٧ - ٥٧١هـ ليقوم بإنجازات عمرانية متنوعة ويقيم مجالس علمية كان يحضرها بعض أقطاب العلم في دولته، غير أنه من ناحية التخطيط العسكري كان أقل نجاحًا من أبيه، فكان هذا أهم أسباب فشله في حصار مدينة شنترين سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م، والذي كان سببًا في وفاته جريحًا[١].

وتعتبر السنوات الخمس عشرة التي حكمها أبو يوسف يعقوب المنصور[٢] ثالث خلفاء الموحدين العصر الذهبي للدولة الموحدية[٣]، حيث شرع الخليفة المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي في سك نقد جديد يتجاوز في قيمته ما عرف سابقًا بالمغرب، وذلك لإبراز عظمة دولته بعد قيامه بعدة مشاريع عمرانية[٤]، وفي نفس العام الزاخر بمشاريع الإصلاح والإنشاء ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، اتخذ الخليفة خطوة في ميدان الإصلاح المالي، وذلك هو إقدامه على مضاعفة وزن الدينار الموحدي، وأخرجت دار السكة الموحدية بمدينة فاس، الدينار الجديد بوزن أربعة جرام وسبعين في المائة من الجرام، فكان لذلك الإجراء أثر بالغ في بث الطمأنينة المالية واستقرار التعامل بين الناس[٥].

كما يعتبر الخليفة الثالث يعقوب المنصور بن يوسف أشهر خلفاء الدولة الموحدية نظرًا لأعماله الاجتماعية المتنوعة ولانتصاره الكبير على القشتاليين في معركة الأرك سنة ٥٩١هـ/

---

(١) راجع: أحمد عزاوي، الموحدون، معلمة الغرب، ص ٧٣٠٤، ٧٣٠٥.

(٢) المنصور بالله يعقوب بن يوسف: هو أمير المؤمنين، عبدالله، يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، ولقبه المنصور بفضل الله، وكنيته أبو يوسف، بويع يوم الأحد التاسع عشر لربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسمائة في بيعة خاصة، وتأخرت بيعة العامة بسبب كتم الوفاة إلى يوم السبت الثاني من جمادي الأولى من نفس السنة بويع البيعة العامة، وتوفي يوم الخميس الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ودفن في تينمل. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس ، ص٢٨٥.

(٣) راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج٢، ج ٢، ص ١١٠.

(٤) مثل جسر أشبيلية الموصل إلى ربضها القبلي، وقصور البحيرة الواقعة خارج باب جهور بإشبيلية والقصور المقامة خارج باب الكحل بها ونقل الماء على قنوات تحملها قناطر ذات حنايا من قلعة جابر إلى باب قرمونة بإشبيلية، وتخطيط بناء رباط الفتح وإقامة العديد من العمائر الدينية والمدنية بالأندلس، وكذلك بناء القصبة الكبرى، ومنارة الكتبيين بمراكش، وجامع حسان برباط الفتح، وإتمام بناء المسجد الأعظم بإشبيلية، وغيرها من المشاريع الحضارية. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج٣، ص ١٠٩.

(٥) راجع: محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ١٤٣، ١٤٤.

١١٩٥م، فرغم ظهور حركة بن غانية في إفريقية انطلاقًا من جزر شرق الأندلس التي كانوا لايزالون معتصمين بها، فإن المنصور تمكن من تجميد هذه الحركة لينشغل بالأندلس ويفرض على القشتاليين هزيمة ساحقة مكنت من إحداث توازن بين الطرفين، وبالتالي هدنة استمرت حوالي ١٥ سنة لم يتجرأ النصارى على خرقها إلا عندما تغيرت الظروف لصالحهم، وكانت أهمية القوة البحرية الموحدية في عهده عاملًا في استنجاد الأيوبيين بأسطوله ضد الأساطيل الصليبية. أما الجانب الآخر الذي اشتهر به المنصور فهو الأعمال الاجتماعية والدينية وما ارتبط بها من أعمال عمرانية واهتمام بالعلم والعلماء ورجال التصوف[١]. والمعروف أن الخليفة المنصور استغل عودته ظافرًا من بعض غزواته بالأندلس، فعين ابنه أمير المؤمنين أبا عبدالله محمد خلفًا له من بعده، وذلك سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩٢-٩١م[٢]، وتعتبر هذه البيعة هي محاولة من الخليفة المنصور لقطع الطريق أمام الطامعين في السلطة من ذوي القرابة، تفاديًا لظهور أية معارضة أو قيام صراعات حول منصب الخلافة. ولذلك لما توفى الخليفة في العشر الأخير من ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م، وبويع ابنه أبو عبد الله محمد بن يعقوب ابن يوسف بن عبد المؤمن بيعة العامة بعد أسبوع من وفاة أبيه، كانت خلافته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية عشر يومًا، أولها يوم الجمعة الثالث والعشرون لربيع الأول من سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وآخرهما يوم الثلاثاء العاشر لشعبان سنة عشرة وستمائة[٣].

أما المرحلة الثانية من تاريخ الموحدين، أو مرحلة التراجع، فيمكن التمييز فيها بين فترتين، فترة أولى شهدت استبداد الوزراء على الخلفاء بالتعيين أو العزل أو القتل بدأت بتعيين المستنصر[٤] بن الناصر سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، وانتهت بتولي المأمون[٥] بن المنصور

(١) راجع: أحمد عزاوي، الموحدون معلمة المغرب ص ٧٣٠٤، ٧٣٠٥.

(٢) تؤكد ذلك قطعة فضية مربعة الشكل ضربت على عهد الخليفة المنصور، تحمل اسم ولي العهد، وكتب على وجهها: «ومابكم من نعمة/ فمن الله / حسبي الله / وحده»، وكتب على ظهرها: «ولي العهد الأمير ابو عبد/ الله بن الامرا» . راجع: عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، وابنه أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف، محفوظة في متحف الرباط، بالمملكة المغربية، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، ع ١١، ٢٠٠٧م. ص ١٢٧، ١٦٢ .

(٣) راجع: ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ط١، ١٩٨٥م، ص ٢٣٦.

(٤) هو أمير المؤمنين يوسف بن محمد الناصر، ابن يعقوب المنصور، ابن يوسف الشهيد ابن عبدالمؤمن بن علي، لقبه المنتصر بالله، وكنيته أبو يعقوب. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٣١٧.

(٥) الخليفة أبو العلي إدريس المأمون: هو أمير المؤمنين إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن ابن علي، كنيته أبو العلاء، ولقبه المأمون. ابن أبي زرع، روض القرطاس ، ص٣٢٧.

زمام الحكم خاصة بعد دخوله مراكش أواخر سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م، أو أوائل السنة اللاحقة.

وقد ضعفت خلالها السلطة المركزية وانتشر قطاع الطرق وزحفت القبائل بني مرين نحو بوادي مدينة فاس، وفترة ثانية دشنها المأمون بمحاولة ترميم السلطة المركزية بالقضاء على كبار الأشياخ المصامدة المتلاعبين بالخلفاء، وبإلغاء المذهب التومرتي الذي يعتزون به، فكانت النتيجة عكسية، حيث بدأت الانفصالات في أنحاء الدولة من الأندلس إلى تلمسان إلى سبتة وإلى جنوب مصمودة، مما جعل ابنه الرشيد[١] يحاول التصالح مع المصامدة، ويعود إلى تبني المذهب التومرتي، فحصل نوع من الهدوء النسبي سرعان ما انتهى بعجز خلفه وأخيه السعيد[٢] عن علاج الوضع ووفاته سنة ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٩م. ففي هذه السنة أنشأ بنو مرين إمارتهم بفاس، وأخذوا يزحفون تدريجيًا نحو مراكش إلى أن فتحوها أول سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م، وانتهت بذلك أعظم دولة مغربية في العصر الوسيط[٣].

وبدأت بعدها الدولة المرينية المنسوبة إلى بني مرين إحدى أهم قبائل زناتة، وتعتبر الدولة المرينية واحدة من أهم دول الغرب الإسلامي في العصر الوسيط. وهي رابع دولة حكمت المغرب الأقصى بعد الأدارسة والمرابطين والموحدين، وأطولهم مدة إذ استمرت من منتصف القرن السابع الهجري إلى منتصف القرن التاسع الهجري[٤].

ويذكر الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، أن السبب في دخول بني مرين أرض المغرب الأقصى، أنه لما كانت وقعة العقاب[٥] بالأندلس سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م، وهزم الناصر وهلك الجمهور من حامية المغرب، ثم حدث بعد ذلك الوباء العظيم وهلك

---

(١) أبو محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون ٦٣٠ -٦٤٠هـ / ١٢٣٢ -١٢٤٢م)

(٢) هو أمير المؤمنين علي بن إدريس المأمون بن يعقوب المنصور بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، وكنيته أبو الحسن، ولقبه السعيد، وسمي بالمعتصم بالله. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس ، ص ٣٣٦.

(٣) راجع: أحمد عزاوي، الموحدون، معلمة المغرب، ص ٧٣٠٤ - ٧٣٠٥.

(٤) راجع: رشيد السلامي، المرينيون، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ٢٠٠٥م، ص٧١٠٢.

(٥) خرج أمير المؤمنين من مدينة جيان، فالتقى هو والأدفنش بموضع يعرف بالعقاب، بالقرب من حصن يدعى حصن سلم، فعبأ الأدفنش جيوشه ورتب أصحابه، ودهم المسلمين وهم على غير اهبة فانهزموا، وقتل من الموحدين خلق كثير، وكانت الهزيمة الكبرى على المسلمين، يوم الاثنين منتصف صفر الكائن في سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م. راجع: أبو محمد عبدالواحد بن علي المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، شرح، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٢٣٥، ٢٣٦.

الناصر سنة عشر بعدها ٦١٠هـ/ ١٢١٣م[١]، وبايع الموحدون ابنه يوسف المنتصر وهو يومئذ صبي حدث لا يحسن التدبير، وشغلته مع ذلك أحوال الصبا ولذات الملك عن القيام بأمر الرعية، فتضافرت هذه الأسباب على الدولة الموحدية[٢].

ويعتبر الزعيم المريني أبو محمد عبدالحق[٣] بن محيو الذي تقلد رئاسة القبائل المرينية، بعد استشهاد والده، فهو أول من قاد المرينيين إلى دخول بلاد المغرب الأقصى، ولم يفكر المرينيون في الدخول إلى بلاد المغرب الأقصى والاستقرار فيها بصفة نهائية إلا في سنة ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م في أعقاب الهزيمة الكبرى التي لحقت بالموحدين في بلاد الأندلس في معركة العقاب، حيث تولى الأمير عبدالحق بن محيو المريني بنفسه عملية الإشراف على تقدم المرينيين من إفريقية والمغرب الأوسط ودخولهم إلى بلاد المغرب الأقصى.

وبدأ المرينيون في أعقاب دخولهم إلى المغرب الأقصى حركة انتشار واسعة، وقد بدأ المرينيون حياتهم السياسية بصراع طويل ومرير مع الموحدين استمر ثمانية وخمسين عامًا. وقد ظل المرينيون طيلة ثلاث سنوات متصلة حتى سنة ٦١٣ هـ/ ١٢١٦م، يوسعون رقعة نفوذهم في المغرب الأقصى، ولم يؤثر مقتل الأمير عبدالحق وولده إدريس في سلامة الجبهة المرينية، فقد تولى أمر بني مرين أبو سعيد عثمان بن عبدالحق[٤] سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م، وهو الذي أنهى الحرب الدائرة بين المرينيين وعرب رياح لصالح بني مرين، وأصبح المرينيون قوة يهابها الموحدون. وما أن حلت سنة ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م حتى قوي شأن المرينيين بالمغرب وخضعت لهم جميع قبائل المغرب، وتملكوا جميع بوادي المغرب من وادي ملوية إلى رباط الفتح[٥].

ولم يتوفر المرينيون على القوة والنظام اللذين كانا لدى الموحدين، وهذا من الأسباب

---

(١) توفي الملك الناصر يوم الأربعاء لعشر خلون من شهر شعبان سنة ٦١٠هـ/١٢١٢م، ودفن يوم الخميس. راجع: المراكشي، المعجب، ص ٢٣٦.

(٢) راجع: أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٤، تحقيق، أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المملكة المغربية، ٢٠٠١، ص ١٣.

(٣) هو الأمير أبو محمد عبدالحق ابن الأمير أبو خالد محيو ابن الأمير أبو بكر بن حمامة بن محمد بن وزير، بن فجوس، بن جرماط، بن مرين، فهو أمير بن أمير ابن أمير، إلى جده أمير. راجع: علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢، ص ٣٠.

(٤) هو الأمير أبو سعيد عثمان بن عبدالحق بن محيو بن أبي بكر بن حمامة بن محمد بن وزير بن فجوس بن جرماط بن مرين الزناتي المريني. راجع: أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ٣٥

(٥) راجع: محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص ١٠-١٢.

التي جعلت بني مرين لا يستطيعون استعادة المملكة الموحدية بشمال إفريقيا والأندلس، وإنما توزعت هذه الأمبراطورية بين الحفصيين بتونس، وبني عبدالواد بالجزائر. وفي ثاني محرم ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، استولى يعقوب بن عبدالحق[١] على مدينة مراكش حيث انقرضت الدولة الموحدية، وبعد هذا أخذ يعقوب يتلقب بأمير المسلمين بدل لقب «**الأمير**» الذي كان يدعى به، ثم تابع يعقوب الاستيلاء على ما تبقى من الجهات خارجًا عن نفوذه إلى أن اتسق له سائر المغرب الأقصى[٢].

ويعتبر السلطان أبو يعقوب يوسف «٦٨٥ ٧٠٨ هـ/ ١٢٨٦ ١٣٠٨م» أول من هذب ملك بني مرين، وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك، وقد حرص على الاهتمام بشعبه منذ اللحظة الأولى، وكان أهم أهدافه تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع المريني، وأجرى أبو يعقوب تقليدًا جديدًا يتفق ومظاهر الأبهة والعظمة التي بدأت تظهر في البلاط المريني، فما أن تمت له البيعة حتى فرق الأموال على جميع قبائل مرين والعرب والأندلس وسائر الجند، وأحسن إلى الفقهاء والصلحاء، وأطلق سراح المسجونين في جميع البلاد. ورأى أبو الربيع سليمان «٧٠٨ –٧١٠هـ/ ١٣٠٨ –١٣١٠م»، أن ينتقل من طنجة إلى فاس، وقد ظهرت آثار الجهود التي بذلها السلطان أبو الربيع سليمان، وأسلافه السابقون في مجال توطيد الدولة المرينية، واضحة جلية في عهده، فوصلت الدولة إلى حالة عظيمة من النضج والازدهار والتقدم. وقد جرت سياسة بني مرين، منذ تولي أبو الحسن مقاليد الأمور في الدولة المرينية سنة ٧٣١هـ /١٣٣١م، على التوسع في بلاد المغرب الأوسط، وأفريقية. وقد أمضى المرينيون قرابة الثلاثين عامًا في تنفيذ هذه السياسة التي استغرقت عهد اثنين من عظماء سلاطين بني مرين، وهما السلطان أبو الحسن علي بن عثمان، وأبو عنان فارس بن أبي الحسن[٣].

ويمكن تقسيم تاريخ الدولة المرينية إلى ثلاث مراحل كبرى، هي:

المرحلة الأولى: تبدأ بقيام الحكم المريني مع السلطان يعقوب بن عبدالحق سنة

---

(١) هو أمير المسلمين، وناصر الدين، عبدالله، يعقوب ابن الأمير عبدالحق بن محيو، أمه حرة زاكية مباركة أم اليمن بنت محلي البطوئي الزناتي، كان مولده في سنة تسع وستمائة، ولقبه القائم بالحق والمنصور راجع: ابي زرع، الذخيرة السنية، ص ٨٥- ١١١.

(٢) راجع: محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، رقم ٢٠، الرباط، ١٩٩٦م، ص ١٤، ١٥.

(٣) راجع: محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص ٨١-٩٩.

٦٦٨هـ/١٢٦٩م، وتنتهي بنهاية عهد السلطان أبي الربيع سليمان سنة ٧١٠هـ/ ١٣١١م.

المرحلة الثانية: تبدأ بعهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب سنة ٧١٠ هـ / ١٣١١م، وتنتهي بنهاية عهد السلطان أبي عنان فارس بن أبي الحسن سنة ٧٥٩هـ/ ١٣٥٨م.

المرحلة الثالثة: تبدأ بعهد السلطان أبي زيان محمد بن أبي عنان سنة ٧٥٩/ ١٣٥٨م، وتنتهي بنهاية دولة بني مرين سنة ٨٦٩هـ/١٤٦٥م[1].

وفي نهاية الدولة المرينية، وبينما كان الأمراء يتعاقبون على الحكم، كان أبو زكريا بن يحيي بن أبي زيان الوطاسي، يتولى مدينة سلا ونواحيها، وكان يترقب تطور الأحوال في فاس منتظرًا فرصة يستطيع التدخل بها في شؤون هذه الدولة المتهاوية. وكان بنو وطاس مستقرين غربي وادي ملوية في البسائط التي تنتهي إلى فاس ومكناس على الحوض الأعلى لنهر سبو ونهيراته. وكانت مذبحة القصر التي هلك فيها أبو عثمان سعيد قد تركت غلامًا من أبنائه عمره سنة. وهنا تصدى أبو زكريا يحيي بن زيان الوطاسي، وكان يتولى أعمال سلا، ونصب نفسه بقوة وصيًا على الغلام وقائمًا بالأمر، وجمع زمام الأمور في يده، وأصبح هو السلطة الفعلية في دولة بني مرين.

واختار لمعاونته أبا الحسن علي بن أبي الحجاج يوسف بن منصور زيان الوطاسي ليكون سندًا له في الحكم ووريثًا في المستقبل، وانتقل الحكم إلى الحجاب. ومن يوم أن تولى أبو زكريا يحيي الوطاسي الحجابة والوصاية ولمدة ثلاثين سنة «٨٣٠ -٨٤٢هـ/ ١٤٢٨- ١٤٥٨م»، أثبت الوطاسيون أنهم أحق بالملك من بني مرين. ومن بعده أبو زكريا يحيي بن يحيي بن عمر ابن زيان الوطاسي سنة ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م، وبدخول محمد الشيخ بن أبي زكريا محمد فاس وإعادة الحكم الوطاسي فيها في رمضان سنة ٨٧٦هـ/ فبراير ١٤٧٢م، ظل يحكم حتى سنة ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م، ولم يكن له هم طوال هذه المدة إلا المحافظة على سلطانه الذي اقتصر على فاس وما حولها[2].

وظهر بعد الوطاسيين الشرفاء السعديون، وتؤكد الكتابات التاريخية بأن كلمة السعديين، نسبة لم تكن معروفة لهم في القديم، فلم تظهر في ظهائرهم ولا في سجلاتهم وصدور رسائلهم، ويقال إنهم من بني سعد بن بكر، وربما سموا بذلك لأن الناس سعدوا بهم. وهم أسرة شريفة حكمت المغرب خمسين ومائة عام «٩١٥ـ ١٠٦٩هـ/١٥٠٩-١٦٥٨م».

---

(١) راجع: رشيد السلامي، المرينيون، معلمة المغرب، ص٧١٠٣ - ٧١٠٤.

(٢) راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج ٢، ج٢، .ص ٩١،٧٧.

وتعد الدولة المغربية السادسة بعد الأدارسة والمرابطين والموحدين والمرينين والوطاسين. وكانوا أيام ملكهم يدعون بالشرفاء الزيدانيين الحسنيين، نسبة لجدهم زيدان بن أحمد بن قاسم الذي أتى به الدرعيون من ينبع بالجزيرة العربية في أواخر القرن السابع الهجري «١٣م»، كما أتى أهل سجلماسة من بعده بأخيه الحسن الداخل جد الشرفاء العلويين لتصلح ثمارهم وتسلم من العاهات. ولم تطرح قضية نسب السعديين إلا في أواخر دولتهم لما ضعفوا وخرج عليهم العلويون، وغيرهم في مناطق متعددة[١].

وكان لانتصار أبي العباس الأعرج على البرتغاليين في بلاد السوس صدى بعيد في بلاد المغرب كلها، فانتشر صيته وأقبل الناس عليه من كل ناحية، ودخلت في طاعته كل بلاد السوس، واستجابة لهم دخل مراكش في حدود عام «٩٣٠ هـ/ ١٥٢٤م/»[٢]، ولقد كان من بين أبناء السلطان أبي عبد الله الشيخ ثلاثة ارتقوا أمر الخلافة من بعده، وهم: أبو محمد عبد الله الغالب بالله، أبو مروان عبد الملك، وأبو العباس أحمد المنصور.

وقد تولى أبو محمد عبد الله الغالب بالله السلطة بعد مقتل أبيه وتمت له البيعة سنة ٩٦٥هـ وتوفي سنة ٩٨١هـ وبويع بعده ولد المتوكل الذي انتظم له سنة ٩٨٣هـ عندما هاجمه عمه عبد الملك بن الشيخ وبدد ملكه، وكانت تلك الأحداث مقدمات الغزوة الكبرى الشهيرة بوادي المخازن سنة ٩٨٦هـ التي هلك فيها غرقًا بوادي المخازن «**قرب مدينة القصر الكبير شمال المغرب**» محمد بن عبد الله المخلوع والعاهل البرتغالي دون سبستيان بن الملك جان الثالث بعد هزيمتهما، كما توفي متأثرًا بمرضه بأرض المعركة عبد الملك بن الشيخ، الأمر الذي أدى إلى بيعة أخيه وشريكه في الكفاح أبي العباس أحمد الذي لقب بالمنصور[٣].

واعتمادًا على ما دونه عبد العزيز الفشتالي وزير أحمد المنصور في «**مناهل الصفا**» فإن المعتصم قد اشتد عليه المرض ليلة المعركة الحاسمة التي جرت يوم الاثنين «٣٠ جمادى» الأولى عام ٩٨٦هـ، الموافق ٤ أغسطس ١٥٧٨م، والتي عرفت بمعركة وادي المخازن أو معركة القصر

---

(١) راجع: أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا، ص ١٣، محمد حجي، السعديون، معلمة المغرب، مطابع سلا، ٢٠٠٢، ص ٤٩٨٤.

(٢) راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج ٢، ج٢، ص ١٦٩.

(٣) راجع: أبو فارس عبدالعزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبدالكريم كريم، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، ط ٢، ٢٠٠٥، ص ٢٥- ٥٢، أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق أحمد الناصري، ج ٥ ، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، ٢٠٠١، ص ٤٢.

الكبير أو معركة الملوك الثلاثة[١] ففي صبيحة يوم هذه المعركة مات عبد الملك، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين[٢]، وعشية يوم المعركة بويع المولى أحمد باسم الخليفة المنصور تخليدًا لانتصار المسلمين[٣]، وبايعته بعد ذلك حواضر المغرب وبواديه بعد الفراغ من قتال النصارى بوادي المخازن يوم الاثنين من سلخ جمادى الأولى سنة ست وثمانين وتسعمائة، واستمر ملكه ستًا وعشرين سنة، واجتمع عليها من حضرة فاس يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة. وجددت له البيعة بها، ووافق عليها من لم يحضرها يوم وادي المخازن، ثم بعث إلى مراكش وغيرها من حواضر المغرب وبواديه، فأذعن الكل للطاعة، وسارعوا إلى الدخول فيما دخلت فيه الجماعة[٤].

واضطلع أحمد المنصور بأعباء الدولة في أعقاب معركة وادي المخازن وجنى هو ثمرة الظفر، فبويع في ساحة القتال ملقبًا بالمنصور يوم الاثنين متم جمادى الأولى سنة «٩٨٦هـ/ ٤ أغسطس ١٥٧٨م»[٥] وقد رفع هذا النصر المغرب الأقصى في أنظار أهل أوربا، فامتنع الطمع فيها أو في أراضيها، وسعت الدول في إقامة علاقات طيبة معها، وكل ذلك زاد في جلالة المنصور وهيبته، وكان فيه ميل إلى الفخامة فسعى إلى تجميل عاصمته مراكش بالمباني، واستقدم لإنشائها أهل الهندسة والفن من بلاد الإسلام، ومن أوربا[٦].

وقد واجه أبو العباس المنصور بالله الفتن والحروب التي عمت البلاد طوال ثلاث سنوات وما نشأ عنها من انقسامات وزعامات بين القبائل والأندلسيين المهاجرين، إلى الأخطار الخارجية المزمنة المتمثلة في الدولتين القويتين المجاورتين: الأسبان والأتراك، حيث جاءته التهنئة بفاس من مختلف الدول الإسلامية والمسيحية حاملة إليه الهدايا الفاخرة منذ

---

(١) عرفت عند الأوربيين بمعركة الملوك الثلاثة، حيث مات فيها ثلاثة ملوك هم: سباستيان ومحمد المتوكل وأبو مروان عبدالملك. راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، ج ٢، مج ٢، ط ١، مطبعة العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ١٩٩٢، ص ١٨٩.

(٢) راجع: عبدالكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، ط٣، ٢٠٠٦م، ص١٠٥-١٠٦.

(٣) راجع: عبدالكريم كريم، معركة وادي المخازن من خلال الوثائق التاريخية، مجلة التاريخ العربي، العدد الثالث، الرباط، صيف ١٩٩٧م، ص٦١.

(٤) راجع: أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا، ص ٩٥ -٩٨ .

(٥) محمد حجي، أحمد المنصور الذهبي، معلمة المغرب، ج١، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا، ١٩٨٩م، ص ١٧٣ -١٧٥.

(٦) راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته ، ج٢، مج ٢، ص ١٩٠.

الأيام الأولى لتوليته، وبذل له البرتغاليون إضافة إلى الغنائم العظيمة التي استحوذ عليها في المعركة، ما احتوت عليه خزائنهم من ذخائر لفداء نبلائهم الأسرى، كما بدت كفاية أحمد المنصور السياسية، وحنكته العسكرية في السنتين الأوليين، حيث تمكن من تتبع رؤوس الفتنة وتمهيد البلاد من جهة، وتجاوز تحرشات ولاة الجزائر الأتراك لخلق أرضية سلمية، إن لم تكن ودية، بين المغرب والخلافة العثمانية من جهة أخرى مع موقف متبصر تجاه الأسبان ورثة الإمبراطورية البرتغالية المنهارة[١].

ويعتبر السلطان أبو العباس أحمد المنصور الذهبي واسطة عقد السعديين وعهدُه أزهى عهود هذه الدولة رخاءً وعلمًا وعمرانًا وقوةً وجاهًا، وهو الذي بدأ ربط العلاقات السياسية والاقتصادية مع الأوروبيين وخاصة انجلترا ومهد بلاد السودان سنة ٩٩٩هـ/١٥٩١م، وانتشر نفوذه إلى حوضي النيجر والسنغال[٢].

وقد اشتهر المنصور بغناه ووفرة أمواله، فصار يعرف بالمنصور الذهبي[٣]، وقد بدأ ذلك بالمغانم وفدية الأسرى الذين صاروا إليه من معركة وادي المخازن، وقد أحبه الجند لما كان من تركه أموال ما استولوا عليه من المغانم، فنظم الجيش تنظيمًا دقيقًا، وتوسع في النفقة عليه، وكان بطبعه رجلًا كريمًا سخي اليد، وقد استخدم الجيش في جمع الخراج فكثر ماله، ثم أنه كان يشجع التجارة والتجار، ويساهم في الأعمال التجارية[٤] فكثرت أمواله،

---

(١) محمد حجي، أحمد المنصور الذهبي، معلمة المغرب، ج١، ص ١٧٣ -١٧٥.

(٢) راجع: أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا، ص ١٣، محمد حجي، السعديون، معلمة المغرب، مطابع سلا، ٢٠٠٢، ص ٤٩٨٤.

(٣) وظف أحمد المنصور قسطا من وفر بيت المال في تشييد منشآت عمرانية دينية وعلمية واقتصادية وعسكرية في مختلف أنحاء البلاد، مثل جناح الخصة بصحن القرويين والخزانة العلمية بقبلته والحصنين أو البستيونين خارج باب عجيبة وباب الفتوح والحصنين بالعرائش ومصانع السكر بحاحا وشيشاوة. على أن أعظم منشأة عمرانية للمنصور هو قصر البديع بمراكش الذي لم يبن قبله مثله في هذه البلاد، وهو وإن هدم فقد بقي وصفه مفصلا فيما كتبه الفشتالي والإفراني في تاريخهما، حتى لكأن المرء ينظر إلى قبابه وفرشه وأبهائه وبساتينه. نتج عن نجاح سياسة أحمد المنصور والسمعة التي اكتسبها منذ الانتصار الباهر في معركة وادي المخازن أن سعت بعض الدول الأوروبية إلى ربط علاقات ودية معه مثل انجلترا وفرنسا وهولندا. راجع محمد حجي، أحمد المنصور الذهبي، معلمة المغرب، ج١، ص ١٧٣ -١٧٥.

(٤) ومن مظاهر ميل المنصور إلى الأبهة بناؤه قصر البديع بمراكش.وقد بدأ بناءه من أوائل ولايته سنة ١٥٨٨م، واستمر العمل فيه إلى سنة ١٠٩٢م، وهو قصر ملكي في مراكش بناه المنصور لنفسه وأسرته.وقد احتشد في بنائه وجعله من المرمر وجعل له قبابا في جوانبه الأربعة، ويبدو بالفعل أنه كان في غاية الجمال ولو أنه في الغالب لا يصل إلى الأناقة التي يبالغ بها الفشتالي في مناهل الصفا، وقد استقدم الرخام من ايطاليا، وكان يشتريه

وحملته على بلاد تيكورارين وتوات في ذاتها كان هدفها الحقيقي الوصول إلى الأراضي التي يصل إليها التبر القادم مع التجار من بلاد السودان الغربي[١] وهكذا وبفضل سياسة المنصور وحرصه على تنظيم إدارته السياسية والاقتصادية، اجتمع له ما لم يتوفر لغيره، مما ساعده على تحقيق الكثير من مشروعاته في الداخل والخارج، وازدهرت أحوال البلاد في شتى النواحي الاقتصادية[٢].

وشهد المغرب في العصر السعدي انبعاثًا علميًّا وصناعيًّا جديدًا، ظهر في عدد من العلوم الرياضية وفي الهيئة والطب، وفي صناعات عسكرية واقتصادية، وكان للمنصور أحمد فضل تشجيع هذا التفوق[٣] كما اهتم أحمد المنصور اهتمامًا خاصًّا بربط صلات وثيقة بعلماء المشرق لأهداف سياسية أكثر منها علمية، وكان بلاطه قبلة للعديد منهم، كما كانت مكتبته تزخر بالعشرات من مؤلفاتهم[٤].

ولما توفي أحمد المنصور، وفرغ الناس من دفنه، اجتمع أهل الحل والعقد من أعيان فاس وكبرائها، والجمهور من جيش المنصور، على بيعة ولده زيدان، وقالوا: إن المنصور استخلفه في حياته، ومات في «حجره، فبايعه الحاضرون يوم الاثنين، السادس عشر من ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وألف «١٦ ربيع الأول ١٠١٢/ ٢٤ أغسطس ١٦٠٣م». فلما اتصل بأهل مراكش وفاة المنصور[٥] وكتب إليهم أهل فاس بمبايعتهم لزيدان امتنعوا، وبايعوا أبا فارس

بوزنه من السكر وقد كان المنصور قد اهتم بمصانع السكر ببلاد حاحة وشيشاوة. ومن الغريب أن هذا القصر هدم عن آخره أيام السلطان المظفر المولى إسماعيل بن الشريف العلوي الفلالي سنة ١٧١٧م. راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، ج٢، مج٢، ص١٩٦-١٩٧.

(١) اشتهر عند شعراء المغرب وتجارهم بالفخامة وجلال المظهر خاصة وكان هم نفسه شديد العناية بذلك، فكان يظهر بأفخر الملابس وجنوده من حوله في أزياء باهرة الألوان مزينة رؤوسهم بريش النعام، فسعى إلى مصادقته ملوك الغرب وأرسلوا إليه الهدايا القيمة . راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب ، ج٢، مج٢، ص ١٩٤ -١٩٦.

(٢) راجع: عبدالكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ص٢٧٥.

(٣) راجع: محمد المنوني، أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي، الفقيه المنوني، أبحاث مختارة، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، ٢٠٠٠، ص ٢٧٥.

(٤) راجع: عبدالحفيظ الطبايلي، مصدر عثماني حول تاريخ المغرب السعدي، « البحر الزخار والعيلم التيار، لمؤلفه مصطفى الجنابي، مجلة التاريخ العربي، ع ١٢، الرباط خريف ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص ٢٠٦.

(٥) وكان ابتداء مرض المنصور بمحلته خارج فاس الجديد قرب سيدي عميرة، يوم الأربعاء حادي عشر ربيع النبوي، سنة اثنتي عشرة وألف (١١ ربيع النبوي ١٠١٢/ ٢٠ أغسطس ١٦٠٣م)، ودخل إلى داره بالمدينة البيضاء عشية ذلك اليوم بعد الغروب، وتوفي هنالك ليلة الاثنين الموالي لتاريخه، ودفن بإزاء مقصورة الجامع الأعظم، ضحوة يوم الاثنين المذكور، وحضر جنازته ولده زيدان، وقدم للصلاة عليه مفتي فاس وخطيب جامع القرويين
ـ

«عبد الله، وتلقب بالواثق بالله»، لكونه خليفة أبيه بدار ملكه التي هي مراكش، وكانت بيعة أبي فارس بمراكش، يوم الجمعة، أواخر ربيع الأول من سنة اثنتي عشرة وألف «أواخر ربيع الأول ١٠١٢ هـ/ أوائل أكتوبر ١٦٠٣م»، وهو شقيق الشيخ المأمون. ودار الصراع السياسي والعسكري بينهما، كما ظهر على الساحة السياسية محمد الشيخ المأمون بن أبي العباس أحمد «١٠١٢- ١٠٢٢هـ»، وعبدالله بن محمد الشيخ المأمون «١٠٢١ -١٠٣٣هـ»، وعبدالملك ابن محمد الشيخ المأمون «١٠٣٣ -١٠٣٦ هـ»، وأبو مروان عبدالملك بن زيدان «١٠٣٧ -١٠٤٠ هـ»[1] ولما قتل السلطان عبد الملك بن زيدان يوم الأحد سادس شعبان سنة أربعين وألف للهجرة / ١٠ مارس ١٦٣١م، ودفن إلى جنب قبر أبيه، بويع أخوه الوليد بن زيدان «١٠٤٠- ١٠٤٥هـ/١٦٣٠- ١٦٣٦م»، فلم يزل مقتصرًا على ما كان لأخيه وأبيه من قبله لم يجاوز سلطانه مراكش وأعمالها. وعظمت الفتن بفاس حتى عطلت الجمعة والتراويح من جامع القرويين مدة، وكان الوليد بن زيدان متظاهرًا بالديانة لين الجانب حتى رضيته الخاصة والعامة، وكان مولعًا بالسماع، لا ينفك عنه ليلًا ولا نهارًا، إلا أنه كان يقتل الأشراف من أخواته وبني عمه حتى أفنى أكثرهم، وكان محبًا في العلماء متواضعًا لهم. أما وفاته فسببها أن جنده من العلوج طالبوه بمرتبهم وأعطياتهم على العادة، وغضبوا لعدم استجابته، وكمن له أربعة منهم، وقتلوه يوم الخميس الرابع عشر من رمضان المعظم سنة خمس وأربعين وألف هـ/ ٢١ فبراير ١٦٣٦م[2].

وقد ظل السعديون في مراكش يتوالون على العرش على حال من الضعف، وقد كتب أبو عبدالله محمد الأصغر، وهو العاشر من سلاطين الدولة السعدية «١٠٤٥- ١٠٤٦ هـ/ ١٦٣٥ - ١٦٣٦م»، خطابًا إلى أهل زاوية الدلاء، يدعوهم إلى الدخول في طاعته، واقتنع السلطان محمد الشيخ بن زيدان بأنه لا يستطيع مواجهة أهل الدلاء، فأقصر عنهم. وبعد محمد الأصغر بن زيدان لم يحكم من السعديين إلا واحد هو أحمد «الثاني» أبو العباس بن أبي مروان عبدالملك، وهو الحادي عشر من سلاطين السعديين، وقتل في «١٠٦٩ هـ / ١٦٥٩م»،

بها الفقيه أبو عبدالله، محمد بن قاسم القصار. راجع: أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق أحمد الناصري، ج ٥ ، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، ٢٠٠١، ص ٢٠١.

(١) أمهما أم ولد اسمها الجوهر، ويقال الخيزران. راجع: أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا ، ج ٥، ص ٢٢٢.

(٢) راجع: أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا، ج ٥، ص ٢٨٧.

وانتهت بذلك دولة السعديين[١].

وحكم المغرب الأقصى بعد السعديين الأشراف العلويون «١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م»، وهم الأسرة الحاكمة في المملكة المغربية، ونسبها شريف، وسببها متصل برسول الله، ويُعدُّ ثلاثة ملوك من ملوكها رموزًا للدولة العلوية، وهم الملك محمد الخامس «١٣٤٧ -١٣٨١هـ/ ١٩٢٧ -١٩٦١م»، الذي حرر الأرض المغربية من الاستعمار، ووضع اللبنات الأساسية للدولة المغربية العصرية، والملك الحسن الثاني «١٣٨١- ١٤٢٠هـ/ ١٩٦١- ١٩٩٩م»، الذي استرجع الصحراء الغربية، وحقق البناء والإصلاح، وفتح آفاق التعليم والتحصيل أمام المغاربة، ثم ولي عهده الملك محمد السادس، الذي تقلد الحكم بعد وفاة والده الملك الحسن الثاني، ويسير على درب أسلافه الكرام، مدَّ الله في عمره[٢].

---

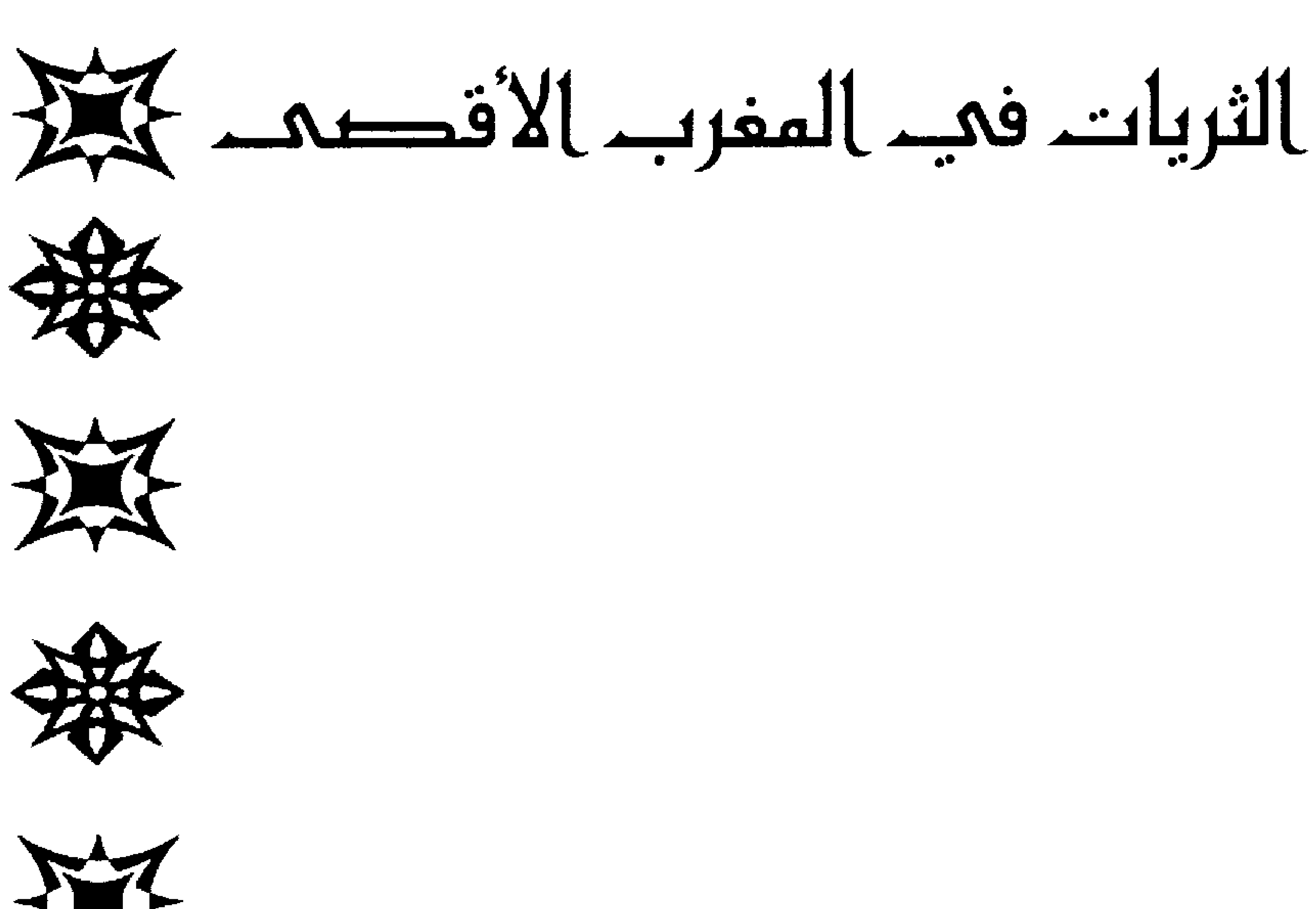
(١) راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج ٢، ج٢، .ص ٢٢١- ٢٢٣.

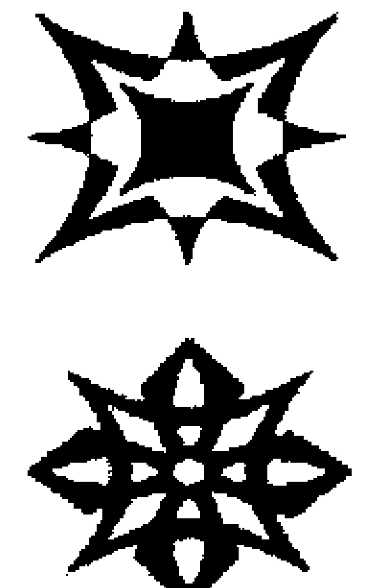
(٢) راجع: إبراهيم بو طالب، العلويون، معلمة المغرب، ج ١٨، ص ٦١٦٨- ٦١٧٠.



الفصل الأول

الثريات في المغرب الأقصى









الثريات في ضوء كتابات المصادر التاريخية والدراسات العربية والأجنبية

تُعدُّ دراسة الثريات المعدنية في المغرب الأقصى في العصور الإسلامية، من الدراسات المهمة التي تساهم في كشف العديد من الجوانب الأثرية والفنية المرتبطة بخصائص الفنون والآثار المغربية التي لا يزال يكتنفها نوعُ من الغموض، فعلى الرغم من أهمية الثريات المعدنية في إنارة العمائر الإسلامية، وقيمتها الفريدة بالنسبة لتأريخ الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، إلا أنها لم تلق العناية والاهتمام اللازمين من قبل الباحثين والمتخصصين في مجال الفنون الإسلامية، الذين عزفوا عن دراستها، لما تتسم به هذه الموضوعات من صعوبة في تتبع عناصرها الفنية، وذلك بسبب ندرة ما تبقى منها وتناثر أجزائها بين العمائر الإسلامية والمتاحف، بالإضافة إلى عمليات الترميم المتتالية التي ألحقت بهذه الأدوات الفنية ونقوشها المتنوعة تغييرات جمة يصعب معها فحص ودراسة تلك الأدوات بشكل أثري وفني.

ولذا تكمُن أهمية دراسة هذا الموضوع في حصر ودراسة الثريات المعدنية التي تزين مساجد المغرب الأقصى، وتحليل عناصرها الزخرفية وقراءة وشرح نصوصها الكتابية، وتوضيح مدلولاتها التاريخية والأثرية، وتفسير الألقاب الواردة عليها، وتحديد أهم مراكز صناعتها، وإضافة أسماء صناع مغاربة برعوا في صناعة الثريات ووسائل الإضاءة إلى قوائم صناع المعادن في العالم الإسلامي، وإلقاء الضوء على الأسر الفنية لصناعة التحف المعدنية في المغرب الأقصى، ونشر مجموعة من الثريات المعدنية التي لم يسبق نشرها. وكذلك مناقشة الآراء المتواترة في الكتابات الأجنبية حول نقل المسلمين نواقيس بعض الكنائس الإسبانية، وإعادة استخدامها لإنارة المساجد المغربية. بالإضافة إلى تقديم دراسة نقدية لأهم الكتابات العربية والأجنبية التي تطرقت إلى هذا الموضوع.

ونبدأ هذه الدراسة المهمة للثريات المعدنية في المغرب الأقصى، بفحص كتابات المصادر التاريخية، والدراسات الحديثة العربية والأجنبية التي تطرقت إلى هذا الموضوع، سواء من قريب أو بعيد، وذلك للوقوف على ما توصل إليه الباحثون من معلومات ونتائج في هذا الصدد، آملًا أن يهتدي بهذه القوائم الباحثون من بعدي في دراسة الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:



أولًا: المصادر التاريخية والدراسات العربية الحديثة

تُعدُّ الإشارات التي أوردها المؤرخ «علي الجزنائي»، في كتابه «**جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**»، من المعلومات النادرة التي وردت عن الثريات بصفة عامة، حيث أفرد الحديث عن الثريا الكبري، والناقوس الكبير المعلق بالبلاطة الوسطى المقابلة لباب الكتبيين بجامع القرويين بفاس، والتي لا غنى لباحثي الآثار من الاستفادة منها والاعتماد عليها عند دراستهم لأدوات الإضاءة في جامع القرويين. وقد عاينت النسخة التي قام عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة المغربية بتحقيقها، وصدرت عن المطبعة الملكية بالرباط، الطبعة الثانية، ١٩٩١م. وبعد مرور ما يقرب من عشر سنوات من صدور هذه الطبعة، طبعت دراسة أخرى حول هذا الكتاب عن مكتبة الثقافة الدينية، بالقاهرة، ٢٠٠١، تضمنت تحقيقًا وتعليقًا من السيدة مديحة الشرقاوي، إلا أن هذه الطبعة لم تضف شيئًا جديدًا عما ورد ذكره في نسخة المطبعة الملكية بالرباط.

وكان «علي الجزنائي»، من عدول فاس في القرن الثامن الهجري، وتولى بعض الخطط الدينية، إما بالمساجد وإما بنظارات الأحباس، وعاصر الجزنائي نكبة السلطان أبي الحسن المريني بالقيروان، حينما غرق أسطوله أمام ساحل بجاية، والملاحظ أن آخر سنة ذكرها في كتابه هي سنة ٧٦٦هـ، مما يرجح تأريخ الكتاب في هذا التاريخ. ولذلك جاء وصفه لجامع القرويين والثريات المعلقة فيه وصفًا دقيقًا، وقد استفاد من هذا الكتاب معظم من كتبوا من بعده عن جامع القرويين بمدينة فاس.

وتطرق المؤرخ «ابن أبي زرع الفاسي»، في كتابه: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، راجعه، عبدالوهاب بنمنصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٩م، إلى وصف الثريا الكبرى في جامع القرويين، كما وردت بعض الإشارات حول النواقيس التي حولها المسلمون إلى ثريات، وتم وضعها في العمائر الإسلامية في المغرب الأقصى.

كما أورد المؤرخ «علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي»، في كتابه «**الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**»، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، معلومات قيمة عن الثريا الكبرى التي تم تعليقها في جامع فاس الجديد، يوم السبت السابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة تسع وسبعين وستمائة، وذكر بيانات قيمة حول وزنها وعدد كؤوسها، واسم

صانعها. واستفادت الدراسة مما أورده «إسماعيل ابن الأحمر»، في كتابه **«روضة النسرين في دولة بني مرين»**، تحقيق عبدالوهاب بنمنصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩١م.

وأشار المؤرخ «ابن القاضي» الفقيه أحمد بن محمد ابن أبي العافية المكناسي ثم الفاسي، في مؤلفه **«كتاب جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس»**، إلى الثريا الكبرى بجامع القرويين، وذكر أنه كان بموضعها قبل عملها ثريا مثلها في الجرم، فتكسرت وصنعت هذه الثريا في أيام الفقيه الخطيب عبدالله بن ماسي المعلم، ووضح مقدار الإنفاق عليها ووزنها، وقياسها، وعدد قناديلها. كما ذكر الناقوس الكبير المعلق بالبلاط الأوسط المقابل للباب الكبير، وذكر أنه ألفي بجبل الفتح «جبل طارق» من بر الأندلس حين افتتحه عبد الواحد بن أبي الحسن المريني.

والمعروف أن «ابن القاضي» ولد في مكناس عام ٩٦٠هـ، وتوفي بفاس عام ١٠٢٥هـ، وهو صاحب المؤلفات العديدة في الفقه، والحساب، والهندسة، والتاريخ، وغيرها من العلوم، والفنون، وألف كتاب الجذوة للسلطان أحمد بن محمد الشيخ المهدي، الشهير بالمنصور الذهبي، وقد طبع الكتاب طبعة حجرية بفاس عام ١٣٠٩هـ في ٣٥٨ صفحة، بعناية الأديب السيد محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي، ثم طبعته دار المنصور للطباعة والوراقة، سنة ١٩٧٣م في مجلدين.

وقد تناول المؤرخ «السلاوي، أحمد بن خالد الناصري»، في كتاب **«الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى»**، في الجزءين الثالث والرابع، ج ٤، تحقيق أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المملكة المغربية، ٢٠٠١، عبر سرده للأحداث التاريخية ووصفه لبعض المعالم الأثرية، إشارات قيمة حول الثريات، مثل المعلومات التي أوردها في حوادث سنة تسع وسبعين وستمائة عن تعليق الثريا بجامع فاس الجديد.

وأشار «ابن صاحب الصلاة»، في كتابه: **«تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين»**، في معرض حديثه عن غزوة أمير المؤمنين أبي يعقوب المريني إلى مدينة وبذة في سنة سبع وستين وخمسمائة، وذكر عدد النواقيس التي أخذت من كنائس بلاد الأندلس.

وذكر ليون الإفريقي، «Lion l'Africain» الحسن بن محمد الوزان الفاسي، في كتابه **«وصف إفريقيا»**، أن بجامع القرويين ثريات عديدة من البرونز في كل واحدة منها ألف وخمسمائة مصباح صنعت من نواقيس بعض المدن المسيحية التي فتحها ملوك فاس.

واستفادت الدراسة من كتاب المؤرخ اليفرني المراكشي، محمد الصغير بن عبدالله اليفرني المراكشي، المتوفى بعد عام ١١٥٥هـ، صاحب كتاب «**روضة التعريف، بمفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف**»، في التعرف على تاريخ السلطان مولاي إسماعيل، خاصة وأن أعماله الجليلة امتدت إلى الثريا الكبرى بجامع القرويين، وقد حقق هذا الكتاب السيد عبد الوهاب بنمنصور، وصدر في طبعتين، عن المطبعة الملكية، بالرباط، ط٢، ١٩٩٥م.

ومن الدراسات المتعمقة التي أفدت منها في إعداد هذه الدراسة ما قدمه، عبد الهادي التازي، حول جامع القرويين بفاس، في كتابه القيم «**جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس**»، الذي صدر عن دار الكتاب اللبناني، عام ١٩٧٢م، والذي أورد في ثنايا جزئه الأول معلومات حول إنارة جامع القرويين، وشرح الثريا الكبرى وما تحتويه من نقوش وكتابات، وتعرض بإيجاز للثريا الصغرى أو ناقوس كنيسة وبذة، مستفيدًا بما ذكره «H. Terrasse»، كما أفرد في الجزء الثاني صفحات عن الثريات والنواقيس التي تحمل كتابات لاتينية قديمة، وذكر في الجزء الثالث المعلومات الخاصة بالثريات ووسائل الإنارة في جامع القرويين على عهد الدولة العلوية.

كما وضع الدكتور التازي، دراسة قيمة بعنوان: «**الحروف المنقوشة بجامع القرويين**»، نشرت في فصلة من «مجلة كلية الآداب»، جامعة الإسكندرية، العدد ١٤، ١٩٦٠، قدم فيها دراسة دقيقة عن النصوص التأسيسية الواردة بجامع القرويين مع تحليل النقوش الكتابية المنفذة على ثريات هذا الجامع. وتعتبر هذه الدراسة من الدراسات النادرة التي عالجت النقوش والكتابات بجامع القرويين. ووضع دراسة قيمة أخرى بعنوان: «**الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ**»، وهو من منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٣م، واستفادت الدراسة من هذا المرجع في تفسير التاريخ المنقوش بالخط الفاسي على الدائرة السفلية من الثريا الكبرى بجامع القرويين، والتي يؤرخ في عام ١١٢٠هـ.

ومن الدراسات التي تطرقت إلى الثريات الناقوسية، وعالجته بشكل جيد، سواء من الناحية الأثرية أو الفنية، ما قدمه د. محمد محمد الكحلاوي، بعنوان «**ثريات من النواقيس في جامع القرويين بمدينة فاس**»، وهذه الدراسة منشورة بمجلة «الدارة»، العدد الرابع، السنة ١٧، الرياض، المملكة العربية السعودية، رجب، شعبان، رمضان، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م. وعرض المؤلف في هذه الدراسة مجموعة النواقيس المحولة إلى ثريات بجامع القرويين، مع ذكر ما ورد عليها من نقوش مختلفة، معتمدًا بشكل مباشر على كتابات كل من: «H.



Terrasse»، ود.عبدالهادي التازي، وغيرهما مما كتبوا في هذا الموضوع.

وفي حين كتب «محمد العلوي الباهي» عدة ملاحظات حول هذه الدراسة بعنوان: «ملاحظات ثريا جامع تازة» بـ«مجلة الدارة» العدد الثاني، السنة الثانية عشرة، «١٤١٣هـ، ١٩٩٢م» إلا أنه يمكن الاستفادة من الدراسة السابقة في حصر ثريات النواقيس المعلقة بجامعَي القرويين وتازة في المغرب الأقصى، كما يمكن الاستفادة مما كتبه المؤلف في هذا الصدد بعنوان: «**مساجد المغرب والأندلس في عصر الموحدين**»، القاهرة، بدون تاريخ في التعرف على الظروف التاريخية والأثرية للمساجد المغربية في العصر الموحدي المرتبطة بموضوع الدراسة.

ويعتبر كتاب عثمان عثمان إسماعيل، «**تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى**»، موسوعة عامة تتناول تاريخ العمارة الإسلامية بأنواعها الدينية والمدنية والحربية. وقد قام المؤلف بإصدار هذا الكتاب في خمسة أجزاء، فيما بين ١٩٩٢- ١٩٩٣م في الرباط، وقد وصف المؤلف في الجزء الثالث من هذا الكتاب الثريات الموحدية، معتمدًا في مادته العلمية على ما كتبه «H. Terrasse»، وكتابات المؤرخ علي الجزنائي، وكتابات المؤرخ د.عبدالهادي التازي، كما خصص عثمان إسماعيل صفحات للحديث عن الثريات المرينية في الجزء الرابع من هذا الكتاب. كما وضع المؤلف كتابًا قيمًا بعنوان: «**دراسات جديدة في الفنون الإسلامية والنقوش العربية بالمغرب الأقصى**»، صدر عن دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٧م، واستفادت الدراسة من هذا الكتاب في شرح العناصر الكتابية والزخرفية التي انتشرت على مواد الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى وتحليلها.

ويعتبر السيد عبدالعزيز سالم، من أوائل الرواد العرب بصفة عامة، والمصريين بصفة خاصة الذين وضعوا العديد من الكتابات والبحوث العلمية في الحضارة الإسلامية في المغرب العربي، منها ذلك المجلد القيم الذي يضم، بحوثًا إسلامية في التاريخ والحضارة في القسم الثاني، «**بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية**»، و» **التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة**»، بحث ألقي في ندوة العلاقات المغربية المصرية، القاهرة، ١٩٨٩م، وكتابه القيم، «**تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة**»، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨١م،، الذي وضح فيه استخدام نواقيس النصارى التي غنمها المنصور بن عامر في غزوته لشنت ياقب عام ٣٨٧هـ ثريات في جامع قرطبة. وكتاب: «**المساجد والقصور في الأندلس**»، مؤسسة شباب

الجامعة، ١٩٨٦م.

ومن كتاب المملكة المغربية الذين تميزوا في مجال الكتابات الأثرية المتعمقة الأستاذ محمد المنوني، الذي كتب العديد من المؤلفات القيمة في هذا المجال، وقد استفادت الدراسة من كتابه القيم «**ورقات عن حضارة المرينيين**»، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ١٩٩٦، حيث أفرد فيه فصولاً متنوعة حول الحضارة المرينية وفنونها المختلفة، والتي لاغنى للباحثين عن الإطلاع عليه.

ويعتبر الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله، من العلماء والباحثين المغاربة الذين كتبوا بإسهاب حول الحضارة المغربية بصفة عامة، ومن مؤلفاته القيمة التي اعتمدت عليها، كتابه: «**فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية**»، الذي صدر في عام ٢٠٠١م، وتناول فيه المعالم الحضارية في مدينة فاس، وتطرق إلى الحديث عن نواقيس الأندلس المعلقة في جامع القرويين. كما استفادت الدراسة من هذا الكتاب في المعلومات الخاصة عن مدينة فاس كأهم مركز من المراكز الصناعية في المغرب الأقصى في العصور الإسلامية. كما كتب المؤرخ عبدالعزيز بنعبدالله، كتابات كثيرة حول الحضارة الإسلامية في المغرب الأقصى، وأهم معالمها المعمارية والفنية، وقد استفادت هذه الدراسة من كتاباته القيمة.

ويمكن الاستفادة مما كتبه د.إبراهيم القادري بوتشيش، حول: «**المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من عطاءات الحضارة الأندلسية**»، بحث منشور بندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ١٩٩٦م. في مناقشة مسألة التسامح والتعايش بين المسلمين والنصارى داخل المجتمع الأندلسي، ولتفنيد المزاعم التي تحيط بالدولة الإسلامية في المغرب الأقصى حول اضطهاد نصارى الأندلس من خلال النصوص والوثائق، وبيان المكانة الاجتماعية المحترمة التي احتلها النصارى داخل المجتمع الإسلامي، وتستفيد هذه الدراسة من ذلك البحث في الرد على المزاعم المنتشرة بين الكتابات الأجنبية حول نقل النواقيس من كنائس إسبانيا وتحويلها إلى وسائل إضاءة بالمساجد المغربية.

كما يمكن الاستفادة مما كتبه محمد السويسي بعنوان: «**العلوم والاستكشافات ودورها في تطوير الصناعات والفنون**»، ضمن كتاب الفن العربي الإسلامي، ج ١، تونس ١٩٩٤م.

وما كتبه صالح بن قربة، بعنوان «**المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى**»، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦، في التعرف على الزخارف الفنية السائدة في العمارة

المغربية الأندلسية ومقارنتها بمثيلتها على التحف موضوع الدراسة.

كما استفادت الدراسة من الكتابات القيمة التي دونها العالم المصري الجليل حسن الباشا، وأخص منها في هذا المقام، كتاب «**الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار**»، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٧م، وموسوعة «**العمارة والآثار والفنون الإسلامية**»، مطبعة أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٩م.

وأفادت الدراسة من كتابات العالمة المصرية الدكتورة سعاد ماهر، وأخص منها هنا، كتاب «**الفنون الإسلامية**»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦، كما استفادت هذه الدراسة من كتاب د. ربيع حامد خليفة، «**الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي**»، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٢، حيث أفادت الدراسة من هذا الكتاب في الجزء الخاص بدراسة التحف المعدنية ووسائل الإضاءة اليمنية في تأكيد الوحدة الفنية بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وبخاصة طرق صناعة وسائل الإضاءة وأساليب زخرفتها.

واستفدتُ في هذه الدراسة من كتابي، «**الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي**»، جزءان، مركز الكتاب للنشر، القاهرة «١٩٩٩م- ٢٠٠٠م»، في التعرف على الطرق الصناعية والوسائل الزخرفية الخاصة بصناعة التحف المعدنية الإسلامية وكذلك المناظر والرسوم التصويرية المنفذة على التحف المعدنية في مصر وبلاد الشام.

كما استفادت الدراسة مما كتبه د.عفيف البهنسي، في مجال العمارة والفنون الإسلامية، وبخاصة من كتابه «**الفن الإسلامي**»، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط ١، ١٩٨٦.

وقد نشر بشير رمضان التليسي، وجمال هاشم الذويب، كتابًا قيمًا بعنوان، «**تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**»، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، تعرضا فيه إلى موضوع طوائف الصناع والصناعات المعدنية التي انتشرت في مشرق الحضارة الإسلامية ومغربها.

ويمكن الاستفادة من كتاب رياض المرابط، «**مدونة مساجد جربة**»، الذي صدر عن المعهد الوطني للتراث، بوزارة الثقافة التونسية، تونس، ٢٠٠٢، في عقد المقارنات بين الزخارف المعمارية والفنية بين عمائر المغرب الأقصى والعمائر التونسية.

كما نشرت مجلة «**التاريخ العربي**»، التي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة، مجموعة

من الأبحاث القيمة التي استفادت منها هذه الدراسة، منها، بحث للسيد محمد الجواهرة، «**اللباس والزخرفة والحلي**»، **علاقة الزخارف المعمارية الإسلامية بفنون السجاد والحلي والكتاب**، العدد ١٩، صيف ٢٠٠١، وكتب الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله، في هذه السلسلة مجموعة بحوث قيمة أفادت منها الدراسة، منها، بحث: **المغرب الأقصى يحتضن التراث الأندلسي**، العدد ١٢، خريف ١٩٩٩، وبحث: **ثلاثة قرون بين الشام والمغرب عبر العصور**، العدد ١٤، ربيع ٢٠٠٠، وبحث آخر بعنوان: **ريادة فكرية بين مصر والمغرب**، العدد ١٥، صيف ٢٠٠٠م. كما كتب د.صالح يوسف بن قربة، بحثًا قيمًا بعنوان **دور الأعلام والرايات في تاريخ المرابطين**، بالعدد ٢٣، صيف ٢٠٠٢، وكتب عبدالكريم الشبلي، بحثًا بعنوان **الأربطة والمرابطة بإفريقية من خلال النوازل المالكية**، العدد ٢٥، شتاء ٢٠٠٣. وقد استفادت الدراسة من هذه البحوث القيمة.

وأصدر جون بوزانسنو «Besonçenot»، كتابًا قيمًا بعنوان **أنماط الملابس التقليدية في المغرب**، ترجمه، محمد بوبو، وصدر ضمن منشورات وزارة الثقافة المغربية، مطبعة دار المناهل، ٢٠٠٤م، ويستفاد من هذا الكتاب في تأصيل الزخارف النباتية والهندسية، ومقارنتها بمثيلتها على التحف موضوع الدراسة.



ثانيًا: الدراسات الأجنبية

تعتبر كتابات الباحث الفرنسي «Henri Terrasse» مصدرًا رئيسًا في معالجة هذا الموضوع، حيث يعتبر من أوائل الرواد الذين تخصصوا في عمارة المغرب الأقصى وفنونه، وكتب العديد من الكتب والبحوث العلمية المتعلقة بهذا التخصص، كما تطرق الباحث إلى دراسة أدوات الإضاءة في المغرب الأقصى ضمن دراساته القيمة التي وجهها لدراسة العمارة الإسلامية في المغرب الأقصى، وما تضمه هذه العمائر من عناصر معمارية، ومواد فنية، فقد وصف «H. Terrasse» أدوات الإضاءة المعلقة في جامع الأندلسيين بمدينة فاس، «لوحات ٥٧-٦٠»، وذلك عند وصف العناصر المعمارية والفنية لهذا الجامع، فأصدر عام ١٩٤٢، كتابًا قيمًا عن جامع الأندلسيين بعنوان:

«La mosquée des Andalous à Fès, éditions d'art et d'histoire, Paris, 1942.»

تناول فيه الثريات المعدنية المحفوظة بهذا الجامع، وتعتبر المعلومات التي أوردها في هذا المجلد على درجة كبيرة من الأهمية، لأنها أولى الدراسات التي وجهت الأنظار إلى وسائل الإضاءة في عمارة المغرب الأقصى، كما أصدر كتابه الثاني، في عام ١٩٦٨، وخصصه لدراسة جامع القرويين وما يشتمل عليه من وحدات معمارية وعناصر زخرفية فريدة، وأفرد المؤلف بعض الصفحات في هذا الكتاب لدراسة ووصف الثريات والنواقيس المستخدمة لإنارة هذا الجامع، وقد تتبع هذه الأدوات وقام بتعيين أماكنها وشرح كتاباتها وزخارفها المختلفة، وأصدر هذه الدراسة، بعنوان:

La mosquée al-Qaraouiyin à Fès, librairie C. Kincksieck, Paris, 1968.

ويمكن القول بأن النواة الأولى لهذا الكتاب عبارة عن مقال عن جامع القرويين صدر في عام ١٩٤٧ بعنوان:

.La mosquée al-Qarawiyyîn à Fès et l'art des Almoravides, in Arts Orient, T. II, 1947, P. 135-147,

كما أصدر «H. Terrasse» كتابًا ثالثًا عن المسجد الجامع في مدينة تازة في عام ١٩٧١، شرح فيه إلى جانب عناصر الجامع المعمارية والزخرفية، ووضح التفاصيل الفنية للثريا الكبرى المعلقة في بلاطة محرابه والتي تعَد أكبر ثريا في العالم الإسلامي، وكذلك شرح الثريا الناقوسية المعلقة في نفس البلاطة، والكتاب بعنوان:

La grande mosquée de Taza, les éditions d'art et d'histoire, Paris, 1971.

ويمكن القول بأن هذا الكتاب القيم كانت نواته في عام ١٩٤٢، عندما نشر «Terrasse .H» «معلومات قيمة عن الثريا المعلقة بالمسجد الكبير بمدينة تازة، وقد نشر هذا البحث في حوليات «Bulletin de l'Enseignement Public» «في العدد رقم «N°171» بعنوان:

Taza notice historique et archéologique, Bulletin de l'Enseignement Public, n°71,1942.

ومن جهة أخرى يمكن الاستفادة في دراسة هذا الموضوع من الكتابات القيمة الأخرى التي وجهها «H. Terrasse» إلى بعض الوحدات المعمارية في العمائر الإسلامية في عصر بني مرين خصوصًا في التعرف على العناصر الزخرفية التي ظهرت على عمائر المرينيين ومقارنتها بمثيلتها على أدوات الإضاءة في العصر المريني، منها على سبيل المثال وليس الحصر ما خصصه عن دراسة الباب والمدرسة المرينية بمدينة فاس الجديدة اللذين تتطابق زخارفهما المختلفة مع زخارف أدوات الإضاءة في نفس الفترة الزمنية، وهما:

Une porte mérinide de Fès Djdid , in Annales de l'Institut des Études, Orientales, T. VI, 1947, P. 53-65.

La médersa mérinide de Fès jdid, in Al-Andalus, T. XXVII, 1962, P. 246-253

وقد كتب «H. Terrasse» و«Hainaut Jean»، كتابهما القيم الفنون الزخرفية في المغرب، الذي صدر في عام ١٩٢٥، وأعيد طبعه في عام ١٩٨٨م، عن «Afrique Orient»، تحت نفس العنوان:

Les arts décoratifs au Maroc, Afrique Orient, 1988.

ويتتبع هذا الكتاب بشكل علمي تاريخ تطور الفنون الزخرفية في المغرب الأقصى منذ نشأة الفن البربري «الأمازيغي»، ومرورًا بالفنون الإسلامية في العصر المرابطي، فالعصر الموحدي، ثم العصر المريني، وصولاً إلى الفنون الإسلامية في عصر السعديين والعلويين.

ومن بين الدراسات القيمة التي تعرضت لموضوع وسائل الإضاءة في المغرب الأقصى، ما كتبه «Michel Terrasse» في هذا الصدد مستفيدًا بميراث أبيه «Henri Terrasse» في هذا النوع من البحوث العلمية، وقد أثرى «Michel Terrasse» المكتبة العربية والأجنبية

بهذه الدراسة الوافية التي نشرها في حوليات «Bulletin d'archéologie Marocaine» في عام ١٩٧٦، بعنوان:

Le mobilier liturgique mérinide, in B.A.M., T. X, 1976.

تناول فيه بالشرح والتوصيف الثريات المرينية في القرن الثالث عشر الميلادي، كما عرض في هذه الدراسة لموضوع نقل النواقيس من الكنائس الإسبانية وتحويلها إلى وسائل إضاءة، ووصف الثريات المعلقة بجامع القرويين والأندلسيين بفاس، وثرية جامع تازة التي وضعت فيه عام ١٢٩٥، واعتبرها أكبر ثريا في الفنون الإسلامية، وأتم بهذا العمل ما بدأه أبوه من دراسات عن عمارة المساجد المغربية في مدينتي فاس وتازة، وبخاصة دراسة التحف المنقولة في هذه العمائر.

ومن الكتب العامة المهمة التي لا غنى عنها في دراسة الموضوعات المتعلقة بالعمارة والفنون الإسلامية بصفة عامة، ووسائل الإضاءة في عمائر المغرب الأقصى في العصر الإسلامي، ما يلي:

- Ricard P, Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne, paris, 1924.
- Marçais G., L'architecture musulmane d'Occident: Tunisie, - Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Arts et Métiers graphiques, Paris, 1954.
- Hassar Benslimane Joudia, Note a propos d'un Bronze Arabe trouve au Chella, «Rabat», in B.A.M., T. X, 1976.
- Graber Oleg, The Alhambra, Cambridge, 1978.

وقد صدرت في الثمانينيات من القرن المنفرط مجموعة قيمة من الكتب والبحوث العلمية التي عالجت موضوعات متنوعة في العمارة والفنون الإسلامية في المغرب الإسلامي، وتطرقت إلى موضوع الدراسة سواء من قريب أو بعيد، منها ما يلي: -

- Paccard André, Traditional Islamic Craft in Moroccan Architecture, 2 Vol., Saint-Jorioz, 1980.
- Hoag John D., Western Islamic Architecture, New York, 1983.
- Ettinghausen R. Originality and conformity in Islamic Art and

Archaeology, Collected Papers, Berlin, 1984.

- Azzedin Rhaddioui, Le Mihrâb au Maroc, le Mihrâb dans l'architecture et la religion Musulmanes, New York, 1988.

أما خلال النصف الأول من التسعينات، فقد صدرت مجموعة من الدراسات والكتب التي تفيد في دراسة عمارة وفنون المغرب الأقصى، والتي تعتبر على درجة كبيرة من الأهمية، منها ما يلي:

Collectif, Six mille ans d'art au Maroc: de l'empire romain aux villes impériales, Le Plessis-Robinson, Paris-Musée, Paris, 1990.

Sijelmassi Mohamed, Fès cité de l'art et du savoir, ACR édition, Fondation ONA, Paris, 1991.

Al-Andalus, The Art of Islamic Spain, Ed. Jerrilynn Dodds, New York, 1992.

M. Barrucand & A. Bednorz, L'architecture maure en Andalousie, Taschen, Cologne, 1992.

A. Maghnia, La Qarawiyine, carrefour du savoir, in Autrement, série Mémoires, n. 13, 1992.

Hedgecoe John, Samar Damluji Salma, Zillîg, l'art de la céramique marocaine, Garnet, 1993

Hillenbrand Robert, Islamic Architecture, Newyork, 1994

ويعتبر بحث « Fernandez Puertas A» بعنوان «تصنيف الثريات البرونزية في الأندلس وبلاد المغرب»، من أهم البحوث التي تطرقت إلى موضوع وسائل الإضاءة بصفة مباشرة، حيث ناقش الباحث في بداية مقاله بعضًا مما ورد من كتابات المؤرخين عن الثريات في المغرب والأندلس، ثم شرح نماذج من الثريات في المغرب وبلاد الأندلس، وزود الدراسة برسوم تفصيلية لتوضيح الفروق الجوهرية بين أشكال الثريات في خلال العصرين الموحدي والمريني، كما عرج إلى ذكر موضوع تحويل النواقيس المسيحية إلى ثريات، وبيانات هذا المقال على النحو التالي:

- Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce de al-Andalus

y el Maghreb, Miscellanées de Estudios Arabes y Hebraicos, Secion Arabe-Islam, 48, Grenade, 1999, PP.379-392.

كما صدرت مجموعة من الكتابات باللغة الإسبانية، كالتالي:

- Zozaya J., Lampara, Arte ˈislámico en Granada, Propuesta para un museo de la Alhambra, Granada, n° 187, 1995, pp. 434 – 439.

- Canto de Gregorio, A., «Al-Andalus: sus monedas» in El Zoco. Vida economica y artes tradicionalesen al-Andalus y Marruecos, Lumberg et El Legado andalusi, Barcelona, 1995, p. 35-41.

- Acién Almansa Manuel et alii, Evolución de los tipos cerámicos en el S.E de Al-Andalus, Actes du 5e colloque sur la céramique médiévale, Rabat, INSAP, 1995, p. 125-139.

- Retuerce, M., La ceràmica andalusî de la Meseta, Madrid, 1998

كما صدرت مجموعة من الدراسات والبحوث القيمة التي تفيد الباحثين في دراسة عمارة وفنون المغرب الأقصى بصفة عامة، منها ما كتبه الدكتور أحمد الطاهري، أستاذ الفنون الإسلامية بمعهد الآثار بالمملكة المغربية، في عدة بحوث قيمة حول العمارة الإسلامية وفنونها في المغرب الأقصى، ودراسة بعض مواد الفنون الإسلامية مثل الجص في المغرب الأقصى في العصور الوسطى، كما أصدر عدة بحوث قيمة عن مدينة فاس، استفادت منها الدراسة منها فيما يخص وسائل الإضاءة المعلقة بالعمائر الإسلامية بمدينة فاس مثل جامع القرويين، والأندلسيين، وجامع فاس الجديدة ومدرسة العطارين، وأفرد للعمارة المرينية بحوثًا يمكن أن يستفيد منها الباحثون في مجال العمارة والفنون في المغرب الأقصى، ويمكن عرضها على النحو التالي:

- ETTAHIRI Ahmed S., L'art de paraître au Maroc médiéval entre historiographie et Archéologie, dans L'art de paraître, Ministère de la Culture et de la Communication, Rabat, 2002, p. 31-36

- ETTAHIRI Ahmed S., Worked Bone Tools: linking metal artisans and animal processors in medieval Islamic Morocco, dans Antiquity, vol. 76,



n° 292, 2002, p. 447-457

وصدرت عدة مجلدات عن مجموعة من المعارض التي نظمت في العشر سنوات الأخيرة لتوضيح خصائص العمارة والفنون الإسلامية المغربية، وعكست العديد من ملامح التطور في فنون المغرب الأقصى عبر العصور، منها ما يلي:

- Maroc, Les trésors du royaume, Cat. Exp. Petit Palais, Paris, 1999.

- Splendeurs du Maroc, Cat. Exp. Musée royal de l'Afrique centrale, Tervuren, 1998

- Las Andalucias de Damasco a Cordoba, Exposicion presentada en Instituto del Mundo Arabe del 28 de npviembra de 2000 al 15 de abril de 2001, Hazan, 2001.

- Les Andalousies, de Damas à Courdoue, Cat.Exp., Institut du Monde Arabe, 2001.

- Le calife, le prince et le potier, Les faïences à reflets métalliques, Cat. Exp. Musée des Beaux-Arts, Lyon, 2002

وصدرت مجموعات قيمة من الكتب والبحوث الأثرية العامة المتفرقة، لعدد من المتخصصين والباحثين وعلماء الآثار والفنون الإسلامية، تناولت بالشرح والدراسة مواد الفنون الإسلامية في المشرق والمغرب وتطور زخارفها بشكل عام، ويمكن الاستفادة من هذه الإصدارات في تتبع الزخارف الفنية على مواد الفنون الإسلامية للوقوف على تأريخ وتأصيل الزخارف المختلفة المنفذة في مواد وسائل الإضاءة في عمائر المغرب الأقصى في العصور الإسلامية موضوع الدراسة، بالإضافة لكون هذه الكتابات مراجع رئيسة للباحثين في مجالي العمارة والفنون الإسلامية. ونعرض منها ما يلي:

- Hassar Joudia Benslimane, Les relations entre art Mérinide et art Nassride, Granada, 1995.

- Northedge Alastair, Les origines de la céramique à glaçure polychrome dans le monde musulman, VIe Congrès sur la céramique médiévale en Méditerranée, Aix-en-Provence, 1997, p. 213-223.

- Peltre Christine, Orientalism in Art, New york, 1998.

- Gonzalez Valérie, Beauty and Islam; Aesthetics in Islamic Art, London, 2001.

- Stierlin Henri, Islam de Bagdad à Cordouue des origines au XIIIe Siècle, Taschen, 2002.

- Ettinghausen R. Grabar O. and Marilyn, Islamic Art and Architecture 650/1250, The Yale University Press, July 2003.

وصدرت مجموعة من الإصدارات التي عالجت موضوعات متنوعة من فنون وعمارة المغرب الأقصى، مثل دراسة الفنون التقليدية المغربية، وعرض قصة الحضارة المغربية وبخاصة فيما يخص الفنون الإسلامية، ودراسة نشأة المدارس في العصور الوسطى، وتخصيص فصل كامل عن أهم المدارس المغربية من حيث النشأة والتطور وأهم الزخارف والتحف الفنية المنقولة المحفوظة فيها، بالإضافة إلى دراسات حول الملابس والحلي في المغرب، والفخار، وعمائر مدينة الرباط وسلا، وغيرها من الدراسات القيمة التي تفيد انباحثين في دراسة الموضوعات المتعلقة بعمارة وفنون المغرب الأقصى، وأفادت موضوع الدراسة في الوقوف على أهم الزخارف الفنية السائدة في الفنون المغربية، نذكر منها ما يلي:

- Sijelmassi Mohamed, Khatibi A., et Moujahid H., Civilisation marocaine, Art et Cultures, Editions Oum Actes Sud/ Sindbad, 1996.

- Golvin Lucien, La madrasa médiévale, Edisud, 1995.

- Chastel Robert, Rabat-Salé vingt siecles de l'oued Bou Regreg, Edition la porte, 1997.

- Sijelmassi M., Les arts traditionnels marocains, Genève, Suisse, 2002.

- Rachida Alaoui, Castumes et parures du Maroc, ACR Edition, Paris, 2003.

- Bazzana, A., Elhraiki, R., Montmessin, Y., La mémoire du geste, la poterie domestique et féminine du Rif marocain, Maisonneuve & Larose, 2003.

الثريات وأنواعها في المغرب الأقصى

انتشرت الثريات[١] في المغرب الأقصى خلال العصور الإسلامية، وبخاصة في العصرين الموحدي والمريني، وتعددت أشكالها وأنواعها، فعرف منها، الثريات، والثريات الناقوسية، بالإضافة إلى الشماعد والمصابيح، والسوامر التي كانت تستخدم في الشوارع والحارات حول المسجد الجامع وفي محيط المدينة الإسلامية، وخصص للعناية بهذه الأدوات شخصًا يسمى الوقاد وأجري له جراية من أحباس المساجد، وهذا يدل على أهمية العناية بهذه الأدوات، وحفظت لنا العمارة المغربية مجموعة رائعة من تلك الثريات سوف نتصدى لوصفها وقراءة كتاباتها وتفسير رموزها كما سيرد في الفصول القادمة.

أولاً: الثريات

انتشرت صناعة الثريات في المغرب الأقصى بصفة عامة، وحرص الخلفاء والسلاطين على العناية بها وتسجيل أسمائهم وألقابهم على إطاراتها. وتتكون الثريات في شكلها العام مما يلي:

١. **جسم الثريا**: يتكون جسم الثريا من هيئة مخروط مؤلف من عدة طبقات، أكبرها السفلي وأصغرها العلوي، وتحتوي كل دورة على عدد من المصابيح[٢].

٢. **قبة الثريا**: عبارة عن قبة صغيرة من النحاس المشغول ذات فصوص تتوج الثريا، وتزدان الشبكة المعرقة بحشوات نباتية مقصوصة ومحفورة.

٣. **صينية الثريا**: عبارة عن صينية تتألف من عدة أشرطة زخرفية دائرية زخرفت إطاراتها بزخارف نباتية قوامها مراوح نخيلية، وأنصاف مراوح نخيلية يتخللها نقوش كتابية

---

(١) يذكر ابن منظور، أن الثريا من الكواكب، وسميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها، فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل، لا يتكلم به إلا مصغراً، وهو تصغير على جهة التكبير، والثريا من السُّرج على التشبيه بالثريا من النجوم، والثريا ماء معروف، وورد في المُنجد، الثريا، منارة عديدة الأنوار تعلق في البيوت. راجع: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج ١٤، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص ١١٢، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان١٩٩٧، ص ٧٠.

(٢) يتكون جسم الثريا الكبرى بجامع القرويين من مخروط يحتوي على اثني عشر دوراً أكبرها السفلي وأصغرها العلوي.

بالخط الكوفي والنسخ المغربي.

٤. **ساق الثريا**: هو الجزء العلوي الذي تتدلى منه الثريا، ويعتبر ساق الثريا تحفة مستقلة بذاتها، حيث يشتمل على شماعد ومصابيح متصلة بالثريا، بالإضافة إلى احتوائه على كتابات تسجيلية وزخرفية على درجة كبيرة من الأهمية. وعلى الرغم من أهمية هذا الجزء من الثريا، فلم يلق العناية اللازمة من البحوث والدراسات السابقة، ويكفي الإشارة إلى ساق الثريا الكبرى بجامع القرويين الذي نقش عليه اسم الخليفة ومكان وتاريخ الصناعة.

وتتبع الثريات في طريقة صناعتها نفس الطرق السائدة في صناعة التحف المعدنية، والتي تبدأ بتشكيل المعدن بطريق الطرق بالنسبة للنحاس والفضة والذهب، والصب بالنسبة للبرونز، وتتلخص أساليب زخرفتها في الزخرفة بالحز أو الحفر أو التخريم، كما يستعمل التطعيم(١) بالذهب أو الفضة وغيرها(٢)، كما تضم الثريات أنواعًا مختلفة من الكتابات، سواء كانت كتابات تسجيلية تحمل اسم الخليفة ومكان وتاريخ الصناعة، أو كتابات دينية وآيات قرآنية(٣)، وكذلك انتشرت على الثريات كتابات تتألف من عبارات دعائية(٤).

ثانيًا: ثريات النواقيس

عرف المغرب الأقصى نوعًا آخر من الثريات يمكن تسميتها ثريات النواقيس، وكانت تصنع من نواقيس الكنائس التي كان ينجح المسلمون في الحصول عليها بعد منازلة أعدائهم في بلاد الأندلس. ويذكر ابن صاحب الصلاة عن هذه النواقيس التي أخذت من كنائس إسبانيا عند حديثه عن منازلة وبذة قوله: «.. وهدمت بيعهم وأخذ فيها تسعة نواقيس»، ويؤكد أهمية هذه النواقيس حيث كانت أول الأشياء التي أمر الخليفة بتحميلها معه، حين

---

(١) اصطلح بعض رجال الفنون الإسلامية على تسمية هذه الطريقة بالكلمة الفارسية «التكفيت» ويلاحظ بوجه عام أن هذه الكلمة لم ترد بمشتقاتها ضمن توقيعات الصناع، وإنما وردت كلمة «المطعم»، وكلمة «تطعيم». راجع: عبدالعزيز صلاح، دراسة بعض التحف المعدنية الإيرانية المكفتة في ضوء مجموعة متحف اللوفر بباريس «من منتصف القرن ٦ هـ/١٢ م بداية القرن ٧ هـ/١٣م»، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العلم الإسلامي، ٣٠ نوفمبر ١ ديسمبر ١٩٩٨م، ص ٧٠٨-٧٠٩.

(٢) راجع: زكي محمد حسن، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٤٨، ص ٥٣٠.

(٣) مثل سورة لقمان. آية ٣٣، و٣٤، وسورة الحشر، آيات ٢١، و٢٢، و٢٣، ٢٤ و سورة الأحزاب، آية ٥٦ وسورة النور، آيات ٣٥ ٣٨ وسورة التوبة، آية ١٨ وسورة آل عمران، آيات: ١٩٠ - ٢٠٠ وسورة فاطر ٢٩ - ٣١.

(٤) على نحو عبارة: «العظمة لله»، و«العزة لله»، بالخط الكوفي، وعبارة أخرى مثل: «السعادة والإقبال، بالخط النسخ. وعبارة: محمد رسول الله».

يقول: «**وأمر في الحين أبو الأصبع بن حكم القبطلي المقدم على الدواب أن يسوق دوابًا في ذلك الوقت على ما تحصل النواقيس التي أخذت في الكنائس**»[(١)].

ولم تكن حالة تحويل الناقوس إلى وسيلة إضاءة في جامع القرويين حالة فريدة في ذلك العصر، فهناك بعض الأمثلة التي لا تزال تزين مسجد قرطبة الجامع[(٢)]، حيث يذكر أن المنصور محمد بن أبي عامر شرع عام ٣٧٧هـ/٩٨٧م في زيادة المسجد حين ضاق بيت الصلاة فيه عن المصلين، وجعل من نواقيس النصارى التي غنمها من غزوته لشنت ياقب عام ٣٨٧هـ ثريات في زيادته بجامع قرطبة[(٣)]، وتتطلب عملية تحويل الناقوس إلى وسيلة إضاءة إلى مجموعة من الإضافات الفنية، هذا إلى جانب زخرفتها بكافة العناصر الفنية، وأيضا نقشها بالنقوش الكتابية التي تتضمن عبارات دينية ودعائية، وإضافة بعض النصوص التسجيلية، ومن هذه الخطوات الجوهرية إضافة مجموعة من الأحزمة أو الأذرع أو الإطارات حول بدن النواقيس، إما بشكل أفقي أو بشكل رأسي حول البدن. وتستخدم الأحزمة والأذرع كوسائد أو ركائز يرتكز عليها مجموعة سندات القوارير، أما الجزء السفلي في الناقوس والذي يحتوي على الفوهة والحافة، فيعد الجزء الفني على جسم الناقوس، إذ يخصها الفنان بثلاثة عناصر رئيسة هي:

- إضافة صينية نحاسية تغلق على فوهة الناقوس.
- إضافة الكرسي النحاسي الصغير الذي يتوسط الصينية وفوهة الناقوس.
- تزويد الصينية بالكوابيل التي تربط الكرسي النحاسي وتحمل الصينية. وتثبت تلك الأجزاء ببعض عن طريق المسامير التي تأخذ هيئتها الخارجية شكل القمقم، ثم الجزء الذي تتدلى منه الثريا بعد تحويله، وهو عبارة عن عمود حديد ملبس في ثلاث أو أربع قبيبات صغيرة، وقد ثبت طرفي العمود الحديدي من أعلى بمقبض على هيئة حرف «S» ومن أسفل في الحلقة المتصلة بقمة الثريا[(٤)].

(١) راجع: ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبدالهادي التازي، سلسلة كتب التراث ٦٨، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، ١٩٧٩م، ص ٥٣٣.

(٢) راجع: Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce, P.385

(٣) لم ينس المسيحيون ذلك وظلت ذكراه عالقة بأذهانهم حتى إذا ما فتح فرناندوا الثالث قرطبة، أمر المسلمين بدوره بحمل نواقيس شنت ياقب إلى كومبوستيلا على ظهورهم. راجع: السيد عبدالعزيز سالم، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦، ص ٢٧، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨١م، ص ٣٩٦، ٣٩٧.

(٤) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس، ص١٢٥.١٢٩.

ويزخر جامع القرويين بفاس بوجود مجموعة من الثريات المصنعة من هذه النواقيس، فيذكر الجزنائي عند ذكر عدد ثريات جامع القرويين ذلك بقوله: «**وعدد الثريات التي تسرج فيها المصابيح مئة وثلاثون ثريا جميعها من النحاس مختلفة الصناعات والأشكال والمهمات، منها عشرة كبار معلقة في البلاط الأوسط، ويندرج في هذه العشرة النواقيس المكفتة بالنحاس، وباقي الثريات وذلك مئة وعشرون معلقة في سائره. ...**»[١].

وتمثل ثريات النواقيس بجامع القرويين مجموعة نادرة حيث تأتي قيمة هذه الثريات، ليس لكونها صنعت من أجراس الكنائس فقط، أو لأنها تسجل انتصارًا للمسلمين في موقعة معينة، بل في أنها تمثل إضافة جديدة لمجموعة التحف المعدنية في المغرب الأقصى[٢].

ثالثًا: الشماعد والسوامر

بالإضافة إلى الثريات والثريات الناقوسية، عرف المغرب الأقصى الشماعد[٣]، التي كانت من أبرز التحف المعدنية التي استخدمت في إنارة عمائر المغرب الأقصى حيث برع الصناع المغاربة في صنعها وتفوقوا كثيرًا في إنتاج الشماعد الكبيرة والمتوسطة الحجم[٤]، ومما يذكر في هذا الصدد، ما شهده جامع القرويين من إصلاحات مهمة لإنارته بما يلزم، وقد أتى ذلك من وجهة نظر ذائعة في أوساط الفقهاء تهدف إلى «**تكثير السرج وتغليظ الفتائل، لأن في الإضاءة بهاء للدين، وأنسًا للمجتهدين، ونفيًا لمكان الريبة، وهداية للسابلة، وتنزيهًا لبيوت الله من وحشة الظلام**». ولم تكن الإنارة لتقتصر على داخل حرم الجامع، ولكنها كانت تتعداها إلى ضواحيه، فلقد نصب في خارج الجامع بدائرته في مواضع معروفة أربعون سراجًا وسامرة[٥].

وقد ذكر الجزنائي عند ذكر عدد ثريا جامع القرويين معلومات تؤكد تنوع وسائل الإنارة

---

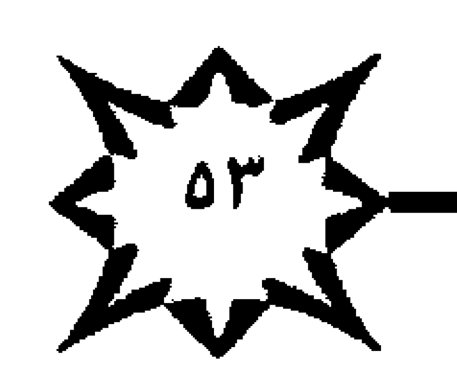
(١) راجع: علي الجزنائي، جنى زهرة الآس ، ص ٧٩.

(٢) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس ، ص١٢٥. ١٢٩.

(٣) حفظت لنا تصاوير المخطوطات التي زوقت في المغرب والأندلس صور بعض أدوات الإضاءة، والمعروف أن أهل المغرب والأندلس استمعوا إلى مقامات الحريري، وأعجبوا بها فنشروها في بلادهم بعد أن أضافوا إليها وطوروا فيها، وغدت المقامة في بلاد المغرب والاندلس قصصية الطابع شعبية الأسلوب، يستعرض مؤلفوها عن طريقها صوراً بديعة للمجتمع الأندلسي.راجع: ثروت عكاشة، فن الواسطي من خلال مقامات الحريري، دار المعارف بمصر١٩٧٤م، ص ٦.

(٤) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج٤، ص ٣٩٣.

(٥) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين، ص ٨٠، ١٠٠.



داخل الجامع والمحيط الخارجي لحرمه، فقال: «... **وعدد الصبحيات التي توقد أيضًا فيه «جامع القرويين» بطول ليالي السنة سبعون، العراقيات**[١] **منها خمسون، وسائرها نابليات**[٢] **وبلديات**[٣]**، وعمل في خارجه بدائر حرمه في مواضع معروفة أربعون سراجًا**[٤] **يهتدي بها المارون في طرقه.....»**[٥]، ويذكر التازي ترتيب العشرة سوامر الأساسية حول مسجد القرويين كانت كالتالي: الأولى سامرة تقابل باب سوق العطارين، والثانية متصلة بباب دار الصهريج على مقربة من فندق ابن حيون، والثالثة تقابل درب ابن حيون بحائط الجامع، والرابعة بباب السبع لويات، والخامسة بالصفارين، والسادسة بعقبة السطرين تقابل زنقة دار الشامي التي كانت بها مقصورة القرويين، والسابعة سامرة بزنقة صفايرة قبالة باب الخلفاء، والثامنة باب القرويين، والعاشرة، التي تصل بين الشماعين وبين الطريق المؤدية إلى الحرم الإدريسي. وقد تضمنت الحوالة الإسماعيلية لائحة طريفة لعدد من السوامر التي كانت توقد بعد غروب الشمس لإنارة الأمكنة المظلمة من فاس، وقد عرف من هذه السوامر ثمان وخمسون سامرة بالإضافة إلى سوامر حرم القرويين[٦].

وظيفة الوقاد

كانت وظيفة الوقاد مطلوبة، إذ كان صاحبها يشرف على عدد من الأعوان، كما كانت تحت تصرفه دائما كميات وافرة من الزيت والفتائل والآلات، وهو إلى هذا يعد من المرضي عنهم لأنه يسرج بيوت الله، وكان له بيت خاص به على مقربة من الجامع وجرايات مهمة من أوقاف الجامع. وعلى الوقاد أن يستعد منذ العصر لكل ما يلزم، فهناك آلاف من المصابيح التي تنتظر منه الزيارة، وهناك عشرات من الثريات عند الأبواب وفي البلاطات وعند منعطفات الصومعة ومنارها الأوسط والأعلى، ولقد بلغ عدد الثريات مائة وثلاثين ثريا، جميعها من النحاس، وكل واحدة لها شكلها وطابعها لونًا وصناعة، منها ما يعلق في البلاط الأوسط على القبتين المواليتين، ومنها ما كان معلقًا على الأبواب الرئيسية للجامع، بالإضافة إلى مراكز السرج الموزعة على الأقواس والزوايا، وفي المصابيح ما هو من صنع

(١) الوافدة من العراق.

(٢) المجلبة من أوربا .

(٣) المصابيح محلية الصنع.

(٤) عبارة عن مسارج ينبعث منها دخان لذلك كانت توضع خارج الجامع.

(٥) راجع: علي الجزنائي، جنى زهرة الآس ، ص ٧٩.

(٦) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، مج١، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢، ص ٨٠- ٨١.

محلي من معامل الزجاج في فاس، لكن فيها ما جلب من العراق، وفيها ما جلب من بعض جهات أوربا[1]، ويذكر الجزنائي أنه تم تعيين شخص للعناية بوسائل الإضاءة، والسهر على متابعته، وخصص له راتب من أحباس الجامع، فقال: «... **وقد أعد لخدمة ذلك على الكمال وقادًا يحكم ذلك وأجرى له جراية من أحباسه، ومن جملتها الفندق الكبير الشهير الذي بسوق الشماعين[2] المحبس عليه من قبل أمير المسلمين مولانا أبي يعقوب...**»[3]، ولا يزال يوجد بجامع القرويين بمدينة فاس، على يمين الداخل من الباب الرئيسي، غرفة مستطيلة الشكل ذات باب معقود، كانت مخصصة لحفظ أنواع الزيوت والمواد التي تستخدم في إنارة المصابيح والثريات المخصصة للجامع، وهي غرفة بسيطة، تحتفظ بآثار الزيوت على جدرانها[4].

---

(١) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين ، ص ٧٠٧.

(٢) يوجد سوق الشماعين بين جامع القرويين والضريح الإدريسي، وهو أحد اشهر الأسواق بالمدينة. خصصت دكاكين هذا السوق للاتجار في الشمع قبل أن يتم نقل بيع الشمع إلى باب ضريح المولى إدريس، واصبح سوق الشماعين خاصا ببيع الفواكه الجافة مثل الجوز والتمر والزبيب والتين. وفي السنوات الأخيرة، بدات بعض حوانيته تتحول إلى محلات لبيع الثياب بالجملة.

(٣) راجع: علي الجزنائي، جنى زهرة الآس ، ص ٧٩.

(٤) الدراسة الميدانية خلال شهري أكتوبر نوفمبر ٢٠٠٦م.





الثريات قبل العصر الموحدي

تؤكد الدراسات الأثرية والفنية أن أقدم ثريا في عمائر المغرب العربي بصفة عامة، هي ثريا جامع القيروان[١]، التي عثر عليها في مخزن ملحق بالمسجد الجامع بالقيروان[٢] وهي عبارة عن ثريا كبيرة بارتفاع: «٥١,٦ سم»، وقطر البدن «٤٨,٥ سم»، والبدن على شكل مخروطي، ويدور حول الرقبة شريط ضيق من الكتابات الكوفية، وتزخرف أسفل القاعدة شريط كتابي تسجيلي يقرأ: «**عمل محمد ابن علي القيسي الصفار للمعز**»[٣]، وتؤرخ هذه الثريا، فيما بين «٤٢١-٤٤٣ هـ/ ١٠٢٨-١٠٥١م»[٤] إلى الأمير المعز ابن باديس[٥] من بني زيري[٦] الذي قام بأشغال واسعة النطاق في جامع القيروان[٧]، اشتملت على إعادة سقوفه وإقامة المقصورة، التي

---

(١) جامع القيروان: هو جامع عقبة بن نافع الذي أسس سنة ٥٠ هـ. ويعود الفضل لزيادة الله الأول في رسم ملامحه وتخطيطه النهائي ٢٢١-٢٢٣هـ. وأضاف أبو إبراهيم أحمد سنة ٢٤٨ هـ المجنبات وقبة البهو. وهو يشتمل على ١٧ بلاطة وثمانية أساكيب ويستمد تخطيطه من الجوامع الأمويّة مع الإقتداء بمثال جامع الرّسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة. راجع: أحمد الطويلي، تاريخ القيروان الثقافي والحضاري، تونس، ٢٠٠١، ص ٣٥، ٤٥، Maoudoud ،Khaled،: Kairouan, Tunis, 1991. pp. 18-28.

(٢) راجع: صباح عبداللطيف مشتت، وعبدالعزيز أحمد الكباب، المداخل في العمارة الإسلامية، منشورات الإيسيسكو، ٢٠٠١، ص ٧٥.

(٣) راجع: Rice D. S., Studies in islamic Metalwork - V, BSOAS, 1955, XVII/2, pp.214-215.

(٤) أعلن المعز بن باديس أمير الزيريين القطيعة مع الفاطميين سنة ٤٤١هـ/ ١٠٤٩م، وضرب نقوداً تخلى فيها عن الشعارات الشيعية وعن اسم الخليفة الفاطمي المستنصر، ونقش عليها « الإمام عبدالله أمير المؤمنين»، والآية رقم ٨٤ من سورة آل عمران، ولكنهلم ينقش اسمه، بل اكتفى بالإشارة إلى تاريخ ومكان الضرب . راجع: حسن حافظي علوي، جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد الثالث والعشرون، ١٩٩٩، ص ١٢٧.

(٥) راجع: مراد الرماح، ملاحظات حول ضرب السكة بالقيروان، أفريقية، المعهد الوطني للتراث، عدد ١٩، تونس، ٢٠٠٢، ص١٣.

(٦) راجع: زكي محمد حسن، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٩٤٨، ص ٥٢٣.

(٧) قرا « Rice»، الكلمة الأخيرة، بنحو « المغربي»، والثابت أن الصانع يحمل لقب النسبة إلى بلده عندما يكون خارجها، وربما كان « محمد ابن علي» الذي امتهن صناعة التحف المعدنية وورد اسمه بلفظة « صفار»، من مدينة القيس في صعيد مصر، ثم هاجر إلى تونس هو وأسرته، وأقام فيها وزاول عمله فيها، وعلم حرفته لولده من بعده، حيث كانت تونس في ذلك الوقت جزءاً من الدولة الفاطمية وكان الصناع يتنقلون في أرجائها دون قيد أو شرط راجع: Rice D. S., Studies in islamic-V., 216، عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة ببيروت، د.ت، ص ١٧٦- ١٧٧.

قش اسمه عليها[١]، بالإضافة إلى وجود ثلاثة نصوص تسجيلية بمصحف حبس على جامع القيروان[٢] يحمل اسم فاطمة حاضنة باديس[٣].

وعلى الرغم من أنه لم يصل إلى أيدينا ثريات معدنية قبل العصر الموحدي، إلا أن ذلك لا يعني عدم معرفة المغرب الأقصى لصناعة الثريات، والدليل على وجودها قبل العصر الموحدي، تلك الإشارات البسيطة التي أوردها بعض المؤرخين مثل «على **ابن أبي زرع الفاسي**[٤] **وعلي الجزنائي**[٥]، **وأحمد ابن القاضي المكناسي**[٦]» عند وصفهم للثريا الكبرى بجامع القرويين التي صنعت في العصر الموحدي بأنه كان بموضعها ثريا مثلها في الجرم اندثرت وتكسرت وصنعت موضعها الثريا الموحدية الحالية.

ويمكن القول بأن المغرب الأقصى عرف صناعة الثريات المعدنية واعتبرها من أهم وسائل الإضاءة، وتنوعت أشكالها ومواد صناعتها خلال العصور الإسلامية، حيث إن الصناع المغاربة ورثوا فن صناعة هذه الأدوات من تراثهم التقليدي السائد، متأثرين في مراحل تطوره بالطرق الصناعية والأساليب الفنية الوافدة من مشرق العالم الإسلامي، بالإضافة إلى المؤثرات الفنية الوافدة من بلاد الأندلس، التي نهضت فيه صناعة المعادن بصفة عامة خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، حيث ظهرت كثير من التحف المعدنية ذات الزخارف الكتابية والنباتية[٧].

---

(١) راجع: سليمان مصطفى زبيس، الفنون الإسلامية في البلاد التونسية، المعهد القومي للآثار والفنون، ١٩٧٨م، ص ١٢٥- ١٢٦.

(٢) يقرأ النص الأول بنحو: « حبس على جامع مدينة القيروان مما أمرت به فاطمة حاضنة باديس في سنة عشرة وأربعمائة ابتغاء وجه الله الكريم وطلب مرضاته»، ويقرأ النص الثاني: بسم الله الرحمن الرحيم قالت فاطمة الحاضنة حاضنة أبي مناد باديس حبست هذا المصحف بجامع مدينة القيروان رجاء ثواب الله ... وذلك في شهر رمضان من سنة عشر وأربعمائة « أما النص الثالث، يقرأ: « بسم الله الرحمن الرحيم كتب هذا المصحف وشكله ورسمه وذهبه وجلده علي بن أحمد الوراق للحاضنة الجليلة حفظها الله على يدي حرة الكاتبة سلمها الله ...» . راجع: Rice D. S., Studies in islamic-V., 216.

(٣) فاطمة حاضنة باديس: كانت حاضنة لابيه وهي سيدة مسيحية اعتنقت الإسلام، وسميت فاطمة وخدمت في بيت بني زيري ثم أصبحت حاضنة للمعز بن باديس، وتوفيت عام ٤٢٠هـ/ ١٠٣٠م، واشتهرت باسم فاطمة حاضنة باديس أو فاطمة حاضنة أبي مناد باديس. راجع: Rice D. S., Studies in islamic-V., 216.

(٤) راجع: ابن أبي زرع: روض القرطاس ، ص٨١.

(٥) راجع: علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبدالوهاب منصور، ط٢، المطبعة الملكية الرباط ١٩٩١م، ص ٦٩.

(٦) راجع: ابن القاضي « أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، القسم الأول، ١٩٧٣من ص ٦٩.

(٧) من أجمل أمثلة الثريات التي تعود إلى بلاد الأندلس، ثريا من البرونز عثر عليها في مسجد قصر الحمراء، تحتوي على كتابة بخط مغربي باسم ابي عبد الله الثالث، وهو من سلاطين بني نصر ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٥م. راجع: سعاد ماهر، كتاب الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٥٢.



الفصل الثاني

الثريات في العصر الموحدي

أولاً: الثريات الكبرى

على الرغم من قلة ما وصل إلى أيدينا من الثريات المعدنية في المغرب الأقصى خلال العصور الإسلامية[1] إلا أن المساجد المغربية قد حفظت لنا مجموعة نادرة من الثريات الكبرى التي يعود تاريخها إلى العصر الموحدي، والتي تعتبر تحفًا فنية ذات قيمة فريدة، ويمكن دراسة ذلك على النحو التالي:

١ـ الثريا الكبرى بجامع القرويين

- **النوع:** ثريا
- **المادة:** النحاس والبرونز
- **المكان:** جامع القرويين بفاس
- **المقاييس:** القطر ٢,٢٥م
- **التاريخ:** ٦٠٠ هـ / ١٢٠٢م
- **التوصيف:**

تعتبر الثريا الكبرى بجامع القرويين بمدينة فاس[2] المؤرخة في عام ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٢م، والتي تنسب إلى الخليفة الناصر أبي عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن[3] أقدم

(١) تؤكد التحف موضوع الدراسة عدم صحة ما ذكره «ديماند» عن التحف المعدنية في شمال أفريقيا بقوله: «أما شمال أفريقية فلم تصل التحف المعدنية إلى مستوى فني محترم». راجع: ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد عيسى، مراجعة أحمد فكري، دار المعارف، ط ٣، ١٩٨٢م، ص ١٦٢- ١٦٣.

(٢) بادرت فاطمة الفهرية أم البنين فأسست بمالها عام ٢٤٥ هـ / ٨٦٩م جامع القيرويين الأول الذي أصبح أقدم جامعة في العلم بعد أن اجتمع لفاس حاضرة المغرب علوم وفنون القيروان وما وراءها بمصر والعراق، وتراث قرطبة وما وراءها بحواضر الأندلس، وإذا كانت أول مدرسة اختُطت بالشمال الإفريقي قد نشأت في القيروان بتونس، فقد تبع ذلك بعد قليل بناء أكبر جامع بشمال إفريقيا، وهو جامع القرويين الذي يرجع بناؤه إلى عهد أول دولة إسلامية أسست بالمغرب، وهي مملكة الأدارسة التي اتخذت مدينة فاس عاصمة لها. وتم الشروع فيه يوم السبت مهل رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومئتين/ ٣٠ نوفمبر ٨٥٩م. راجع: ابن أبي زرع: روض القرطاس، ص ٣٤-٣٨.، عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة ، ص٦٢، عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج ١، ط ١، الرباط، ١٩٩٢م، ص ٢٦٦، حسن السائح، التاريخ العلمي لجامعة القرويين، منشورات الإيسيسكو، الرباط، ١٩٩٧م، ص١٥

(٣) هو أمير المؤمنين محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، ولقبه الناصر لدين الله، بويع الناصر في حياة أبيه، وجددت له البيعة بعد وفاته، وذلك يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه. وكانت وفاته مسموما يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من عام عشرة وستمائة. راجع: ابن أبي زرع: روض القرطاس ، ص٣٠٣، ٣١٧، المراكشي، أبي محمد عبدالواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٢٢٦.



ثريا في عمائر المغرب الأقصى[1] وهي معلقة بالقبة الخامسة، وهي القبة التي تتوسط امتداد البلاطة الثريا الكبرى «اللوحتان «١و٢»»، وهي من أشهر ثريات العصر الموحدي، فقد صنعت بأمر بصنعها الخليفة الناصر أبو عبد الله بن يعقوب بن يوسف لجامع القرويين بفاس في ١٢٠٣م[2]، من بقايا ثريا قديمة بعد صهرها من جديد وإضافة البرونز إلى مادة النحاس[3]، وباقتراح من القاضي الخطيب أبي عبدالله بن موسى المعلم[4] الذي جمع لصنعها مهرة صناع فاس، في الفترة من ١٢٠٢ إلى ١٢١٩هـ، وتكلفت ٧١٧ دينارًا فضية[5].

ويصفها المؤرخ علي الجزنائي بقوله: «**وفيها من الصنعة ما يعجز عنه الآن، وفي زنتها سبعة عشر قنطارًا وربع قنطار، وفي دورها اثنان وثلاثون شبرًا، وعدد مراكز قناديلها خمس مئة وعشرون مركزًا، والذي يملأ قوارير سرجها من الزيت خمس قلل، وكانت تسرج كلها في ليالي رمضان، وتارة لا تسرج**»[6]، وقد أمر السلطان يوسف المريني[7] أن سرج

---

(١) راجع:

A. Puertas Fernandez, Topología de lámparas de bronce de al-Andalus y el Maghreb, Miscellanées de Estudios Hebraicos Arabes y, Secion Arabe-Islam. 48, Grenade, 1999, P.383.

(٢) راجع:

P. Ricard, Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique nord et en Espagne, Paris, 1924,pp.298-299.

(٣) راجع:

H. Terrasse et Hainaut J., Les arts décotatifs au Maroc, Editions Afrique Orient, 1988,pp.127 -140.

(٤) بعد وفاة الفقيه موسى المعلم في العشرين من شهر صفر عام تسعة وتسعين وخمسمائة، ولي بعده ولده الفقيه عبدالله بن موسى المعلم وسنه يوم ولي المحراب ثماني عشرة سنة، فلم يزل إماماً وخطيباً إلى أن توفي يوم الأحد الحادي عشر من رجب الفرد عام أحد عشر وستمائة. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس ، ص ٨٩، ٩٠.

(٥) راجع:

Terrasse H., La mosquée al-Qaraouiyine à Fès, Archéologie méditeranéenne, III, C. Clincksieck, Paris, 1968,p.57

(٦) ويضيف على الجزنائي قائلا: « إلى أن ولي الشيخ الفقيه محمد بن أبي الصبر قضاء المدينة فرأى أنه إن أسرجت كل ليلة من رمضان قد يكون ذلك سرفاً في مال الجامع، وإن لم تسرج قد يكون ذلك تعطيلاً لما أريد بها. فاقتضى نظره أن استشار في ذلك أمير المسلمين مولانا أبا يعقوب وانهى إليه أمرها، فأمره أن يأخذ في ذلك بالأوسط من الأمور، وأن تسرج كلها في كل ليلة من ليالي السابع والعشرين من رمضان، ويسرج بعضها في سائر ليالي العام، فدام العمل على ذلك إلى الآن «أيام علي الجزنائي حوالي عام ٧٦٦هـ». راجع: علي الجزنائي، جنى زهرة الآس ، ص ٦٩.

(٧) هو أمير المسلمين يوسف بن يعقوب بن عبدالحق: يكنى أبا يعقوب، أمه أم العز بنت محمد بن حازم العلوي، بويع في غرة صفر سنة ٦٨٥، وقتل ٢٦ في ضحى يوم الأربعاء السابع لذي القعدة عام ٧٠٦هـ، وله ٦٦ سنة، ودفن بشالة، وكانت دولته ٢١ سنة، و٩ أشهر، و٢٥ يوماً. راجع: إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، ط٢، المكتبة الملكية، الرباط، ١٩٩١م، ص ٣٠، ٣١.

كلها في ليلة السابع والعشرين من رمضان ويسرج بعضها في سائر ليالي العام[١].

وتقع هذه الثريا في ملتقى البلاطتين الوسطى الممتدة من المحراب للعنزة وبلاط باب الصالحين من الناحية الغربية وباب السبع من الجهة الشرقية تحت القبة المضلعة الخامسة من المحراب، ويبلغ قطرها ٢,٢٥م[٢]، وعلقت الثريا بواسطة ساق تحتوي على مجسم ذي ست زوايا وكرتين في قاعدته شبه شمعدان يحمل المصابيح. وشكل الثريا العام عبارة عن مخروط يحتوي على اثني عشر دورًا أكبرها السفلي وأصغرها العلوي، وتحتوي كل دورة على إطار بارز ركبت عليه مساند القوارير الزجاجية التي بلغ عددها في الدورة الأولى أربعًا وخمسين قارورة، وفي الدورة الثانية تسعًا وأربعين قارورة، وفي الثالثة خمسًا وأربعين، وفي الرابعة تسعًا وثلاثين، وفي الخامسة ستًا وثلاثين، وفي السادسة ثلاثين، وفي السابعة خمسة وعشرين، وفي الثامنة تسع عشرة، وفي التاسعة أربع عشرة، وفي العاشرة عشر قوارير، وفي الحادية عشرة أربع قوارير، وفي الثانية عشرة قارورتين، والمجموع ثلاثمائة وسبع وعشرون. وحدد مسطحها بإكليل مسنن، وتظهر من داخلها قبة مضلعة من اثني عشر جناحًا، وازدانت زوايا القاعدة بفصوص ناتئة، وتتصل القاعدة بمساند ذات نقوش مزهرة، لا يوجد جزء من أقسامها، حتى الداخلية منها، خلوًا من الزخرف، من غير أن يحجب ذلك أشكال الكتابات أو الزخارف النباتية. ونلاحظ على قطع الإكليل الذي يحيط بأسفلها زخارف متنوعة فيها خطوطًا كوفية[٣].

ويتوسط الثريا قبة من النحاس المشغول، زخرفت إطاراتها بزخارف نباتية قوامها مراوح نخيلية، وأنصاف مراوح نخيلية يتخللها نقوش كتابية مكتوبة بالخط النسخ المغربي نفذت بطريقة الحفر[٤]، وتشكل مجموعة النقوش الكتابية المنقوشة على هذه الثريا آية من آيات الفن الموحدي، حيث تضمنت نقوشها الكتابية عبارات انفردت بها الفنون الموحدية مثل

(١) أول النقوش المرينية المحفوظة على خشب العنزة تؤرخ لسنة سبع وثمانين وستمائة، حيث قام العاهل المريني الثاني أبو يعقوب بتعويض الألواح القديمة التي عرفت منذ أيام المرابطين بهذه اللوحة الفنية الرائعة المزخرفة بالخط الكوفي والنسخي، منها تسعة أبيات تتضمن التاريخ. راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة، ص٦٧.

(٢) H. Terrasse. La mosquée al-Qaraouiyine à Fès., pp. 57 -59

(٣) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين: المسجد والجامعة بمدينة فاس، مج١، دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٢، ص٨٠-٨١.

(٤) راجع:

A. Fernandez Puertas, Topología de lámparas de bronce de al-Andalus y el Maghreb. Miscellanées de Estudios Arabes y Hebraicos, Secion Arabe-Islam, 48, Grenade, 1999, P. 387.

عبارات: «**العظمة لله**»، «**العزة لله**»، بالخط الكوفي، وعبارة أخرى مثل: «**السعادة والإقبال**» بالخط النسخ[1]، «اللوحتان «٣ و٤»»، وبجانب هذه الدوائر أفاريز نقشت عليها آيات قرآنية تقرأ على النحو التالي:

الشريط الأول: شغل الشريط الأول بكتابات بالخط الكوفي على مهاد نباتي يقرأ كالتالي: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليمًا. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.... [لقمان: ٣٣، ٣٤]، ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾.... [الحشر: ٢١ - ٢٤]، ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.... [الأحزاب: ٥٦].

الشريط الثاني: وشغل هذا الشريط بكتابات بالخط الكوفي المجوهر على مهاد نباتي يقرأ على النحو التالي:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾.... [النور: ٣٥- ٣٨]. ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ

---

(١) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين بمدينة فاس، مجلة الدارة، العدد ٤، ١٤١٢هـ، ص١٢٥.



ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.... [التوبة: ١٨].

الشريط الثالث: يحتوي هذا الشريط على اثني عشر جناحًا، يتخذ كل جناح شكل مربع ناقص ضلع، بحيث يحتوى كل جانب من هذه الجوانب الستة والثلاثين على كتابات قرآنية بالخط الكوفي، تقرأ كالتالي:

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ، اللهم صلي على محمد وآله، ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.... [آل عمران: ١٩٠ – ٢٠٠]، «اللوحتان ٥، ٦»

الكتابات التسجيلية على الدائرة السفلية

تشتمل الدائرة السفلية على كتابات تسجيلية بالخط النسخي، تقرأ على النحو التالي:

«أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ / ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ / ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا / وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ / ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن / فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾.... [فاطر: ٢٩ – ٣١] / تجددت هذه الثرية السعيدة عن أمر / مولانا أمير

المؤمنين المتوكل على ر / ب العالمين مولانا إسماعيل الشريف / الحسني أيده الله ونصره سنة «١١٢١ هـ» /» «اللوحات: «٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ و١٢ و١٣».

ومن الثابت تاريخيًا أن السلطان إسماعيل الذي حكم في الفترة من «١٠ ذو الحجة ١٠٨٢هـ ٢٧ رجب ١١٣٩هـ/ مارس ١٦٧٢م - فبراير ١٧٢٧م»، قد أصدر أمره بإنزال هذه الثرية وتنظيفها وإعادة صنع القطع التي تهددت فيها بتلف أو ضياع، ثم إعادتها إلى مكانها بعد أن نقش اسمه عليها[1].

واستنادًا إلى الحروف المنقوشة في نهاية هذا النص التسجيلي السابق ذكره، المكونة من حروف الخط الفلكي المغربي، والتي أرخها الدكتور عبدالهادي التازي في سنة ١٩٦٠ إلى سنة ثلاثين ومائة وألف[2] واعتمد عليه الدكتور عثمان عثمان إسماعيل[3] ومن خلال الدراسة التطبيقية لهذا النص وفحص جميع الحروف المنقوشة، ومطابقتها بأبجدية حروف الخط الفاسي، يمكن الإشارة إلى أن القراءات السابقة أهملت الحرف الأول من التاريخ المدون على هذه التحفة، وهو الحرف الذي يشبه حرف «اللام» في اللغة العربية، ويساوي رقم الآحاد «١» يليه حرف يساوي رقم «٢٠» ثم يليه حرف يشبه حرف الصاد الراجعة في اللغة العربية ويساوي رقم «١٠٠»، ثم حرف يمثل العدد «١٠٠٠» في الحروف العددية في الخط الفاسي أو القلم الرومي، وعليه يمكن تأريخ هذا النص التسجيلي إلى عام ١١٢١ هـ. «لوحة ١٤» «شكل رقم ١».

والمعروف أن الدولة العلوية استعملت منذ بداية ظهورها، الأشكال السرية لتنفيذ خططها ومناهجها. ويلاحظ بالنسبة لفصول بعض المعاهدات التي اتفق أنها تبقى سرًا بين الدولتين، هذا إلى ما دأب المغاربة على استعماله مما يدخل في إطار «التعميمات» من رسم الأرقام بالخط الفاسي أو القلم الرومي، نقلا له عن الكتابة الإغريقية القديمة، وذلك عند قسمة الميراث أو في بعض حجج الوقف المعروفة في المغرب تحت اسم «الحوالات الحبسية». ولقد ابتكروا هذه واستعملوها لهدفين اثنين:

---

(١) السلطان أبو النصر إسماعيل المظفر بالله ابن المولى محمد بن علي الشريف ١٠ ذو الحجة ١٠٨٢هـ ٢٧ رجب ١١٣٩هـ/ مارس ١٦٧٢م فبراير ١٧٢٧م)، وهو الابن الثالث للشريف محمد بن علي بن يوسف بن علي بن حسن. راجع: السلاوي، كتاب الاستقصا، ج٦، ص ٦٧-١١٣، حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج ٢، ص ٢٣٧ - ٢٨٤.

(٢) راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة ، مج ١، ص ٧٤.

(٣) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين ، مج ٣، ص ٦٥٤ -٦٥٥، عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج ٥، الرباط، ١٩٩٣، ص٣٨٨.



أولًا: الاختصار وتقليص مساحة الورق.

ثانيًا: تعمد تعمية الأسرار على العامة في الميراث.

وقد حمل هذا الخط اسم «الخط الفاسي»؛ لأنه كاد يكون استعماله مقتصرًا على هذه المنطقة ومن اتصل بها في المغرب، وليس القصد إلى أن أهل فاس هم الذين اخترعوه، فلقد استعاروه من الكتابات الإغريقية القديمة[1]، ويعدُّ هذا النص التسجيلي أقدم نقش حفظ في جامع القرويين للدولة العلوية[2].

كما يشتمل داخل قبة الثريا على دائرة من اثني عشر ضلعًا تضم كتابات قرآنية بالخط النسخ، تقرأ على النحو التالي:

«أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ اللهم صلِّ على محمد وآله ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾.... [التوبة: ١٠٨] ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ .... [الحج: ٧٧]»[3]، «لوحة ١٥».

وتعتبر ساق الثريا الكبرى بجامع القرويين على درجة كبيرة من الأهمية، حيث تشتمل على اسم الخليفة الذي أمر بصناعتها، ومكان وتاريخ صنعها، «لوحات ١٦ و١٧» وتقرأ من أعلى إلى أسفل على النحو التالي:

النص الأول: يقرأ: **«هذا ما أمر به الخليفة أمير المؤمنين أبو عبدالله ابن الخليفة الامام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تاييدهم وعزهم»**[4].

---

(١) راجع: عبدالهادي التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٨٣م، ص ٤٢- ٤٤.

(٢) وابرز ما يرجع إلى عهد السعديين بجامع القرويين ساريتان رخاميتان متقابلتان بالقبة التي توجد تحت الصومعة والتي تنسب للسعديين .. وكتب موزعاً على أربع زوايا هذه الفقرات: « أمر ببناء هذه القبة السعيدة عبدالله علي أمير المسلمين، ابن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد، بن يعقوب، بن عبدالحق، فكملت سنة خمس وأربعين وسبعمائة». كما قام السعديون بإصلاحات في سارية الزاوية الغربية الجنوبية من القرويين حيث نقش على السارية الجنوبية: « أمر بعمل هذه السارية مولانا السلطان أبو فارس عبدالعزيز عام سبعين وسبعمائة». أما الأشراف العلويون فقد انصرفت همتهم في القرويين إلى المحافظة على التراث، وبعد المولى إسماعيل أتى دور السلطان محمد بن عبدالرحمن «محمد الرابع ١٢٨١هـ» الذي أصدر أوامره بإصلاح العنزة الحالية. ثم توجهت العناية للقيام بإصلاح القرويين أيام المولى الحسن الأول، وكذلك في عصر جلالة محمد الخامس الذي أمر بإصلاح جميع الثريات. راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة، ص٦٨-٧٥ .

(٣) الدراسة التطبيقية في جامع القرويين «ينشر هذا النص للمرة الأولى».

(٤) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج٣، عصر دولة الموحدين، ط١، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣م، ص ٢٧٤.

«لوحات ١٨، و١٩، و٢٠، ٢١».

النص الثاني: يوجد هذا النص أسفل النص التسجيلي السابق، ونقشت عليه الآية القرآنية الكريمة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ / وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.... [الحج: ٧٧] صدق الله العظيم.

النص الثالث: نقش هذا النص التاريخي المهم على ساق الثريا أسفل الآية الكريمة السابقة، وهو عبارة عن كتابات تسجيلية مهمة تشير إلى تاريخ ومكان صناعتها، تقرأ كالتالي: **«صنعت هذه الثرية بمدينة فاس حرسها الله وكان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ستمائة».**

النص الرابع: نقش أسفل النص التسجيلي السابق الذي يشير إلى مكان وتاريخ صناعة الثريا، عبارات قرآنية تقرأ كالتالي: «﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾.... [الجن: ١٨]. صدق الله. لا إله إلا الله. محمد رسول الله»[١].

وقد جاء العديد من أبيات الشعر التي تصف الثريا الكبرى بجامع القرويين، منها ما أورده المؤرخ «ابن القاضي» في كتاب «جذوة الاقتباس» حيث ذكر البيت الشعري التالي:

تحكي الثريا الثريا في تألقها وقد لواها نسيم وهي تنتقد
كأنها لذوي الإيمان أفئدة من التخشع جوف الليل ترتعد

كما ذكر «ابن القاضي» أن أبا القاسم المزياتي كان جالسًا تحت هذه الثريا في ليلة ومعه ابن عبدون[٢]، والأديب مالك بن المرحل[٣]، ومحمد بن يخلف[٤] فأنشد المزياتي قائلًا:

انظر إلى ثريا نورها يصدع باللألاء سجف الغسق

فقال ابن عبدون:

كأنها في شكلها ربوة انتظم النور بها فاتسق

---

(١) عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة ، ص ٦٦، ٦٧.

(٢) ابن عبدون: هو أحمد بن قاسم الجذامي المعروف بابن البغيل الأديب، توفي بالطاعون عام ٧٤٩هـ . راجع: الشيخ محمد عبدالحي الكتاني، ماضي القرويين ومستقبلها، تعليق عبدالمجيد بوكاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م، ص ٣٧.

(٣) نفسه.

(٤) هو محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف البغدادي (٥٤٦هـ/ ١١٥١ ١٢٣٦م) من أهل بغداد، كان أكثر أخذه عن ابن الجوزي، وله كتاب في تاريخ البغداديين. راجع: الشيخ محمد عبدالحي الكتاني، ماضي القرويين ، ص ٣٧.

فقال ابن المرحل:

أعيذها من شر ما يتقى — من فجأة العين برب الفلق

فقال ابن خلف[1]:

باهى بها الإسلام ما أشرقت — كأساتها عند مغيب الشفق

كما جاء في وصف السراج البيت الشعري التالي[2]:

انظر إلى سراج في الليل مشرقة — من الزجاج حواها وهي تلتهب

كأنها ألسن الحيات بارزة — عند الهجير فما تنفك تضطرب

يلي ثريا الخليفة الناصر الكبرى بجامع القرويين، ثريا أخرى كبيرة ترجع إليه معلقة في الجامع الأعظم بمدينة مكناس، وتحمل تاريخ «٦٠٤ هـ/١٢٠٦م»، ويمكن وصفها ودراستها كالتالي:

٢ـ الثريا الكبرى بالجامع الأعظم بمكناس

النوع: ثريا كبيرة.

المادة: النحاس والبرونز.

المكان: الجامع الأعظم بمكناس

المقاييس: ٢,٢٥م.

التاريخ: ٦٠٤ هـ/ ١٢٠٦م.

التوصيف:

تقع هذه الثريا في ملتقى البلاطتين الوسطى الممتدة من المحراب للعنزة وبلاطة الباب الشمالي تحت القبة المضلعة السادسة من المحراب، ويبلغ قطرها ٢,٢٥م تقريبًا، ويتكون جسم الثريا من هيئة مخروط ذي ثلاث طبقات حيث نجد أن كل طبقة أو درجة محاطة بجسم دائري لحمل القناديل التي كان يسرج بها الزيت، كما يحمل المستوى الخارجي تتويجًا ذا شرفات مسننة، ويشتمل هذا الجزء على ثلاثة أدوار أكبرها السفلي وأصغرها العلوي. «لوحة ٢٢».

(١) راجع: ابن القاضي، أحمد بن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، القسم الأول، ١٩٧٣من ص ٦٩- ٧٠.

(٢) المرجع نفسه: ص ٦٩- ٧٠.



وتحتوي كل دورة على إطار بارز ركبت عليه مساند القوارير الزجاجية التي بلغ عددها في الدورة الأولى تسعة وثلاثين مصباحًا، وفي الدورة الثانية أحد وثلاثين مصباحًا، وفي الثالثة سبعة عشر مصباحًا، ويملأ الفراغ الداخلي قبة مضلعة ذات اثني عشر ضلعًا.

كما يتوج هذه الثرية قبة صغيرة من النحاس المشغول ذات فصوص وتزدان الشبكة المعرقة بحشوات نباتية مقصوصة ومحفورة، وتجلس تلك القبة فوق منشور متعدد الزوايا حيث عملت الجوانب أيضًا من حشوات نباتية الزخرفة، وقد ربطت القاعدة بالمخروط بواسطة صينية دائرية تحمها كوابيل زهرية، «لوحة ٢٣»، وتشتمل الصينية على أربعة أشرطة زخرفية دائرية زخرفت إطاراتها بزخارف نباتية قوامها مراوح نخيلية، وأنصاف مراوح نخيلية، يتخللها نقوش كتابية بالخط الكوفي والنسخ المغربي. وتحتوي الصينية على عدة أشرطة زخرفية، يمكن وصفها على النحو التالي:

الشريط الأول:

يدور الشريط الأول حول حافة الصينية الخارجي، ويشتمل على آيات قرآنية بالخط الكوفي، تقرأ كالتالي: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾.... [لقمان: ٣٣-٣٤]» «﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾.... [الحشر: ٢١- ٢٣]» «لوحة ٢٤».

الشريط الثاني:

يلي الشريط السابق، ويشتمل على زخارف نباتية نفذت بطريقة التفريغ، قوامها أشكال مراوح نخيلية، وأنصاف المراوح النخيلية[1]. «لوحة ٢٥»

الشريط الثالث:

يشتمل هذا الشريط على آيات قرآنية بالخط الثلث على مهاد نباتي تقرأ كالتالي: «أعوذ

---

(١) الدراسة التطبيقية اكتوبر ٢٠٠٦م.

بالله العظيم من الشيطان الغوي / الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم صلى / الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا / ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ / وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .... [الحج: ٧٧]. ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ / جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ / حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ / وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ / ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ .... [الحج: ٧٨] / ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا صَلُّواْ﴾.... [الأحزاب: ٥٦]». «لوحة ٢٦».

الشريط الرابع: يعتبر هذا الشريط الزخرفي أوسع الأشرطة، ويشغل الحافة الداخلية للصينية، ويملأ بتكوينات نباتية مفرغة قوامها أوراق نباتية ثلاثية البتلات يتوسطها جامات مفصصة شغلت بعضها بزخارف نباتية، أما البعض الآخر، فقد كتب بداخله كلمات بالخط النسخي تقرأ كالتالي: «محمد»، «رسول»، و«الله». «لوحة ٢٧».

تأريخ الثريا

تعتبر هذه الثريا من التحف المعدنية المهمة بالمغرب الأقصى، التي احتوت شريطًا تسجيليًا بالخط الكوفي المورق على الدائرة السفلية، يمكن قراءته على النحو التالي: «**صنعت هذه / الثرية بمدينة فاس / حرسها الله لـ / جامع مكناسة / شرفه الله بذكره / وكان الفراغ من عملها / في العشرين من / شهر ذي القعدة / سنة أربعة وستمائة**».«اللوحتان ٢٨ - ٣٢».

وقد علقت الثريا بواسطة ساق تحتوي على مجسم ذي ست زوايا من النحاس الأصفر، وكرتين في قاعدته شمعدان يحمل ستة مصابيح. «لوحة ٣٣».



ثانيًا: الثريات الناقوسية

إلى جانب الثريات التي كانت تصنع خصيصًا للمساجد والمدارس والتي كان يوقف عليها الكثير من الأوقاف لإنارتها، عرف المغرب الإسلامي وبخاصة المغرب الأقصى، نوعًا آخر من الثريات(١) كانت تصنع من نواقيس الكنائس التي كان ينجح المسلمون في الحصول عليها بعد منازلة أعدائهم في بلاد الأندلس(٢).

ويقول ابن صاحب الصلاة عن هذه النواقيس التي أخذت من كنائس إسبانيا عند حديثه عن منازلة وبذة: «.... **وهدمت بيعهم وأخذ فيها تسعة نواقيس». ويؤكد أهمية هذه النواقيس جيث كانت أول الأشياء التي أمر الخليفة بتحميلها معه، حين يقول: «وأمر في الحين أبو الأصبع بن حكم القبطلي المقدم على الدواب أن يسوق دواب في ذلك الوقت على ما تحصل النواقيس التي أخذت في الكنائس»**(٣).

وتحتوي بلاطة المحراب بجامع القرويين على خمس ثريات صنعت من النواقيس مختلفة الأحجام والأشكال والسعة، وزعت على خط مستقيم، في مجموعة القباب بدءًا من القبة الخامسة من جهة المحراب، وحتى القبة العاشرة الواقعة خلف العنزة، بالإضافة إلى ثريا ناقوسية معلقة بباب الشماعين(٤).

(١) تمكن العرب المسلمون من معرفة خصائص المعادن وإدراك أساليب التصفية للفلزات المستخرجة من معادنها وتقنيات صهرها وقولبتها ومهارة في التفنن في صنع الأدوات النحاسية المنقوشة والمرصعة بأسلاك الفضة، والمزينة بالكتابات المرسومة عليها. راجع: محمد السويسي، العلوم والاستكشافات ودورها في تطوير الصناعات والفنون، كتاب الفن العربي الإسلامي، ج ١، تونس ١٩٩٤م، ص ٩٣.

(٢) حظي النصارى في ظل الدولة المرابطية بشكل من أشكال التسامح الديني رغم بعض المضايقات التي تعرضوا لها بسبب الوضعية الاقتصادية التي عرفتها الدولة في بعض السنين، كما أن الحروب الصليبية التي بلغت ذروتها في هذه الحقبة، جعلت بعض الفقهاء يستغلونها ذريعة لاتخاذ مواقف متشددة، وحسبنا أن هدم كنيسة ألبيرة وقع في السنة نفسها التي استولى فيها الصليبيون على بيت المقدس. راجع: إبراهيم القادري بوتشيش، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من عطاءات الحضارة الأندلسية،بحث منشور في كتاب ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٩٩٦م، ص ٢٣٧.

(٣) راجع: ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبدالهادي التازي، سلسلة كتب التراث ٦٨، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٥٣٣.

(٤) ذكرت بعض الدراسات السابقة أن عدد الثريات الناقوسية في بلاطة المحراب ست ثريات، ومن خلال الدراسة التطبيقية، يتضح أن عدد هذه الثريات خمس ثريات ناقوسية بدءا من القبة الخامسة التي تلي الثريا الكبرى وحتى القبة التي تتقدم العنزة. راجع: راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس ، ص١٢٩.

كما يحتفظ جامع الأندلسيين ببعض الثريات الناقوسية. وتعلق في الجامع الأعظم بمدينة تازة ثريا ناقوسية أخرى. ويمكن وصف ودراسة ثريات النواقيس المحفوظة في عمائر المغرب الأقصى على النحو التالي:

أولًا: ثريات النواقيس بجامع القرويين:

١- النوع: ثريا

المادة: النحاس والبرونز

المكان: توجد بعد الثريا الكبرى مباشرة في القبة السادسة في بلاطة المحراب

المقاييس: القطر «٥٨ سم»

التاريخ: العصر الموحدي

التوصيف:

إذا تجاوزنا القبة الخامسة التي فيها الثريا الكبرى، نجد هذه الثريا في القبة السادسة من جهة المحراب، وهي القبة التي تغطي جزءًا من امتداد البلاطة الوسطى بظلة القبلة، وتتكون من بدن الناقوس، وهو من الحجم المتوسط، إذ يبلغ اتساع قطر فوهته الدائرية من أسفل ٥٨سم تقريبًا. وقد شغل بدن الناقوس من الخارج ثلاثة أحزمة متطابقة تؤازر جميعها بدن الناقوس. والأحزمة الثلاثة تتدرج إلى أصغر كلما اتجهت إلى رقبة الناقوس. وتشتمل مجموعة الأحزمة على أذرع منكسرة الشكل تحمل أطرافها العليا سندات القوارير. «لوحة ٣٤».

أما فوهة الناقوس من الداخل فقد سدت بواسطة طبق نحاسي مستدير الشكل مكون من أجزاء منفصلة ثبتت عن طريق الأذرع المتصلة بالكرسي النحاسي الصغير، وقد ركبت في قاعدة الكرسي من أسفل أربعة برامق نحاسية صغيرة، وتحتوي قمة الثريا على مقبض مستحدث.[١] «لوحة ٣٥»، تحمل الثريا والناقوس بعض النقوش الكتابية، أقدم هذه النقوش المحفورة على بدن الناقوس الخارجي من جهة الرقبة، وهي عبارة عن نقوش تتضمن عبارات لاتينية تقرأ: «vox domini sonata domini rome fecit»، ومعناها: **«صوت الرب يجلجل في بيته، صنع هذا الجرس روميو»**[٢]. «لوحة ٣٦».

وتضمنت النقوش العربية التي نقشت على الإطارات النحاسية آيات قرآنية، منها نقش بالخط النسخي على حافة الثريا يقرأ: «أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ، وصلى الله على

(١) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس ، ص ١٣٢- ١٣٥.

(٢) عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج ٢، ص ٣٢٩.

سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا. ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾». ويلي سورة الإخلاص نقش آخر يشتمل على البسملة منقوشًا بالخط النسخي. كما يوجد نقش آخر منقوشا على الطبق النحاسي في أسفل بالخط النسخي المنفذ بطريقة الحز يقرأ: «أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ»، ويحتوي كرسي الثريا على نقوش كتابية تشتمل على عبارات دعائية نقشت بالخط النسخ تقرأ: «**الملك الدائم العز القائم**»[1]. «لوحة ٣٧».

ومن الملاحظ على النقوش الكتابية السابقة، سواء المنفذة على بدن الناقوس بالحروف اللاتينية أو المنفذة على إطارات الثريا بالحروف العربية، أنها لم تشتمل على تاريخ الصناعة أو أسماء الحكام الذين أمروا بتصنيعها وتعليقها. وإن كان من المسلم به نسبة هذه النواقيس إلى العصر الموحدي، إلا أن عناصرها الزخرفية الحالية، وما تحمله من عبارات دعائية وبمقارنتها مع أشكال الخطوط والعبارات الموحدية على العمائر الدينية الثابتة، تثبت أنها تختلف عن نقوش وكتابات العصر الموحدي، ومن هنا يمكن القول إن الثريا الموحدية أدخل عليها العديد من الترميمات الجوهرية التي استبدلت فيها النقوش والكتابات الموحدية بالنقوش والكتابات الحالية، مثل عبارة «**الملك الدائم العز القائم**». كما يلاحظ أن الخطوط المستخدمة ليست خطوط الموحدية المعروفة[2].

٢ - النوع: ثريا ناقوسية

المادة: النحاس والبرونز

المكان: القبة السابعة ببلاطة المحراب بجامع القرويين

المقاييس: القطر ٧١ سم

التاريخ: العصر الموحدي

التوصيف:

تقع هذه الثريا بالقبة السابعة من جهة المحراب، وهي تتدلى من القبة الخشبية، ويتكون هيكلها الداخلي من بدن الناقوس الذي يبلغ اتساع قطر فوهته «٧١م»، وتعد هذه الثريا من

---

(١) عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج ٢، ص ٣٢٩.

(٢) من المرجح أن تكون أعمال الترميم التي مرت على الثريا ترجع إلى العصر السعدي، وهو العصر الذي انتشرت فيه مثل هذه العبارات، ويعزي ذلك إلى هجرات الأندلسيين بكثرة في ذلك الوقت حيث إن هذه العبارات كانت شائعة على التحف الأندلسية. راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس، ص ١٣٢- ١٣٥.

ضمن الثريات التي نفذت بأسلوب فني متطور عن الثريات السابقة، حيث شغل الفنان بدن الناقوس بثلاثة طوابق تؤازر جميعها بدن الناقوس من الخارج بشكل متدرج في السعة، إذ تأخذ تلك الطوابق في الصغر كلما اقتربت من رقبة الناقوس. ويتوج حافة كل طابق شرفات نحاسية مدببة الشكل ثبتت في قمتها أذرع صغيرة ترتكز عليها قواعد نحاسية كانت تثبت فيها القوارير الزجاجية، أما الآن استبدلت بإضاءة حديثة. وقد شغل الفنان شرفات الطوابق الثلاثة للثريا بزخارف هندسية نفذت بطريقة التخريم، كما شغل الفنان الإطار الذي يرتكز عليه مجموعة الشرفات بالطابق الأول بزخارف نباتية دقيقة نفذت بطريقة الحفر[1]. «لوحة ٣٨، ٣٩».

أما فوهة الناقوس فقد سدت من أسفل بطبق من النحاس المجمع من عدة أجزاء ثبتت مع بعضها عن طريق أذرع نحاسية ثبت أحد أطرافها في حافة الناقوس من الداخل، أما طرفها الثاني، فقد تجمع حول الكرسي النحاسي الصغير الذي يتوسط قاعدة الطبق الذي يغلق على فوهة الناقوس. وقد ملأ الفنان جميع الأشرطة النحاسية المكونة للطبق والكرسي بزخارف نباتية دقيقة نفذت بطريقة التخريم. وقد حجبت الطوابق الثلاثة التي تلتف حول بدن الناقوس رؤية أجزائه الداخلية، «لوحة ٤٠» وتعد النقوش العربية المحفورة على الثريا قليلة بالنسبة لحجمها، إذ تحتوي الثريا على عبارتين تتضمنان أدعية، الأولى نقشت على الإطار الأول من أسفل بالخط النسخ المغربي، يقرأ كالتالي:

«**اليمن والإقبال والسعادة**»، بشكل متكرر على حافة الإطار. أما الإطار الأوسط الذي يلي الإطار السفلي فيحتوي على نقش كتابي يقرأ: «**اليمن والإقبال والغبطة**» بشكل مكرر بخط النسخ المغربي[2]، «لوحة ٤١، ٤٢»، ونخلص من دراسة هذه الثريا الناقوسية والمميزات الفنية وأسلوب الكتابة ونصوص العبارات، إلى نسبتها إلى العصر الموحدي.

٣- **النوع**: ثريا ناقوسية

المادة: النحاس والبرونز

المكان: القبة الثانية من جهة العنزة بجامع القرويين

المقاييس: القطر «٦٨ م»

التاريخ: العصر الموحدي

---

(١) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس، ص ١٣٢- ١٣٥.

(٢) عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج ٢، ص ٣٢٩.

التوصيف:

تقع هذه الثريا بالقبة الثانية من جهة العنزة بجامع القرويين، ويتكون البدن الداخلي للثريا من بدن الناقوس الذي يبلغ اتساع قطر فوهته «٦٨ سم» تقريبًا، وقد كسي بثلاث حاملات للقناديل، وأغلقت فتحته السفلية بكرسي مسدس الزوايا، تحمل كل زاوية فيه قرصًا، وقد نقش على الحدود الستة: «**صلى الله على سيدنا محمد/ لله العزة والرسول / صلى الله على محمد / العزة لله والرسول**». كما نقش عبارات «**الملك لله / العزة لله**»[١]، وتتشابه هذه الثريا إلى حد كبير مع الثريا الثالثة التي تقع بالقبة السابعة من حيث عدد طوابقها الثلاثة، وكذلك من حيث أشكال القطع النحاسية الصغيرة المعقودة التي تشكل إطار كل طابق[٢]. «لوحة ٤٣، و٤٤».

وتتكون الثريا من ثلاثة طوابق متطابقة ومتدرجة في السعة من أسفل إلى أعلى، ويؤازر الطابق الأول الحافة الخارجية لفوهة الناقوس، بينما يؤازر الطابق الثاني وسط الناقوس والثالث رقبة الناقوس. وقد شكل الفنان الطوابق الثلاثة من قطع نحاسية صغيرة مدببة الشكل زخرفت صدورها بزخارف نباتية وهندسية دقيقة نفذت بطريقة التخريم. «اللوحتان ٤٥، و٤٦» أما فوهة الناقوس فقد سدت بواسطة صينية نحاسية يتوسطها مقعر الشكل بأسفل قاعدته يوجد كرسي الثريا، وهو دائري الشكل تنتهي قاعدته بشكل قمقم مقلوب. وقد ملأ الفنان جميع الأشرطة النحاسية المكونة للأطباق بزخارف نباتية قوامها مراوح نخيلية مزدوجة وأخرى منفردة نفذت جميعها بطريقة التخريم، «لوحة ٤٧»، وتتشابه الزخارف النباتية مع أمثلتها الموحدية، وبخاصة في الزخارف التي تزدان بها الثريا الموحدية الكبيرة المعلقة في القبة الخامسة من بلاطة المحراب، وكذلك في الزخارف النباتية التي نفذت في الجص على نوافذ صومعة الكتبية[٣].

ويذكر «H. Terrasse» أن اسم العاهل الموحدي الناصر نقش على مقبض هذه الثريا على نحو ما نقش على الثريا الكبرى: «هذا ما أمر به الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو عبدالله بن الخليفة الإمام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تأييدهم ونصرهم»[٤].

---

(١) عبدالهادي التازي، جامع القرويين، مج١، ص ٨٣.

(٢) راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج١، ٢٠٠١م، ص٤٢٤.

(٣) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس، ص ١٣٢ -١٣٥.

(٤) راجع: Terrasse H., la mosquée al-Qaraouiyine à Fès, p.103.، عبدالهادي التازي، جامع القرويين، ص ٨٣.

٤- **النوع:** ثريا ناقوسية

المادة: النحاس والبرونز

المكان: القبة العاشرة ببلاطة المحراب بجامع القرويين

المقاييس: القطر ٥٨ سم

التاريخ: العصر الموحدي

التوصيف:

تقع هذه الثريا في القبة العاشرة الواقعة خلف العنزة مباشرة، وتتكون من بدن الناقوس الذي شغله الفنان من الخارج بأربعة إطارات تؤازر جميعها بدن الناقوس من الخارج، وهي على هيئة متدرجة في السعة أكبرها الإطار السفلي وأصغرها الإطار العلوي، «لوحة ٤٨».

وقد صنعت الثريا من ناقوس صغير الحجم، إذ يبلغ سعة فوهته ٥٨سم، ويبدو على مظهرها الخارجي أنها قليلة الارتفاع، وذلك نتيجة شغل الفنان بدن ناقوسها الخارجي بأربعة من إطارات القوارير في حين شغلت النواقيس بثلاثة طوابق فقط. وقد شكل الفنان إطارات الطوابق من شرفات نحاسية صغيرة مدببة الشكل يرتكز على قمتها سندات صغيرة تركب عليها القوارير، «لوحة ٤٩» أما فوهة الناقوس فقدت سدت بطبق نحاسي يتوسطه كرسي الثريا الذي تحتوي قاعدته على أربعة برامق صغيرة. وقد زخرفت جميعها بأشرطة نحاسية تحتوي على نقوش نفذت بالتخريم(١). «اللوحتان ٥٠، و٥١».

أما إطار فوهة الناقوس الخارجية، فقد توجها إطار من النحاس مشرشر زخرف سطح الإطار الخارجي بزخارف هندسية محزوزة، ويعلو قمة الثريا ثلاث تفافيح متدرجة في السعة أكبرهم السفلي وأصغرهم العلوي. وقد شغل الفنان أسطحهم الخارجية بتضليعات وتهشيرات. وتعد هذه الثريا من ضمن الثريات الموحدية برغم من تعرضها إلى أعمال ترميم فقدت من خلالها نقوشها الكتابية الموحدية، ويمكن مقارنة عناصرها الزخرفية بالثريتين اللتين لازالتا تحتفظان بنقوشهما الكتابية المتضمنة اسم الخليفة أبو عبدالله بن الخليفة أبو يوسف(٢).

٥- **النوع:** ثريا ناقوسية

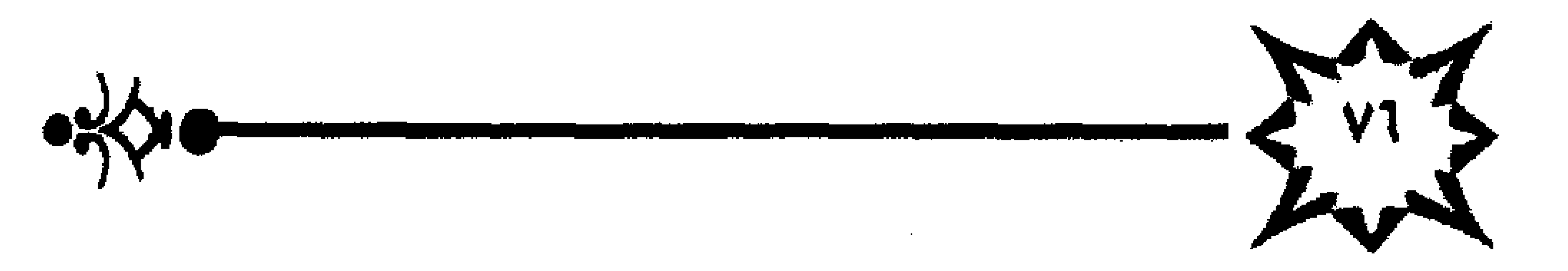
المادة: النحاس والبرونز

المكان: بباب الشماعين جامع القرويين

---

(١) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس، ص ١٣٢-١٣٥.

(٢) نفسه، ص ١٤١-١٤٢.



المقاييس: القطر «٦٨ سم»
التاريخ: العصر الموحدي
التوصيف:

تقع هذه الثريا في سقف دخلة باب الشماعين الواقع في الضلع الغربي من الجامع، وتتكون من بدن الناقوس الذي يبلغ اتساع قطر فوهته «٦٧ سم»، وتتشابه هذه الثريا إلى حد كبير مع الثريا الثالثة المعلقة في القبة السابعة. وقد شغل الفنان بدن الناقوس بثلاثة إطارات شكل كل من قطع نحاسية صغيرة ذات حافة مشرشرة، وهذه القطع أكثر تطورًا من شرفات إطارات الثريا الثالثة والثريا السادسة[1]. «لوحة ٥٢- ٥٣».

أما فوهة الناقوس فقدت سدت بطبق نحاسي مجمع من أجزاء صغيرة ويتوسط الطبق من أسفل كرسي الثريا، وهو دائري الشكل ثبتت في قاعدته أربعة مسامير على هيئة برامق صغيرة. «لوحة ٥٤».

وقد شغل الفنان جميع أجزاء الثريا بدءًا من الشرفات التي تتوج حافة طوابقها الثلاثة وكذلك الطبق والكرسي النحاسي بأشرطة نحاسية تحتوي على نقوش زخرفية بعضها مكون من عناصر نباتية والبعض الآخر مكون من عناصر هندسية نفذت بطريقة التخريم. «لوحة ٥٥» أما الصفيحة التي أغلقت فتحة الجرس، فقد نقش عليها عبارة البسملة والصلاة على النبي على النحو التالي: «**بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد**»، وبأسفلها نقشت عبارتا: «**العزة لله وحده**»، «**العظمة لله ولرسوله**»، وفي صفيحة أخرى نقش عبارة تقرأ: «**الملك لله، العزة لله ولرسوله**»[2]. «اللوحتان: ٥٦- ٥٧». وهذه العبارات تتفق مع العبارات الدينية التي شاع استخدامها في العصر الموحدي[3] سواء في العبارات التي نقشت على واجهات العمائر أو التحف المنقولة، وبأعلى هذه الثريا ركبت أربع تفافيح أكبرها السفلى وأصغرها العليا، نقشت على سحوحها زخارف دقيقة[4].

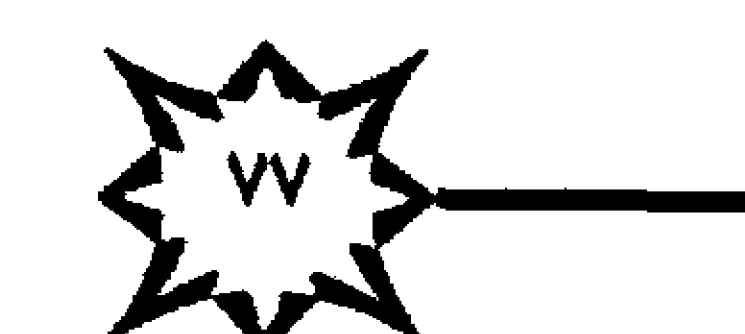
---

(١) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس، ص ١٣٢- ١٣٥.

(٢) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين، ص٣٣٠- ٣٣١.

(٣) اتخذ الموحدون عبارة «الحمد لله وحده» علامة لهم اقتداء بالمهدي حيث وجدت هذه العبارة في مخاطباتهم، ففي رسالة عبدالمؤمن إلى ولده يوسف والي إشبيلية، وردت علامة الموحدين «الحمد لله وحده» في الرسالة المؤرخة في سنة «٥٥٥» هجرية، وبأولها: «بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده .....». راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، ج٣، ص ٣٠١.

(٤) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس، ص ١٤٣- ١٤٤.



ثانيًا: الثريات الناقوسية الموحدية بالجامع الأعظم بمدينة تازة

النوع: ثريا ناقوسية

المادة: النحاس والبرونز

المكان: بلاطة المحراب بالجامع الأعظم بتازة

المقاييس: القطر ٢,٢٥م

التاريخ: العصر الموحدي

التوصيف:

وتتكون هذه الثريا من بدن الناقوس الذي يبلغ اتساع فوهته «٤٤ سم»، ويحتوي بدن الناقوس[١] على ثلاثة إطارات أكبرها السفلي وأصغرها العلوي، وتطوي حافة الإطارات من الخارج على حلقات دائرية كانت تستخدم قديما في حمل قوارير الزيت، واستبدلت بإضاءة حديثة وضعت على سطح الإطارات من أعلى[٢]. «لوحة ٥٨، ٥٩، ٦٠».

وزخرفت جميع الإطارات النحاسية بزخارف نباتية نفذت بالتخريم قوامها عناصر نباتية مكونة من مراوح نخيلية مزدوجة وأخرى من أنصاف المراوح، وربط بين كل مروحة كاملة بسيقان رفيعة تعطي شكل عبارة عن شبكة من السيقان المعقدة بتخللها تلك المراوح وهو أسلوب شاع استخدامه منذ عصر المرابطين والموحدين[٣] مما يؤكد أنها انحدرت عن مثال سابق موحدي[٤].

وقد صممت الثريا الناقوسية بالمسجد الكبير في مدينة تازة طبقًا للتقاليد المتبعة بعد مراعاة اتفاق تلك القواعد مع مقاييسها المصغرة. وينتهي ساقه القصير بحلقة ذات خمسة فصوص وضعت فوق زهيرة ويتشكل جسمه من ثلاثة أجزاء منشورية الشكل مسدسة الأضلاع ذات ارتفاع تنازلي[٥].

ويحتفظ جامع تازة بناقوس صغير «لوحة ٦١». يعتقد أن هذا الناقوس صغير الجرم قد أتى بدون شك من بعض كنائس الريف الإسباني، لكنه لا يحمل أي نقش كتابي يسمح لنا

(١) ربما يكون هذا الناقوس منقولاً من جامع القرويين حيثلم تذكر المصادر التاريخية شيئا عنه.

(٢) راجع:

Terrasse H., La grande mosquée de Taza , les éditions d›art et d›histoire, Paris, 1971, pp.63 -64.

(٣) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس ، ص ١٤٣- ١٤٤.

(٤) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج ٤، ص ٣٨٧.

(٥) وتتشابه زخارف هذه الثريا الناقوسية مع زخارف ثريا جامع القرويين المؤرخة في عصرمحمد الناصر الخليفة الموحدي الرابع . راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج ٤، ص ٣٨٧.

بتحديد المكان الوارد منه. ويتبين من دراسة هذا الناقوس أنه يقوم فوق ساق يشابه نظيره في الثريا الصغرى، وقد ارتقت الناقوس ثلاثة أطباق يشتمل كل من الطبقين الكبيرين منها على ستة عشر مقطعًا من لوحات النحاس ذات الزخارف النباتية المخرمة في حين يشتمل الطبق الصغير العلوي على مقطعين فقط[١]، كما يدور بمحيط كل من تلك الأطباق نقش كتابي بخط النسخ، ويتوج ذلك إكليل صغير مكون من ثمانية أقواس زهرية، وتقتصر الزخرفة البسيطة على الأوراق النخيلية الملساء دون تخريم[٢]، «لوحة ٦٢، ٦٣».

ثالثًا: الثريات الناقوسية الموحدية في جامع الأندلسيين

النوع: ثريا

المادة: النحاس والبرونز

المكان: جامع الأندلسيين

المقاييس: القطر ١,٠٠م، الارتفاع: ١,٣٠م

التاريخ: العصر الموحدي

التوصيف:

تشتمل البلاطة الوسطى بجامع الأندلسيين[٣] بفاس على أربع ثريات، واحدة من هذه الثريات ترجع أصولها إلى العصر الموحدي، وهي متوسطة الحجم حيث يبلغ قطرهما حوالي متر، أما ارتفاعها فحوالي: «١،٣٠م»[٤]. «لوحة ٦٤».

(١) راجع:

Terrasse H., La grande mosquée de Taza ., pp.63-64.

(٢) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج ٤، ، ص٣٨٧- ٣٨٤.

(٣) شرعت مريم بنت محمد بن عبدالله الفهري في بنائه سنة خمس وأربعين ومئتين بعد ان أشترت أرضه من مالها الخاص الموروث عن أبيها، واستمد اسمه من عدوة الأندلسيين العدوة الشرقية من فاس التي أنزل بها الإمام إدريس الوافدين عليه بعد حادث الريض قرب قرطبة. وظل جامع الأندلس كما هو منذ بنائه إلى أن رفعت الخطبة من جامع الأشياخ، وانتقلت إليه في عام ٣٢١هـ بأمر حامد بن حمدان والي فاس من قبل عبيد الله المهدي، وقد أفاد هذا الجامع من النزاع السياسي بين الفاطميين بالمهدية «تونس» وبين الأمويين في سبتة، ويتجلى هذا النزاع في المنبر الذي وصل إلينا من هذا العصر وعليه نقشان كتابيان يسجلان تاريخين مختلفين، ولكنهما متقاربان. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٤٦، السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب ، ص ٧٦٤، عثمان عثمان، العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، ج١، ص ٢٧٧.

(٤) راجع:

Terrasse H., La mosquée des Andalous à Fès, éditions d›art et d›histoire, Paris, 1942 ,p. 32.

ويأخذ جسم الثريا شكل شجرة الزنبق الخزامية العريضة «لوحة ٦٥» حيث يتكون بدنها من هيئة زهرة السوس. وقد استدار بالصحن الذي يرتكز عليه البدن إطار من شبه الشرفات المسننة. وتبدأ الثريا بصينية رائعة تشتمل على ساق طويلة تنتهي بثلاث كرات الأولى والثالثة ملساء، أما الثانية فحلزونية الشكل، ولا زال بإحداها علاقة من ثلاثة فصوص معدنية رائعة الصنع وقائم طويل، وكما يتضح أن الصينية المواجهة للأرض قد زخرفت بثراء كبير حيث يتفرع عن المركز اثنى عشر عمودًا نحاسيًا يتجه نحو الحافة الخارجية منتهيًا بمجموعة زخرفية تتكون من زوج من الأوراق النخيلية المزدوجة المتدابرة.[١] كما يتضح في كل قسم من الأقسام المحصورة بين الأشرطة النحاسية، التي زينت بزخارف قوامها عناصر نباتية وزهرية على هيئة أوراق نخيلية مزدوجة أخرى. ولسوء الحظ فقد تعرضت الثريا لإضافات وتجديدات واسعة في وقت لاحق[٢]. «لوحة ٦٦».

ومن المؤسف أن بعض البقايا الكتابية التي كانت محفورة بتلك الثريا، لا تكفي لقراءة النقوش الخطية الكاملة، حيث تدل الحالة الراهنة على أن تلك الثريا كانت تتوفر على نقشين بالخط النسخ المغربي يدوران بحافة الصينية، وقد توفرت هذه الثريا على قاعدة هندسية الشكل سداسية الهيئة تعتبر في الوقت نفسه قاعدة تجلس عليها قبة إشعاعية بديعة التنسيق كمرحلة انتقال بين هذه القاعدة وبين مركز الصينية الموزع عليه اثنى عشر عمودًا نحاسيًا[٣].

وقد خلص «Terrasse H.» من دراسته لهذه الثريا، إلى أن مكونات تلك الثريا وما تحمله من زخارف يجعلان منها نموذجًا لأقدم عهدًا من الثريات المرينية المعروفة بجامع تازة وبمدرسة العطارين، وهذا شجعه إلى نسبتهاإلى عصر الموحدين وإلى عصر الخليفة الناصر بصفة خاصة، ونحن نتفق معه في هذا التأريخ[٤].

---

(١) راجع

Terrasse H., La mosquée des Andalous ., p. 32.

(٢) تذكرنا هذه النماذج بالتضفيرات الزهرية بجامع تينمل في الأطلس، وباب الوداية في الرباط. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج٣، ص ٢٧٦.

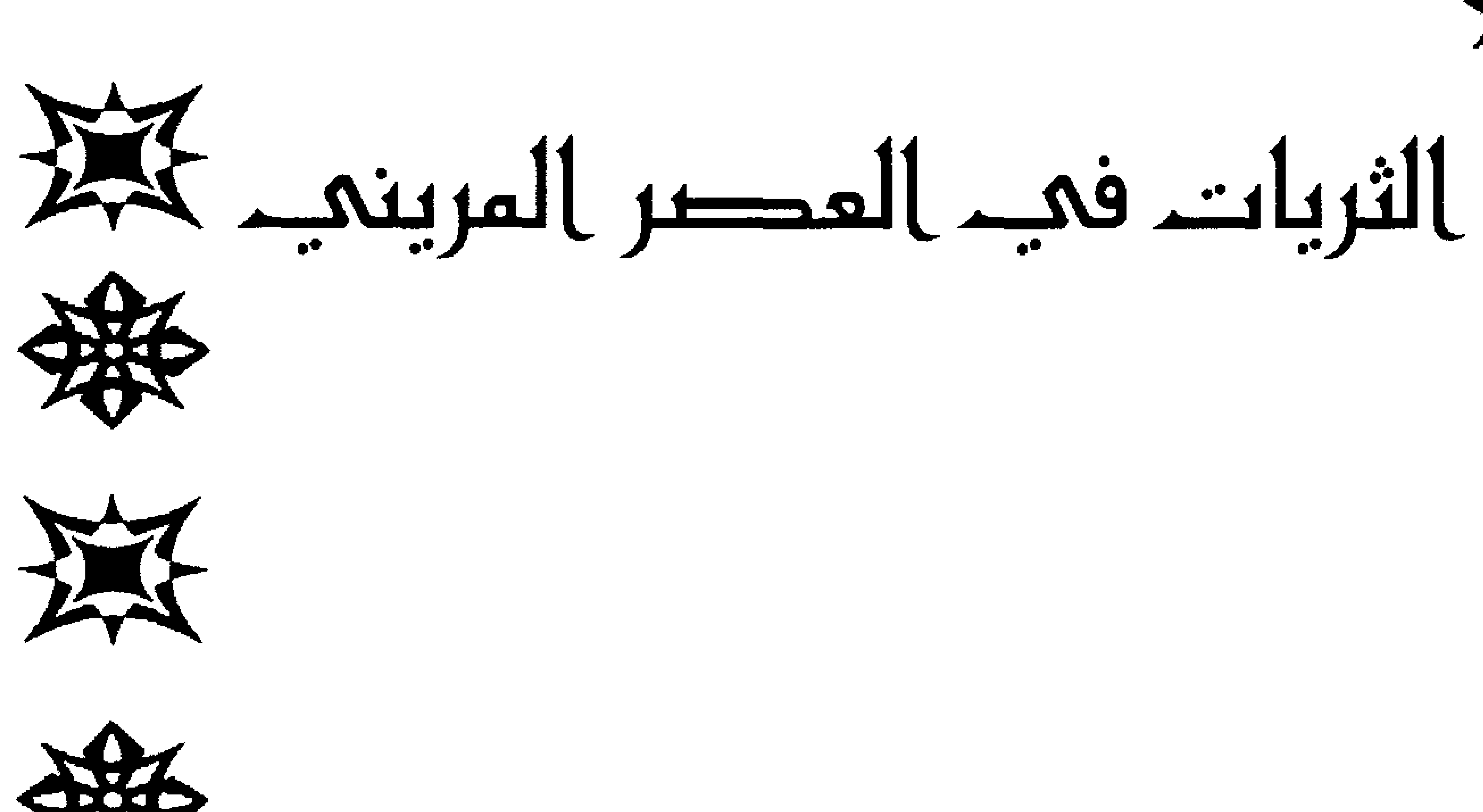
(٣) راجع:

Terrasse H., La mosquée des Andalous.,pp.30- 33.

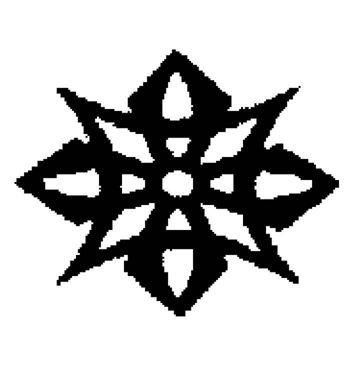
(٤) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، ج٣، ص٢٧٦.

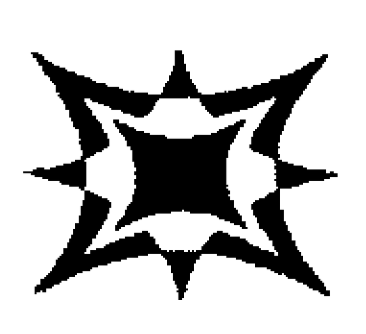


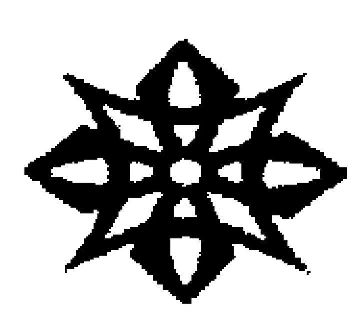
الفصل الثالث

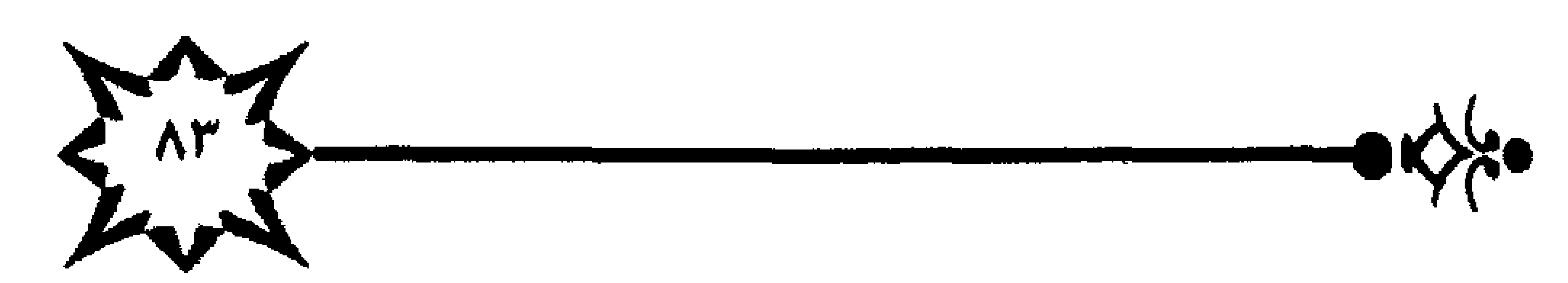


الثريات في العصر المريني









بلغت صناعة التحف المعدنية في العصر المريني ذروة التطور بعد أن قطعت خطوات سابقة في طريق النضج والإبداع[١]، حيث كانت الثريات المرينية في القرن السابع تتكون كما هي العادة، من عدة أطواق ذات مقاييس تنازلية من القاع إلى القمة، لتعطي شكل مخروط قاعدته الواسعة إلى أسفل ويبرز من قمته الضيقة ساق معدني تعلق منه الثريا. ويختلف عدد تلك الأطواق تبعًا لحجم الثريا، وتوزع فوق تلك الأطواق مواقع المصابيح، في حين تبدأ من أسفل مستوى قاعدة المخروط متعددة الأضلاع، حيث يشتمل الفراغ الداخلي على قبة معدنية مخرمة قوامها عدد من الأضلاع المتقاطعة تحصر فيما بينها زخارف ونقوش مخرمة[٢] ويمكن دراسة الثريات في العصر المريني على النحو التالي:

أولاً: الثريات الكبرى

الثريا الكبيرة بجامع تازة

النوع: ثريا

المادة: النحاس والبرونز

المكان: جامع تازة

المقاييس: القطر «٢,٥٠ م»، الارتفاع «٤,٠٠ م»

التاريخ: ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤م

التوصيف:

تعتبر ثريا جامع تازة أكبر ثريا في الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، وقد ذكرها المؤرخون والرحالة الذين زاروا الجامع. ووضعت الثريا الكبرى بجامع تازة في موضعها في سنة ١٢٩٤م[٣]، حيث يبلغ قطرها «٢,٥٠ م»، وارتفاعها «٤,٠٠ م»، وتتميز بدقة الصناعة وثراء الزخرفة[٤]، «لوحة ٤٠،٤١» ويذكر «.Terrasse H»: أن عمليات تجديد جامع تازة

---

(١) راجع: Terrasse H. et Hainaut J., Les arts décotatifs au Maroc.,pp.127 -140.

(٢) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج ٤، عصرالدولة المرينية ودولة بني وطاس، ط١، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣، ٣٨٠.

(٣) راجع:
Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce de al-Andalus y el Maghreb, Miscellanées de Estudios Arabes y Hebraicos, Secion Arabe-Islam, 48, Grenade, 1999, P.385.

(٤) راجع:
Terrasse H., Taza notice historique et archéologique.Bulletin de l'Enseignement Public, N°171, Janvier-Mars ,1942, PP.6-7.



اكتملت في سنة ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣ -١٢٩٤م، ووضعت فيه الثريا النحاسية الكبرى[١] التي لا يوجد لها مثيل في الغرب الإسلامي[٢]، وهذا ما يؤكده ابن أبي زرع حول تاريخ ثريا تازة في قوله: «**وفي سنة ثلاث وتسعين وستمائة فَرغَ من بناء جامع تازة، وعملت الثُّريا بالجامع وزنتها اثنان وثلاثون قنطارًا من النحاس، وعدد كؤوسها خمسمائة كأس وأربعة عشر كأسًا، وأنفق في بناء الجامع وعمل الثريا من المال ثمانية آلاف دينار ذهبًا**»[٣]. «لوحة ٦٧».

وهذا النص يوضح لنا تكاليف الإنفاق على هذه التحفة التي تقع في البلاطة الوسطى بظلة القبلة بجامع تازة، وهي تتكون من أحد عشر دورًا، ستة منها تحتوي على سنادات للقوارير، وقد شغلت الثريا بمجموعة إطارات من النحاس، تحتوي على زخارف نباتية وهندسية، وكذلك على نقوش كتابية زخرفت جميعها بطريقة التخريم.

ويتكون جسم هذه الثريا من هيئة مخروط ذات طبقات حيث نجد أن كل طبقة أو درجة محاطة بجسم دائري لحمل القناديل التي يسرج بها الزيت.[٤]كما يحمل المستوى الخارجي تتويجًا ذا شرفات مسننة. ويملأ الفراغ الداخلي قبة مضلعة ذات ستة عشر جانبًا مقابل اثنى عشر بثريا القرويين. كما يتوج كل من الثريتين قبة صغيرة ذات فصوص وتزدان الشبكة المعرقة بحشوات نباتية مقصوصة ومحفورة، وتجلس تلك القبة فوق منشور متعدد الزوايا حيث عملت الجوانب أيضًا من حشوات نباتية الزخرفة، «لوحة ٦٨»، وقد ربطت القاعدة بالمخروط بواسطة صينية دائرية تحملها كوابيل زهرية. ثم تشتمل الحشوة الدائرية على حشوات نباتية وإطارات ذات نقوش خطية. يمكن قراءتها على النحو التالي:

الشريط الأول: شغل بآيات من القرآن الكريم كتبت بخط النسخ على مهاد نباتي يقرأ: «أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صلى الله على سيدنا محمد ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى

---

(١) راجع:

Terrasse H., La grande mosquée de Taza , les éditions d›art et d›histoire. Paris, 1971, p.56

(٢) كما يوجد في الجامع الأعظم بتازة ثريا صغيرة تنسب إلى العصر المريني، ويتشكل جسمها من ثلاثة اجزاء منشورية الشكل مسدسة الأضلاع ذات ارتفاع تنازلي . راجع:

Terrasse H., La grande mosquée de Taza ., pp.62-63.

(٣) راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٥٣٩.

(٤) راجع: سعد زغلول عبدالحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص ٥٠٨.

ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ ﴾.... [النور: ٣٥- ٣٨]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾.... [الأحزاب: ٥٦]. «لوحة ٦٨».

الشريط الثاني: كتب عليه آيات قرآنية بالخط الكوفي يقرأ: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.... [البقرة: ٢٨٦-٢٨٥]». «لوحة ٦٩ و٧٠».

ويمكن القول بصفة عامة إن ثريا تازة تحقق انضباط الأسلوب المستوحى من الطراز الموحدي الذي استمد أصوله منه، بدليل تشابه الأشكال بينهما تشابهًا كاملًا[١].

تأريخ الثريا

حاول أحد رجال الفنون والعمارة الإسلامية تأريخ ثريا جامع تازة ونسبتها إلى أبي الحسن المريني في قوله: «أمر بصناعة ثريا جامع تازة أمير المسلمين أبو الحسن المريني»، «٧٣١ - ٧٥٩ هـ/ ١٣٣١ ١٣٥٨م»[٢]، في حين نسبها الباحث الفرنسي «Terrasse M.» إلى أبي يعقوب يوسف[٣]. ومن خلال دراسة هذه الثريا دراسة تطبيقية من الناحيتين الأثرية والفنية في ضوء النصوص التاريخية الواردة في كتابات المصادر والمتعلقة بتاريخ بناء جامع تازة ووضع ثريته فيه، والتي تعود إلى حوادث عام ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣ -١٢٩٤م[٤]، وفحص محتوى

(١) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، ج ٤، ص ٣٨٧.

(٢) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس، ص ١٢٥، محمد العلوي الباهي، ملاحظات ثريا جامع تازة، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الثامنة عشرة، المحرم، صفر، ربيع الأول ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص ٢٤٨- ٢٥١.

(٣) راجع:
Terrasse M., Le mobilier mérinide, in B.A.M., T. X, 1976, P. 192,n°13.

(٤) راجع:
Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce , P.385.

الكتابات التسجيلية على الدائرة السفلية بهذه الثريا، التي يمكن قراءتها على النحو التالي:

«**يا ناظرا في جمالي حقق النظرا / ومتع الطرف في حسنى الذي بهرا / انا الثريا التي تازى بي افتخرت / على البلاد فما مثلي الزمان يرا / افرغت في قالب الحسن البديع كما / شاء الامير ابو يعقوب إذ امرا / في مسجد جامع للناس ابدعه / ملك اقام بعون الله منتصرا / له اعتناء بدين الله يظهره / يرجو به في جنان الخلد ما ذخرا / في عام أربعة تسعون تتبعها / من بعد ست من المين قد سطرا / تاريخ هاذي الثريا والدعا /لأبي يعقوب بالنصر دأبا يصحب الظفرا / لازال يوسف والاملاك تخدمه / تعلو للعز علاه أنفس الأمرا**»[١]. «لوحة ٧١»، وهي أبيات من الشعر يمكن ضبط قافيتها على النحو التالي[٢]:

يا ناظِرًا في جمالي حَقِقِ النظرا ... ومتع الطرف في حسنى الذي بهرا
أنا الثريا التي تازا بي افتخرت ... على البلاد فما مثلي الزمان يرى
أفرغت في قالب الحسن البديع كما ... شاء الأمير أبو يعقوب إذ أمرا
في مسجد جامع للناس أبدعهُ ... ملك أقام بعون الله منتصرا
له اعتناءُ بدِين الله يظهره ... يرجُو به في جنان الخلد ما ذُخرا
في عام أربعةٍ تسعون تتبعها ... من بعد ستَ من المِين قد سطرا
تاريخ هاذي الثريا والدعا لأبي ... يعقوب بالنصر دأبًا يصحب الظفرا
لازال يوسف والأملاك تخدمه ... تعلو للعز عُلاه أنفسِ الأمُرا

وأقول من خلال هذا النص التسجيلي، يستبعد نسبة الثريا الكبرى بجامع تازة، إلى فترة أبي الحسن المريني، وإنما تنسب إلى أمير المسلمين يوسف ابن يعقوب بن عبدالحق «٦٨٥- ٧٠٦هـ / ١٢٨٦- ١٣٠٦م»[٣] وبالتحديد في عام ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤م، وهو التاريخ

---

(١) راجع:

Terrasse H.. La grande mosquée de Taza .. pp.13

(٢) الشكر والتقدير للصديق الدكتور عبدالإله بنعرفه على مساعدته القيمة لي في تشكيل هذه الأبيات.

(٣) هو «عبدالله» يوسف أمير المسلمين، ابن أمير المسلمين يعقوب بن عبدالحق، ولقبه الناصر لدين الله، ومولده كان في شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وبويع له بالخلافة بالجزيرة الخضراء من بلاد الأندلس يوم وفاة أبيه وكان غائباً ببلاد العُدوة، فأخذ له البيعة الوزراء والأشياخ وبعثوا إليه فاتصل به الخبر وهو ببعض أحواز مدينة فاس، فجد السير إلى طنجة، فوجد الأسطول هنالك ينتظره، فجاز إلى الجزيرة وبها قبائل



المنقوش على الثريا بنحو «في عام أربعة تسعون تتبعها / من بعد ست من المين قد سطرا / تاريخ هاذا الثريا والدعا / لأبي يعقوب بالنصر دأبا يصحب الظفرا».

= مرين وقبائل العرب، فجددت له البيعة، واجتمع على بيعته كافة قبائل مرين وقبائل العرب وجميع من بالعدوة والأندلس من المسلمين، وذلك في غرة صفر من سنة خمس وثمانين وستمائة، وسنه يوم بويع خمس وأربعون سنة وثمانية أشهر. وقتل أمير المسلمين يوسف غيلة بقصره من حضرة تلمسان الجديدة في يوم الأربعاء السابع لذي القعدة من سنة ست وسبعمائة. راجع: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس ، ص ٤٩٢- ٥١٣.

ثانيًا: الثريات الصغرى

تعتبر ثريا الجامع الكبير بمدينة فاس الجديد نموذجًا لصناعة الثريات المعدنية في مرحلة الانتقال بين فن الموحدين والفنون المرينية التالية لها، حيث عكست صناعة هذه الثريا خصائص تلك الصناعة في أعقاب دولة الموحدين وصدر الدولة المرينية. ويمكن توضيح ذلك ودراسة الثريات المرينية على النحو التالي:

١- ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد

النوع: ثريا

المادة: النحاس والبرونز

المكان: جامع فاس الجديد

المقاييس: القطر ٢,٢٥م

التاريخ: ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م

التوصيف:

ترجع هذه الثريا المعلقة حاليًا بالجامع الكبير بفاس الجديد، إلى عصر أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق المؤسس الحقيقي للدولة المرينية. ويتكون القسم الأسفل من الثريا من اثني عشر ضلعًا كتلك التي بجامع القرويين. وإذا كانت المصابيح متشابهة في كل المثالين، فإن الكوابيل الزهرية بفاس البالي، قد استبدلت هنا بمساند مسطحة تفي بحاجة مخروط لا تتعدى طبقاته ثمانية أطواق لحمل المصابيح. «لوحة ٧٣»

وقد علقت تلك الثريا ببلاط المحراب بالأسطوانة الثالثة جهة المحراب عند ملتقى الأسكوب الثالث مع بلاط المحراب، وذلك يوم السبت ٢٧ ربيع الأول عام ٦٧٩هـ، وكان بنطاقها الأسفل اسم يعقوب بن عبدالحق منقوشًا مع تاريخ الفراغ من عملها عام ٦٧٨هـ.[١]

ويوجد في موضع النص التأسيسي بالدائرة السفلية من الثريا نص كتابي بخط النسخ المتطور يرجح أن يكون قد تم إضافته في فترات لاحقة على صناعة هذه الثريا، يقرأ لأول مرة على النحو التالي: «أعوذ بالله العلي العظيم من/ النار ومن الشيطان الرجيم /

(١) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، ج ٤، ص ٣٨٢.

بسم الله الرحمن الرحيم / صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله / ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ / ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ / أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ / هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ / مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ / ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ / إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ / أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.... [التوبة: ٧- ١٨]». «لوحة ٧٤».

كما تضم الصينية أفريزًا كتابيًا بالخط النسخ على مهاد نباتي يقرأ لأول مرة على النحو التالي: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾.... [النور: ٣٥- ٣٧].

ويلاحظ في النصف السفلي من الداخل الإطارات التي تقسم الطوق إلى مساحات أو مناطق زخرفية تنتهي تجاه المحيط الأوسع بمجموعة زخرفية من الأوراق النخيلية المزدوجة المتدابرة التي نراها تتكرر في الفن المريني. ويلاحظ تناسق الحشوات والمساحات الزخرفية المحصورة بين تلك الإطارات. كما ازدانت الثريا بمجموعات من الزخرفة النباتية الدقيقة المفرغة «أرابيسك» «لوحة ٧٥»، انحصرت بين المحيط الأوسع للطوق والمحيط الأقل اتساعًا بشريط من الكتابات النسخية الدقيقة المفرغة. ويظهر من داخل الطوق تركيب هندسي زخرفي يشكل قبة قائمة على الأضلاع المتقاطعة، كما هو الحال في قبة المرينيين بالجامع الكبير بتازة. وقد انتشرت بين الفراغات الناشئة من تقاطع العقود غلالة من النسيج الزخرفي المخرم تسمح بوجود مساحة مركزية تملؤها قبة إشعاعية، وتقتصر الزخارف المحصورة بين ضلوع القبة على نموذجين اثنين من زخارف الأرابيسك النباتية رتبت بالتناوب[1].

وتبدو جوانب القسم الأسفل من الخارج بشكل عقد من ثلاثة عشر فصًا يحمل في الجانبين على تاج عمود رقيق، وقد شغل كل فراغ محصور بين العقد المفصوص والعمودين الجانبيين حشوة رائعة من المخرمات التي نسجت على أشكال نباتية تدور حول محور رأسي

---

(١) راجع: باسيليوبابون مالدونادو، الفن الإسلامي في الأندلس، الزخرفة النباتية، ترجمة علي إبراهيم علي منوفي، مراجعة محمد حمزة الحداد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٣٨.



يذكرنا بشجرة الحياة القديمة، تفرعت عنه الأوراق النخيلية المزدوجة التي تذكر بجص مدينة الزهراء في الطراز الأندلسي. ويحف بتلك الحشوة الزخرفية يمينا ويسارًا ومن أعلى، شريط من الكتابة النسخية، ثم ينحصر بين كتف العقد الرئيس وبين الأشرطة الكتابية، أجزاء ملئت بأوراق نخيلية ملساء تذكر بفن الموحدين[1].

٢- ثريا مدرسة العطارين

النوع: ثريا

المادة: النحاس والبرونز

المكان: مدرسة العطارين

المقاييس: القطر ٦٠م، الارتفاع: ١,٣٠م

التاريخ: العصر المريني

التوصيف:

تقع هذه الثريا في بيت الصلاة بمدرسة العطارين في فاس[2]، «لوحة ٧٦».

والثريا متوسطة الحجم، وعلقت بواسطة ساق تحتوي على مجسم. ويتكون جسم الثريا من هيئة مخروط ذي خمس طبقات «لوحة ٧٧» حيث نجد أن كل طبقة أو درجة محاطة بجسم دائري لحمل القناديل التي كان يسرج بها الزيت، كما يحمل المستوى الخارجي تتويجًا ذي شرفات مسننة، ويشتمل هذا الجزء على خمسة أدوار أكبرها السفلي وأصغرها العلوي، وتحتوي كل دورة على إطار بارز ركبت عليه مساند القوارير الزجاجية، ويملأ الفراغ الداخلي قبة مضلعة ذات ثمانية الجوانب. ويتوج هذه الثرية قبة صغيرة من النحاس المشغول ذات فصوص. وتزدان الشبكة المعرقة بحشوات نباتية مقصوصة ومحفورة، وتجلس تلك القبة فوق منشور متعدد الزوايا حيث عملت الجوانب أيضًا من حشوات نباتية الزخرفة. وقد ربطت القاعدة بالمخروط بواسطة صينية دائرية تحملها كوابيل زهرية، وتشتمل الصينية على شريطين دائريين زخرفت الشريط الأوسع منهما بزخارف نباتية مفرغة قوامها مراوح

---

(١) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج ٤، ص٣٨٢، ٣٨٣.

(٢) بنيت مدرسة العطارين سنة ٧٢٣ هـ في عهد أبي سعيد عثمان على المريني يد الشيخ عبدالله بن القاسم المزوار بفاس. وحضر أبو سعيد وضع حجر الأساس لبنائها، واشترى لها السلطان عدداً من العمارات، وهي من أجمل مدارس بني مرين، إذ تمتاز بتنسيق زخارفها خصوصاً في الصحن وبيت الصلاة، وكان فيها أساتذة نظاميون. راجع:
Golvin Lucien, La madrasa médiévale, Edisud, 1995, pp.229-232.

نخيلية، وأنصاف مراوح نخيلية. أما إطار الصينية الخارجي، فزخرف بنقوش كتابية بالخط النسخ المغربي. ويمكن وصف زخارف الصينية، على النحو التالي:

الشريط الأول:

شغل هذا الشريط بكتابات بالخط النسخ على مهاد نباتي يقرأ على النحو التالي: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.... [النور: ٣٥].

الشريط الثاني:

يلي الشريط السابق، وشريط عريض يشتمل على زخارف نباتية نفذت بطريقة التفريغ، قوامها أشكال مراوح نخيلية، وأنصاف المراوح النخيلية.

تأريخ الثريا

تعتبر ثريا مدرسة العطارين بفاس[1] من التحف المعدنية المهمة، التي احتوت على شريط تسجيلي بالخط الكوفي على الدائرة السفلية، تلاشت معظم حروفه من تأثير الزيت. ويمكن قراءته لأول مرة كالتالي:

«الحمد لله أمر بعمل هذه الثريا المنصوبة / برسم المدرسة السعيدة بفاس القرويين / عمرها الله مولانا أمير المسلمين وناصر الد [ين] / أبو سعيد ابن مولانا أمير المسلمين/ ...../ ...../ سبعمائة ... لله وحده. «اللوحتان ٧٨، و٧٩».

وينبغي الإشارة إلى أن تاريخ المغرب الأقصى يحتوي على شخصين مهمين باسم «أبو سعيد عثمان» في الدولة المرينية:

أولهما: الأمير أبو سعيد عثمان بن عبدالحق، ولد في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وفي سنة خمس وعشرين وستمائة قوي أمره بالمغرب، فطاع له جميع قبائله وملك جميع بواديه من وادي ملوية إلى رباط الفتح، وفي أيامه كانت المجاعة والوباء الشديد والخوف والفتن، فخلا أكثر بلاد المغرب، وذكر ابن أبي زرع «**أنه لما فرغ بنو مرين من قتال رياح ورجعوا من اتباعهم، اجتمعوا على أمير المسلمين عثمان بن عبدالحق، فعزوه في أبيه**

(١) راجع:
Bel Alfred. Inscriptions Arabes de Fès. Journal Asiatique. Tom X. Paris. Juillet – Août 1917.p.148

وأخيه، وبايعوه عن رضى منهم، فكانت أيام إمارته على بني مرين وبوادي المغرب من وفاة والده إلى مقتله في سنة ثمان وثلاثين وستمائة على يد علج له رباه صغيرًا»[١].

وثانيهما: الخليفة أمير المسلمين عثمان المنصور بالله ابن أمير المسلمين المنصور بالله القائم بالحق يعقوب بن عبد الحق، وكنيته أبو سعيد، ولقبه السعيد بفضل الله، وكان مولده يوم الجمعة التاسع والعشرين لجمادى الآخرة من سنة خمس وسبعين وستمائة، وبويع بالخلافة ليلة الأربعاء منسلخ جمادى الآخرة من سنة عشر وسبعمائة بقصبة رباط تازة[٢].

ومن خلال تتبع الإشارات التاريخية الواردة عن تاريخ بناء مدرسة العطارين ودراسة النص التأسيسي برخامة التحبيس بالمدرسة[٣]، وفي ضوء النص التسجيلي الذي تقرأه الدراسة لأول مرة، يمكن نسبة ثريا مدرسة العطارين إلى الخليفة أمير المسلمين عثمان المنصور بالله بن يعقوب بن عبد الحق، في عامي «٧٢٣ - ٧٢٥هـ/ ١٣٢٣- ١٣٢٥م»[٤].

كما يحتفظ متحف البطحاء بمدينة فاس بجزء من ثريا عبارة عن صينية من النحاس الأصفر، يبلغ قطرها: «٦٧سم»، والقطر الداخلي: «٢٤,٣ سم»، ومؤرخة بعام «٦٩٠هـ». وتحمل هذه الصينية شريطين من العناصر الزخرفية:

الشريط الأول، عبارة عن شريط عريض من الزخارف النباتية المفرغة والمكونة من أوراق النخيل المزدوجة، وأنصاف المراوح النخيلية[٥].

أما الشريط الآخر، فعبارة عن شريط ضيق من النصوص الكتابية بالخط الكوفي والخط النسخ، يقرأ منه عبارة: «**أعوذ بالله من الشيطان الرجيم**»، و«**بسم الله الرحمن الرحيم**»، و«العز لله»، و«الحمد لله وحده على نعمه»، و«لا اله إلا الله محمد رسول الله»، وعبارة، «الملك وحده»، و«العز لله وحده»، وعبارة «اليمن والإقبال»، و«الغبطة الكاملة»،

---

(١) راجع: ابن أبي زرع، الذخيرة السنية ، ص٣٥، ٣٧.

(٢) راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس ، ص ٥٢٢ - ٥٣٠.

(٣) راجع:

Golvin Lucien, La madrasa, pp.2229-232.

(٤) يذكر ابن أبي زرع: أنه في مستهل شعبان سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة أمر امير المسلمين «أبو سعيد» عثمان أيده الله ونصره ببناء المدرسة العظيمة بإزاء جامع القرويين «هي المعروفة اليوم بمدرسة العطارين، فبنيت على يد الشيخ المبارك عبدالله بن قاسم المزوار، ووقف أمير المسلمين على تأسيسها ومعه الفقهاء والصلحاء حتى اسست وشرع في بنائها. راجع: ابن ابي زرع، روض القرطاس، ص ٥٤٣.

(٥) محفوظة بقسم المعادن في متحف البطحاء بفاس، تحت رقم سجل ٨٢.٤.٤.

و«اليمن والإقبال». ويزين هذه التحفة شريط كتابي بالخط الكوفي يضم نصًّا تسجيليًا يعتبر على درجة كبيرة من الأهمية، ويقرأ هذا النص على النحو التالي: «هذا ما صنع في شهر ذو القعدة الحادي عشر عام تسعين وست مائة»[١]. «لوحة ٨٠، ٨١».

---

(١) راجع:

De l'Empire Romain aux villes impériales. Musée du petit palais. 1990. p. 226.

ثالثًا: الثريات الناقوسية

أما ثريات النواقيس التي ترجع إلى العصر المريني، فخير ما يمثلها هو الناقوس الأكبر المحول إلى ثريا بالبلاطة الثامنة بمحراب جامع القرويين، والذي يعكس بجلاء الخصائص الفنية في العصر المريني، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي:

النوع: ثريا ناقوسية «الناقوس المريني الكبير»

المادة: النحاس والبرونز

المكان: القبة الثامنة ببلاطة المحراب بجامع القرويين

المقاييس: القطر «٨٦ سم»

التاريخ: ٧٣٣- ٧٣٧ هـ/ العصر المريني

التوصيف:

تقع هذه الثريا في القبة الثامنة من جهة المحراب، وهي القبة التي تغطي جزءًا من امتداد بلاطة المحراب، وتقع في مواجهة باب الكتبيين من الجهة الغربية وباب ابن حيون من الجهة الشرقية. وناقوس هذه الثريا يعد من أضخم نواقيس المسجد على الإطلاق[١]. «لوحة ٨٢».

ويتكون الوصف العام للثريا من البدن الداخلي للناقوس والذي تقدر سعة فتحة فوهته بـ«٨٦ سم»، وقد شغل بدن الناقوس الخارجي باثني عشر ذراعًا رأسيًا وزعت جميعها بالتساوي على بدن الناقوس. وهذا الأسلوب يعد جديدًا بالنسبة لباقي النواقيس، إذ اعتاد الفنان أن يشغل البدن الخارجي بمجموعة من إطارات أفقية تؤازر بدن الناقوس. وهذه الإطارات مع السندات والقوارير تخفي الكثير من بدن الناقوس[٢]. «لوحة ٨٣».

أما الناقوس المريني، فقد أتاحت مجموعة الأذرع الرأسية رؤية باقي أجزاء بدن

(١) ذكره علي الجزنائي بالناقوس الكبير المعلق بالبلاط الأوسط المقابل لباب الكتبيين، وذكر انه الذي الفى بجبل الفتح من بر الأندلس حين استفتحه المسلمون على عهد الأمير الأسعد عبدالواحد ابن أمير المسلمين أبي الحسن . راجع: علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبدالوهاب منصور، ط٢، المطبعة الملكية الرباط ١٩٩١م، ص ٧٥، مديحة الشرقاوي، كتاب مدينة فاس المعروف بزهرة الآس في بناء مدينة فاس، للجزنائي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١١١.

(٢) راجع:

Terrasse, H. La mosquée al-Qaraouiyine à Fès, p.57 -59

الناقوس، حيث ركبت الأذرع الرئيسة وثبتت عن طريق طرفيها، إذ ثبت طرفها السفلي على قاعدة فوهة الناقوس من الخارج وطرفها العلوي على نهاية قمة الناقوس من أعلى؛ ولذا جاءت الاثنا عشر ذراعًا مجمعة على مسافات متقاربة على قاعدته، وركبت على حافة الأذرع المقوسة سندات القوارير والتي أخذت هيئتها الخارجية شكلًا مدرجًا طبقا للشكل العام الذي عليه بدن الناقوس، «لوحة ٨٤»، وقد ملأ الفنان الفراغات الواقعة بين الأذرع وبدن الناقوس بأشرطة مزخرفة بأشكال هندسية وأخرى نباتية نفذت جميعها بطريقة التخريم، وقد توج الفنان حافة الناقوس الخارجية بشرفات مسننة. أما فوهة الناقوس فقد أغلقت بمجموعة أشرطة نحاسية ثبتت على اثنى عشر كابوليًا ربطت قاعدتهما بالكرسي النحاسي الصغير الذي يتوسط فوهة الناقوس من أسفل وأذرع الكوابيل الأفقية اتخذت كسندات تحمل قرص الطبق النحاسي من أسفل[١]. «لوحة ٨٥».

وقد شغل الفنان الفراغات الواقعة بين كوابيل الكرسي النحاسي بشبابيك صغيرة معقودة حجبت فتحاتها بأشرطة نحاسية رقيقة تحتوي على عناصر زخرفية مكونة من تكوينات نفذت بطريقة التخريم. وأغلق الفنان قاعدة الكرسي النحاسي بطبق من النحاس مقعر الوسط به تضليعات رأسية تذكرنا بتضليعات قباب المساجد التونسية، وقباب الأضرحة الفاطمية[٢].

كما ثبت الإطار الخارجي للطبق المجوف بكرسي الثريا باثنى عشر برمقًا صغيرًا، وهذا الوصف يطابق إلى حد كبير وصف الجزنائي لكرسي الثريا حيث قال: «**وبأسفله أوصال عددها اثنا عشر، وتحت كل وصل منها غلون مكفف وفي وسط ذلك طبق شبه الخاتم ذات عن الأوصال وفي أسفله حرف الطبق بيادق مخروطة ونطاق مقور في وجه الأوصال، كل ذلك من النحاس الأصفر المنقوش المخرم بالصناعة المحكمة**»[٣]. «لوحة ٨٦، ٨٧».

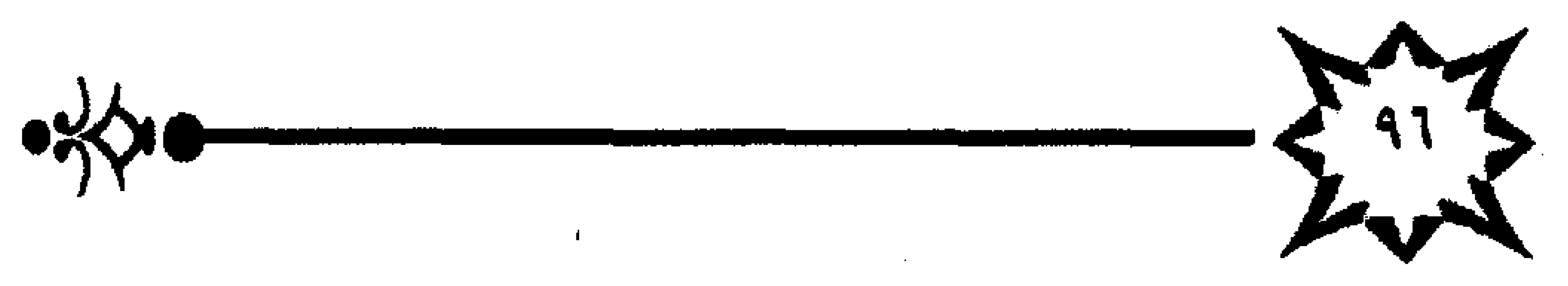
ويحتوي بدن الناقوس الخارجي على نقوش مكتوبة بالحروف اللاتينية بطريقة الحفر قرأها د. عبدالهادي التازي، كالتالي: «Mentem sanctam sponaneum onorem» و«Decet Patre Liberacionem»، وترجمها على نحو: «**جدير بالنفس التقية أن تشكر**

(١) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس، ص ١٣٦- ١٤٠.

(٢) راجع:

Marçais G., L'architecture musulmane d'occident. , p. 244.

(٣) راجع: علي الجزنائي، جنى زهرة الآس، ص ٧٥.



فضل الله عليها ﴿ النجاة من شرور الضلال»، ويتضح من ترجمة هذا النص، أنه يتضمن نصوصًا عقائدية تتفق مع الوظيفة التي كان يستخدم فيها الناقوس ﴿ موقعه القديم[١].

أما النقوش العربية التي تزخرف الثريا والتي ترجع إلى العصر المريني، فقد تلاشت معظمها نتيجة لأعمال التجديد التي ألحقت بالثريا ﴿ وقت متأخر، ومن حسن الحظ أن المؤرخ الجزنائي قد دون لنا جميع النصوص الكتابية التي كانت تزدان بها الثريا المريينية، حيث كانت تشتمل حافة الثريا على نقوش كتابية تتضمن نصوصًا تأسيسية تحتوي على أسماء السلطان وألقابه، وتاريخ الحصول على الناقوس، وكانت الكتابات تقرأ كالتالي: «**الحمد لله وحده أمر بتعليق هذا الناقوس المبارك، مولانا أمير المسلمين ناصر الدين أبو الحسن بن مولانا أمير المسلمين، المجاهد ﴿ سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق، أيد الله سلطانهم وأسعد عصرهم وزمانهم، وهو الناقوس الملفى بجبل الفتح حرسه الله افتتحه بعون الله وتأييده مولانا أمير المسلمين أبو الحسن أيده الله ونصره على يد ولده الأمير الأسعد أبي مالك، ومولانا أيده الله ونصره بحاضرة مدينة سجلماسة**»[٢].

كما تضمنت الثريا نقوشًا كتابية تحتوي على آيات قرآنية، وعبارات دعائية نقشت على ستة أذرع من الأذرع الاثنى عشر الحاملة للقوارير، إذ نقش على كل ذراع بالخط الكوفي عبارة «**الغبطة المتصلة**». ويلاحظ بعض التعديلات ﴿ حروف العبارة[٣]، أما الأذرع الستة الباقية، فقد نقش على كل منها بالخط الكوفي، عبارة أخرى تقرأ: «**اليمن والإقبال**»، كما يوجد على الإفريز الذي يحيط بالإطار الخارجي لفوهة الناقوس، نقش كتابي آخر يقرأ: «**بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، اليمن والإقبال، والعز لله**»، وعلى نفس الإفريز نقوش كتابية نقشت ﴿ اتجاه معاكس تحتوي على أربع وعشرين قطعة منها ما عليه نقش مكون من كلمة واحدة تقرأ: «**الغبطة**»، مكتوبة بالخط الكوفي، ومنفذة بالحفر، وتحتوي حروفها على عناصر زخرفية مورقة[٤]. «لوحة ٨٩، ٩٠».

وهناك نص آخر على الإطار الذي ترتكز عليه الشرفات النحاسية الصغيرة المتوجة

---

(١) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين ، ص٣٣٠.

(٢) ويؤكد لنا الجزنائي على انه نقل تلك النصوص من على الثريا نفسها بمساعدة وقّاد الجامع المكلف بها فقال:، هكذا أملاه من موضعه وقاد الجامع المذكور»راجع: علي الجزنائي، جنى زهرة الآس ، ص ٧٥.

(٣) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس ، ص ١٣٦- ١٤٠.

(٤) عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة ، ص ٦٩.

لحافة الناقوس من الخارج، يحمل آيات قرآنية[1]. «لوحة ٩١».

ويؤكد المؤرخ المغربي د. عبدالهادي التازي على أن التجديد الذي أدخل على هذا الناقوس طمس كثيرًا من نقوشه الكتابية[2]، كما يحتوي ظهر الناقوس على أحرف باللغة الإسبانية ترجمتها: «**على الروح الطيبة أن تشكر الله على أن أنقذها من الضلال**»[3]، وفي الوقت الذي كان فيه العمال منهمكين في أن يجعلوا من الناقوس ثريا، كان آخرون يعدون له المحل، فبنوا له قبة كلفت الأوقاف سبعين دينارًا ذهبيًا على ذلك العهد، وتم ذلك بواسطة الناظر الفقيه أحمد بن محمد الأشقر الصنهاجي، سبقت القبة العلوية الحالية، وكل ذلك من مال الأحباس، وتم تعليقه في المحل الذي أعد له في منتصف شوال من سنة ٧٣٧هـ/ ١٥ مايو ١٣٣٨م، أي بعد أربع سنوات من فتح جبل طارق[4].

كما يضم جامع الأندلسيين ثريتين تعود أصولهما إلى العصر المريني، يمكن شرحهما على النحو التالي:

النوع: ثريا

المادة: النحاس والبرونز

المكان: جامع الأندلسيين

المقاييس: القطر «١,٠٠م»، والارتفاع: «١,٣٠م»

التاريخ: العصر المريني

التوصيف:

تضم البلاطة الوسطى بجامع الأندلسيين بفاس ثريتين من الأربع الموجودة في هذا الجامع، «لوحة ٩٢، ٩٣»، يعودا أصولهما إلى العصر المريني، ويتكون الشكل العام لهاتين الثريتين من ساق ملساء ذات زخارف نباتية غنية، وأسفل الحلقة الدائرية كرة تحمل زخرفة من الزهيرات والزخارف المروحية يجعل الثريا تحمل خصائص الثريات المرينية في القرنين

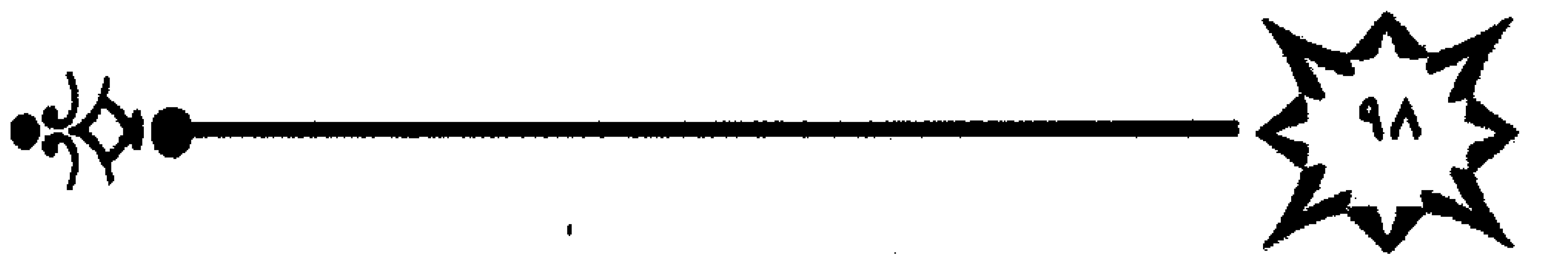
---

(١) سورة النور آية رقم ٣٥، وسورة غافر آية رقم ٦٤.

(٢) يذكر عبدالهادي التازي: أنه لم يبق لهذه الأحرف من أثر اليوم، ويبدو أن التجديد الذي توالى على هذه الأجراس عصف بتلك النصوص التذكارية التي بقيت محفوظة في الكتابات التاريخية. راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة، ص ٦٨.

(٣) راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين، ، ص ٦٩.

(٤) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين ، ص٣٣٠.



السابع والثامن الهجريين، الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، ويتوسط القاعدة قبة مفصصة زينت بزخارف دقيقة، قوامها الأوراق النخيلية، وقد وضع شريط من الشرفات المسننة حول قاعدة الصينية التي تحمل الثريا، وقسم وجه الصينية المواجه للأرض إلى مساحات زخرفية تضمنت مجموعات من الأسلوب الحديث، ويمكن ملاحظة التقارب بين العناصر النخيلية والوريقات الموجودة في هذه الثريا ومثيلتها بثريا جامع تازة، وجميع الخصائص الفنية تعود إلى أسلوب القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي[1] «لوحات ٩٤، ٩٥، ٩٦».

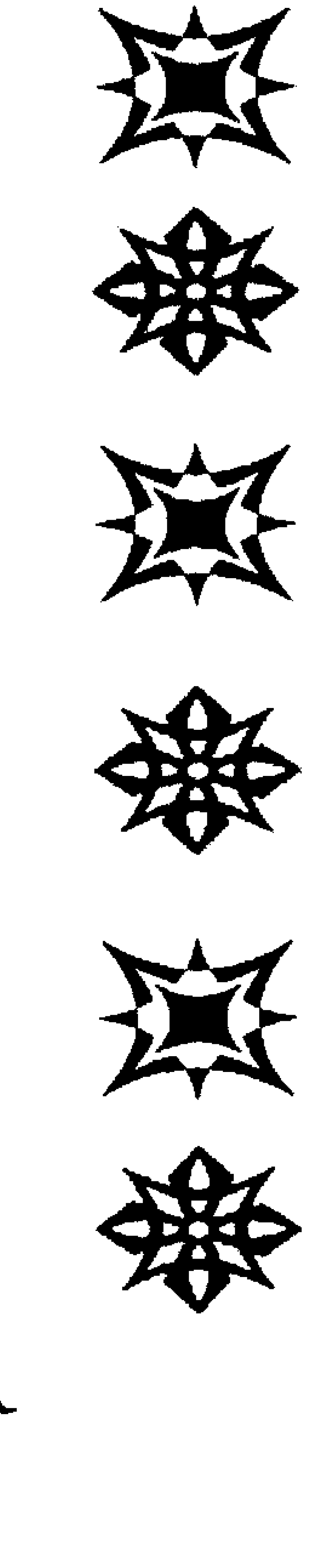
كما يوجد بجامع الأندلس بفاس ثريا تحمل زخارف فنية نرجعها إلى القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي. «لوحة ٩٧، ٩٨»، ويتأكد لنا مكانة فن الثريات بين الصناعات المغربية، حينما يذكر صاحب «زهرة الآس» عند دراسته لجامع الأندلسيين بفاس عدد الثريات فيه وأنواعها، فيقول: «وعدد ثرياته الكبار والصغار إحدى وستون ثريا، الكبار منها خمس قد علقن بالبلاط الأوسط منه، وبقيتهن في سائر الجامع في مواضع معلومة منه، وفيه من الصبحيات العراقيات خمس بقرب محرابه، وثلاثون بسائره»[2].

---

(١) راجع:

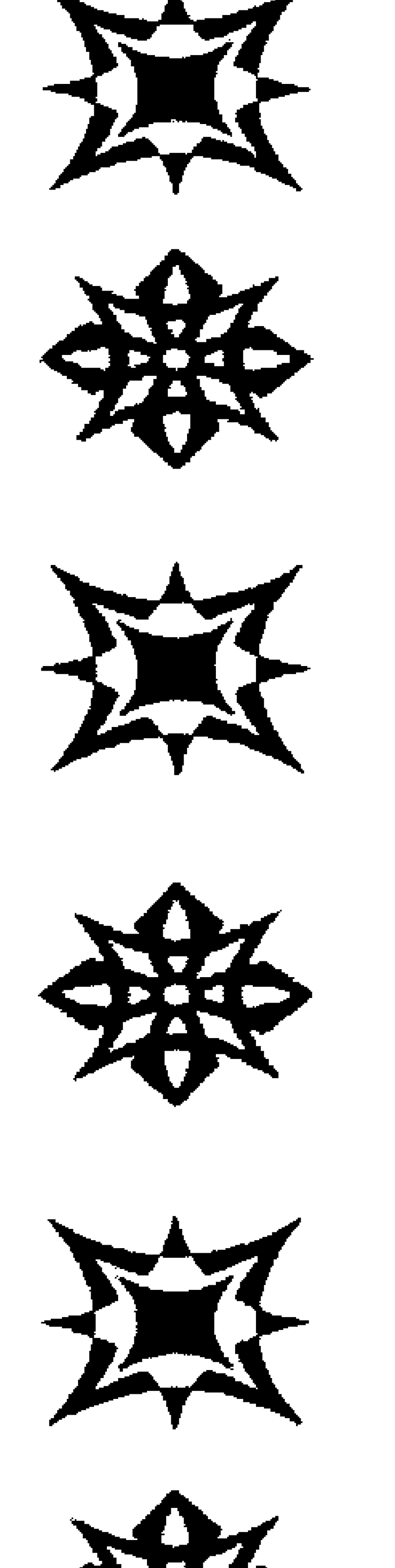
Terrasse H.. La mosquée des Andalous. .p. 32

(٢) راجع: علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبدالوهاب بنمنصور، ط٢، المطبعة الملكية الرباط ١٩٩١م، ص ٩٤.



الفصل الرابع

المراكز الصناعية والعناصر الزخرفية



أولاً: المراكز الصناعية

على الرغم من أن المصادر التاريخية لا تقدم معلومات كافية عن مراكز صناعة وسائل الإضاءة أو أسماء صناعها، إلا أن الدراسة تمدنا بمعلومات إضافية جديدة ومهمة تساعدنا على وضع خريطة لأهم مراكز صناعة وسائل الإضاءة في عمائر المغرب الأقصى في العصور الإسلامية. وقد كانت مدينة فاس أهم المراكز الصناعية، فإلى جانب إشبيلية، وقرطبة، وجيان في بلاد الأندلس، كانت فاس، ومراكش، ومكناس، وسبتة، وسلا، ورباط الفتح، في المغرب الأقصى، إضافة إلى تونس، وبجاية، في الشمال الإفريقي[١].

ومن أهم المراكز الصناعية في العهدين الموحدي والمريني: فاس، والرباط وسلا:

أولًا: مدينة فاس «لوحة ٩٩»

تعتبر مدينة فاس من أهم المراكز الصناعية التي اشتهرت بصناعة التحف المعدنية بصفة عامة، وصناعة الثريات بصفة خاصة، وقد ورد اسمها على الثريا الكبرى المعلقة بجامع القرويين بفاس والمؤرخة في عام ٦٠٠هـ/ ١٢٠٢م، فقد نقش على ساق هذه الثريا كتابات تسجيلية مهمة تشير إلى مكان صناعتها في مدينة فاس، تقرأ كالتالي:

«صنعت هذه الثرية بمدينة فاس حرسها الله وكان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ستمائة»[٢]، كما نقش اسم مدينة فاس على الثريا الكبرى بجامع مكناس، والمؤرخة في عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٦م، فقد ضمت الثريا شريطًا تسجيليًا بالخط الكوفي المورق على الدائرة السفلية، يقرأ على النحو التالي: «**صنعت هذه / الثرية بمدينة فاس / حرسها الله لـ / جامع مكناسة / شرفه الله بذكره / وكان الفراغ من عملها / في العشرين من / شهر ذي القعدة / سنة أربعة وستمائة**».

وتعد مدينة فاس قاعدة بلاد المغرب وقطرها ومركزها وقطبها، وكانت دار مملكة الأدارسة الحسنيين الذين اختطوها، ودار مملكة زناتة من بني يفرن ومغراوة، وغيرهم من ملوك المغرب في الإسلام[٣]. وكان تأسيس الإمام إدريس لمدينة فاس في يوم الخميس غرة

(١) راجع: محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، ص ١٧٢.

(٢) عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة، ص ٦٦- ٦٧.

(٣) المراكشي، أبو محمد عبدالواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، حققه، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٢٥٦ - ٢٥٨.

ربيع الأول عام اثنتين وتسعين ومائة، أسس عدوة الأندلس منها وأدار بها السور، وبعدها بسنة أسست عدوة القرويين، وذلك في غرة ربيع الآخر من سنة ثلاث وتسعين ومائة. ويذكر ابن أبي زرع عن سبب التسمية، أنه كان قبلها في موضعها مدينة قديمة خربت قبل الإسلام بألف وسبعمائة سنة، اسمها مدينة ساف، وقلبوا اسمها الأول وسموها فاس[1].

وفي عهد الموحدين تم نصب الثريا الكبرى التي لا تزال إلى اليوم شاهدة على الحضارة الموحدية وروعة الفن والإبداع المغربي، حيث تتضمن اسم العاهل الموحدي أبا عبدالله الناصر الذي أمر بصنع هذه التحفة، كما يتضمن جانب من ساق هذه الثريا كتابات نصها: «**صنعت هذه الثرية بمدينة فاس حرسها الله وكان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ستمائة**».

ومن الثريا الكبرى إلى صحن المسجد حيث نجد «**خصة العين**» التي تمتاز أكثر ما تمتاز بشباك من رخام أبيض يحتوي على مائة وأربعة وعشرين خاتمًا، ويوجد تحت النافذة البديعة تاريخ الصنع بالخط النسخي على حجر أحمر، نصه بعد التسمية والتصلية: «**وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ...كمل في شهر جمادى الآخرة سنة تسعة وتسعين وخمسمائة**»، وهذه النقوش تؤرخ دخول الماء إلى صحن القرويين بعد أن كان يقتصر على باب الحفاة[2]. وبأمر الناصر الموحدي وإذنه للفقيه الصالح أبي محمد يسكر، تم توسيع باب الحفاة وتجديده وفتح الباب المقابل لفندق ابن حيون من الجهة الشرقية من القرويين، وأنشئت البيلة[3]، والخصة[4]، ودار الوضوء[5].

ثم أصبحت مدينة فاس قاعدة ملوك بني مرين، حيث استوطنوها وبنوا معها ثلاث مدن

(١) راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٤٠- ٦١.

(٢) عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة ، ص٦٦ - ٦٧.

(٣) أصل البيلة كلمة إسبانية وهي صهريج من الرخام مستطيل ملاصق للأرض.

(٤) الخصة في الاصطلاح المغربي تعني مجموع شيئين اثنين: الأنبوب الذي يتفجر منه الماء نحو الأعلى (النافورة) والحوض الذي يتجمع فيه الماء.

(٥) قدم لعمل البيلة والخصة اللتين في الصحن رجل من سجلماسة يعرف بالفقيه أبي الحسن بن عبدالله السجلماسي من أهل المعرفة بالبناء والهندسة، فعمل البيلة وما حولها من الرخام الأبيض جعل طولها اثنى عشر شبرا وارتفاعها ستة اشبار وأدار بذلك تكفيف رخام، وجعل شباكا من الرخام من مائة وأربعة وعشرين خاتما وكتب تحته في خط منقوش بارع: «بسم الله الرحمن الرحيم .. وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار...» كمل في شهر جمادي الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية ، ج ١، ص ٢٧٤.

موازية لها، على ضفة الوادي المعروف بوادي الجواهر، وبكل من فاس القديمة وفاس الجديدة المسماة بالبيضاء[١] وحمص[٢]: الجوامع والمساجد والمآذن والحمامات والأسواق[٣].

ويذكر الجزنائي من بين مواصفات مدينة فاس قائلًا: «**ومنها ميل الناس لسكناها، فقد سكنها جملة من أصناف الناس وأهل الكور والأمصار، وانتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية، فليس من أهل بلد ولا إقليم إلّا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومتصرف. واجتمع فيها ما ليس في مدينة من بلدان الدنيا، وأتتها النجارات وأهل الصناعات من كل صقع حتى تكامل بها كل متجر...**»[٤].

ولقد كان لبني مرين وللبيوت والمدارس التي عاش العلم فيها زمنًا طويلًا، فضل وأثر في ازدهار الحركة العلمية في مدينة فاس، ومن أشهر الخزانات العلمية التي كانت بمدينة فاس خزانة أبي يوسف المريني، وخزانة أبي عنان المريني وخزانة أحمد المنصور الذهبي السعدي، فضلًا عن أكثر من ثلاثين خزانة صغيرة ظلّت تؤدي وظيفتها لمدة قرون من الزمن. أما خزانة القرويين فتعتبر من أهم الخزانات العامة بالمغرب بل في العالم كله، وقد أسسها السلطان أبو عنان المريني حين بنى لها مقرًا بالناحية الشرقية من صحن جامع القرويين عام ٧٥٠ هـ ووقف عليها كتبا شتى في مختلف العلوم والفنون وظلت على حالها إلى أن نقلها أحمد المنصور السعدي في أواخر القرن العاشر الهجري إلى البناية التي توجد فيها الآن ببابها الرئيسية المتصلة بساحة الصفارين[٥].

ومن أبرز نفائس خزانة القرويين أجزاء من موطأ مالك «ت١٧٩هـ» كتبت لخزانة علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي على رق الغزال، وكتاب سيرة ابن إسحاق «ت ١٥١هـ» كتب سنة ٢٧٠هـ وهو أقدم ما يوجد بالخزانة، والمصحف الأكبر الذي حبسه السلطان أحمد المنصور الذهبي على الخزانة عند تدشينها عام «١٠١١ هـ». كما يوجد بها كتاب العبر لابن خلدون

(١) المدينة البيضاء أو البلد الجديد: بناها يعقوب بن عبدالحق المريني، وشرع في بنائها عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، وهي حي القصر الملكي والجامع ودور المخزن، ولعل اسم المدينة البيضاء كان يطلق أول الأمر على فاس القديم. راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج١، ٢٠٠١م، ص ٤١٧.

(٢) حمص: حي بفاس الجديد كان يقطن به رماة شاميون من حمص، وقد أقيم مكان الملاح الحالي. راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، فاس منبع الإشعاع، ج١، ص ٣٨٥- ٣٨٦.

(٣) راجع: محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ١٩٩٦، ص ٥٤٩ - ٥٥٥.

(٤) راجع: علي الجزنائي، جني زهرة الآس، ص ٣٩.

(٥) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين، ج٢، ص ٤٥١.

«ت٨٠٨ هـ» الذي ألف باسم السلطان أبي فارس المريني وأهدي إلى خزانة القرويين في صفر من عام ٧٩٩ هـ[1]. وبذلك يمكن القول، بأن مدينة فاس تعتبر أول مركز عربي إسلامي في ميدان التطبع بالطابع الشرقي، ذلك أن الفنون والصناعات اتخذت فيها مناهج جديدة منذ العصر الأموي في كل من الشرق الأدنى والمغرب العربي[2].

ثانيًا: مدينة الرباط وسلا «اللوحتان ١٠٠، ١٠١»

تعتبر مدينتا الرباط وسلا من أهم مدن المغرب الأقصى، كما تُعدَان من بين مراكز صناعة التحف المعدنية بصفة عامة، ولقد برزت أهمية مدينة رباط الفتح[3] جنوبي نهر أبي رقراق منذ إنشائها زمن الموحدين[4].

وكانت شالة[5] هي أهم المدن التي ارتبط بها موقع المدينة، التي ستسمى فيما بعد برباط الفتح تاريخيًا، التي كانت حتى ظهور المرابطين مجرد منطقة فضاء تقع شمالي مدينة شالة وترتبط بها سياسيًا وتاريخيًا، «لوحة ١٠٢»، وكذلك بمدينة سلا[6] الواقعة على الضفة اليمنى

---

(١) محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، ص ٢٥٠- ٢٦١.

(٢) راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، الأثر الإسلامي في الفن المغربي، البينة، مجلة الرسالة الخالدة والثقافة المتحررة، ع ١٠، ١٩٦٣م، ص ٣٩.

(٣) يذكر المؤرخ بوجندار أن سبب تسمية رباط الفتح بهذا الاسم يعود إلى قبل بناء هذه المدينة حيث كان عبارة عن بقعة فسيحة متسعة ينزل بها جيوش الإسلام ذهاباً وإياباً فلكونها كانت رباط الملوك سميت بذلك. وبقي هذا الاسم يطلق عليها حتى بعد بنائها. وقيل فيها رباط الفتح تذكاراً للفتح الأندلسي الذي كان بناؤه من غنائمه وأنه إنما بني لغرض الجهاد والفتح وبه فتح على الموحدين. فهو رباط الفتوحات والفاتحين . راجع: أبي عبدالله محمد بوجندار، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، مطبعة الجريدة بالرباط، جمادى الثانية عام ١٣٤٥هـ، ص٧٩.

(٤) عبدالله السويسي، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٩، ص ٤٩

(٥) اسمها الأصلي «سلفيس»، وكانت تعرف به عند القرطاجنيين، ولما احتلها الرومان أطلقوا عليها اسم «سلاكولونيا»، بمعنى عمارة سلا، ثم اقتصروا على أحد الجزءين من المركب، فقالوا: سلا وسالي وسل وسلة . وكلمة شالة في اللغة البربرية القديمة والحديثة ، واللغة الآرامية واللغة الفينيقية، تعني الكثرة، ومن أهم مخلفات الرومان بالمغرب شبكة الطرق الطويلة التي كانت من أشهرها الطريق الساحلي الممتد من مدينة قرطاجنة في الشرق حتى لبدة، وإلى الغرب حتى طنجة ، والطريق الممتد من طنجة حتى شالة التي تقع جنوبي موضع رباط الفتح . راجع: سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٦ م، ص٦.

(٦) راجع:

Joudia Hassar- Benslimane, Le passé de la ville de Sallé dans tous ses états.éditions maison-neuve et larose. Paris. 1992. pp.103-110.

من نهر أبي رقراق. فيذكر بعض المؤرخين أن الفينيقيين اختاروا الموضع الذي تشغله شالة الواقعة جنوب الرباط الحالية كأول نقطة للماء قابلوها قرب المصب، والتي أصبحت عاصمة الفينيقيين، وكانت هذه المنطقة بمثابة المركز التجاري للفينيقيين في المغرب الأقصى، وفي العصر الروماني أصبحت المنطقة الواقعة شمال الرباط الحالية، تابعة لإقليم موريطانيا الطنجية، وهو أحد الأقاليم التابعة للمغرب في العصر الروماني، وكانت الرباط مدينة صغيرة ومسورة في عهد الرومان وكان موضع القصبة الحالي حصنًا رومانيًا قديمًا(١).

وعندما وصل الخليفة عبد المؤمن بن علي(٢) عام ٥٤٥هـ إلى سلا لاستطلاع أحوال جزيرة الأندلس، أمر ببناء قصبة حصينة في ذلك الموضع على فم البحر الداخل إلى سلا، وكان الخليفة هو يعقوب المنصور الذي تمكن من تحقيق النصر وتشييد مدينة رباط الفتح تيمنًا بالنصر قبيل انتقاله إلى الأندلس على رأس القوات المجاهدة في شهر جمادى الثانية ٥٩١هـ / مايو ١١٩٥ م، أما المدينة فقد تم بناؤها في حياة أبي يوسف وكملت أسوارها وأبوابها(٣).

وذكر بعض المؤرخين أنه «في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة بني رباط الفتح(٤) بالمغرب الأقصى(٥) وتم سوره وركبت أبوابه ، وأنها كانت مدينة عظيمة فيها قيسارية

(١) سميت سلا باسم بانيها وهو ملك اسمه سلا من ملوك العلم الأقدمين .أما شالة في اللغة البربرية القديمة والحديثة ، واللغة الآرامية واللغة الفينيقية، فتعني الكثرة . راجع: محمد بن على الدكالي، الإتحاف الوجيز تاريخ العدوتين.، تحقيق مصطفى بو شعراء، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، المغرب / ١٩٨٦، ص٣١، سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط ، ص٣.

(٢) عبد المؤمن بن على بن يعلى بن مروان بن نصر بن على بن عامر .. بن عدنان، كانت بيعته يوم الخميس الرابع عشر لشهر رمضان المعظم من سنة أربع وعشرين وخمسمائة، وهي البيعة الخاصة، بايعه العشرة أصحاب المهدي، وبويع بيعته العامة يوم الجمعة الموفي عشرين لربيع الأول من سنة ست وعشرين وخمسمائة، بعد وفاة المهدي بسنتين بعد صلاة الجمعة. راجع: على بن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس، ص٢٣٥– ٢٣٩.

(٣) كان أهل الأثر يقولون حتى مطلع التسعينات من القرن السادس الهجري في ذلك: سيكون في هذا الموضع مدينة عظيمة لخليفة. راجع: عبدالكريم كريم، رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٩، ص ٩، ١١.

(٤) من المناطق الأولى التي سكنها الإنسان المغربي القديم: الضفتان الشمالية والجنوبية لمصب وادي أبي رقراق في المحيط الأطلسي، فقد أثبتت دراسة جمجمة « إنسان الرباط » التي عثر عليها في فبراير ١٩٣٣، أن الحياة البشرية قد ظهرت في هذه المنطقة منذ نصف مليون سنة تقريباً . راجع: عبدالكريم كريم، رباط الفتح ، ص٩.

(٥) أول من افتتح هذه البلاد بالإسلام هو عقبة بن نافع الفهري لما قدم إليها، في ولايته الثانية على المغرب أيام خلافة يزيد بن معاوية سنة اثنين وستين من الهجرة، وانتهت غارته السريعة بوقوفه على ساحل البحر المحيط، ودخوله بفرسه في مياه المحيط حتى بلغ الماء بطن الفرس، ثم كان مجئ موسى بن نصير عام ٨٧ هـ الذي تمكن من إخضاع بلاد المغرب كلها. راجع: بوجندار، مقدمة الفتح ، ص٣١.

عظيمة وحمام وفنادق وديار كثيرة ومياه مطردة وسقايات ومنافع[١]، وتم بناء مدينة رباط الفتح في حياة أبي يوسف يعقوب المنصور[٢] ثالث خلفاء الموحدين[٣]، وكملت أسوارها وأبوابها»[٤]، وقد نمت مدينة الرباط واتسع عمرانها وتطورت أوضاعها بعد الهجرة التي قام بها الأندلسيون غداة صدور ظهير الخليفة الموحدي الرشيد يوم ٢١ شعبان عام ٦٣٧ هـ الذي يأذن لهؤلاء المهاجرين بسكنى المدينة واستثمار الأراضي المحيطة بها[٥].

ويعتبر الخليفة الموحدي عبدالمؤمن بن علي أول من اهتم بتنفيذ ما أوصى به المهدي بن تومرت[٦] صاحب الدرهم المُركن «المربع»[٧]، فابتدأ في بناء حصن ومدينة في نفس الموقع الذي يقوم عليه رباط وقصبة تاشفين بن علي، وعرف هذا الحصن وما حوله من مبان سكنية في عهده باسم «المهدية»[٨]، وكان النواة الأولى واللبنة الرئيسية لمدينة رباط الفتح التي ستتخذ شكلها النهائي في عهد حفيده الخليفة المنصور الموحدي ٥٩٣ هـ ٥٩٤ هـ[٩].

---

(١) راجع: أبي عبدالله محمد بوجندار، مقدمة الفتح ، ص ٧٥- ٧٦.

(٢) المنصور بالله يعقوب بن يوسف: هو أمير المؤمنين، عبدالله، يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن على، ولقبه المنصور بفضل الله، وكنيته أبو يوسف، بويع يوم الأحد التاسع عشر لربيع الآخر من سنة ثمانين وخمسمائة في بيعة خاصة، وتأخرت بيعة العامة بسبب كتم الوفاة إلى يوم السبت الثاني من جمادي الأولى من نفس السنة بويع البيعة العامة، وتوفي يوم الخميس الثاني والعشرين لربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة، ودفن في تينمل. راجع: ابن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس ، ص٢٨٥.

(٣) راجع: حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته ، مج٢، ج ٢، ص ١١٠.

(٤) راجع: عبدالكريم كريم، رباط الفتح. ص ٩- ١١.

(٥) راجع: عبدالكريم كريم، رباط الفتح عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٣م، مجلة التاريخ العربي، العدد٢٦ ربيع ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م ، ص ١٥.

(٦) محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدي، أصله من هرغة من بطون المصامدة. راجع: ابن خلدون، تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب، وهو القسم الآخر من التاريخ الكبير المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ج١، راجعه وصححه، البارون دسلان، طبع في دار طباعة الدولة في المغرب، ص ٢٧٤.

(٧) عرف أبو عبدالله المهدي القائم بأمر الموحدين، بأنه صاحب الدرهم المركز. راجع: أبي الحسن علي ين يوسف الحكيم، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٦م، ص ٦٨.

(٨) يستخلص من كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت، أنه دشن بالغرب الإسلامي ثورة ثقافية كبرى ساهمت في تبلور ثقافة إسلامية مغربية . راجع: عبد الواحد العسري، مدخل لدراسة كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت، مجلة كلية الآداب بتطوان، عدد١، سنة ١٩٨٦م، ص ٦٩- ٩٥.

(٩) يتبين من خلال النصوص التاريخية أن قصبة المهدية التى شرع الخليفة الموحدى عبدالمؤمن بن على في بنائها والمدينة التى شرع في تمصيرها، كانت قائمة في نفس موضع القصبة التى بناها تاشفين بن علي وما حولها، وأن عبدالمؤمن بن علي أمر بإعادة بناء تلك القصبة وتحصينها تحصيناً محكماً، كما أمر ببناء قصر له فيها =

وقد عرف عن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن[1] «٥٥٨- ٥٨٠هـ/ ١١٦٣- ١١٨٤م»، الاعتناء بالبناء والتشييد وبالجهاد والفتوح، وتذكر المصادر أنه الذي بنى مدينة الرباط[2]، أو الشطر الأكبر منها، وعرفت الرباط معه مشاهد جهادية عظيمة أخرى، فقد حل بها مع أجناده في جوازه الأول إلى الأندلس، في «٢٠ رجب عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م»، وأمر ببناء أسوار الرباط من الجنوب والغرب، وجدد السقاية التي بناها أبوه، وأنشأ بجوارها صهريجًا عظيمًا يمدها بالماء، كما أنشأ جسرًا آخر على وادي أبي رقراق بجوار جسر والده. وتجمع المصادر التاريخية على أن مدينة رباط الفتح تم بناؤها في عهد يعقوب المنصور، وليس هناك خلاف إلا في كونه المؤسس لها أو متمم ما بناه والده يوسف، أو ما بناه جده عبد المؤمن، وإن كان الراجح أن الخلفاء الموحدين الثلاثة أسهموا في تأسيس حاضرة الرباط[3] وأن مرحلة التأسيس استمرت قرابة نصف قرن «٥٤٥- ٥٩٣ هـ / ١١٥٠- ١١٩٦م»[4]، وقد أصبحت قصبة الرباط مقرًا للخلفاء والولاة، واكتظت بالدور ونشطت الحياة التجارية بها وعمرت بالأسواق[5].

وقد شكلت العدوتان «الرباط وسلا»، معا منطقة جغرافية واحدة على ضفتي نهر أبي رقراق، حيث استمدت هذه المنطقة التي تطل على المحيط الأطلسي، من ذلك وحدتها المكانية، وطابع طقسها، مما شكل بذلك موقعًا استراتيجيًا كانت له أهميته الإيجابية[6]، وقد اكتسبت

= وهو القصر الذي سيصبح قصر ولاة سلا ورباط الفتح طوال عصر الموحدين. راجع: بوجندار، مقدمة الفتح، ص٤٠، سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط. ص٢١- ٢٣.

(١) هو أمير المؤمنين يوسف بن الخليفة أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي، ولد يوم الخميس من شهر رجب من سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وبويع يوسف بعد وفاة ابيه، في يوم الأربعاء الحادي عشر لجمادى الأخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة، وتوفي شهيداً في غزاة شنترين من بلاد غرب الأندلس يوم السبت الثامن عشر من ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة، وهو ابن سبع وأربعين سنة، وكانت أيامه في الملك إحدى وعشرين سنة وأشهراً وأياماً ودفن في تينمل إلى جانب قبر أبيه. راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس ، ص٢٦٩-٢٧٣.

(٢) راجع: عبدالكريم الشيلي، الأربطة والمرابطة بإفريقية من خلال النوازل المالكية «ق ٨ -١٠ م»، مجلة التاريخ العربي، العدد ٢٥، شتاء ٢٠٠٣م، ص١٩٥- ٢١٠.

(٣) راجع: عباس الجراري، إقليم الصخيرات تمارة مهد تاريخي أصيل، ، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج١، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٩٤، ص١١٨- ١١٩.

(٤) محمد حجي، ظاهرة الجهاد في تأسيس سلا والرباط، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج١، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٩٤، ص ٤٣ - ٤٤.

(٥) راجع: سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط. ص٢١ ٢٣.

(٦) راجع: عمر امين بنعبدالله، عدوتا الرباط وسلا، ومدى وجود الصناعة التقليدية بهما، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج ١، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ١٩٩٤، ص ٣٠٣.



الرباط وسلا أهمية خاصة منذ القرن السادس الهجري «الثالث عشر الميلادي»، كمينائي من الموانئ الرئيسة[١] في المغرب الأقصى في عهد الدولة المرينية التي تعتبر واحدة من أهم دول الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ورابع دولة حكمت المغرب الأقصى بعد الأدارسة والمرابطين والموحدين، وأطولها مدة، إذ استمرت من منتصف القرن السابع الهجري إلى منتصف القرن التاسع الهجري[٢].

وتعتبر سلا من أقدم المدن المغربية على ساحل المحيط الأطلنطي، تتوسط الشريط الساحلي الرابط بين شمال المغرب وجنوبه في موقع يتحكم في الطرق الآمنة التي كانت صلة وصل معتادة بين مراكش وفاس. فكان من أسباب أهميتها هذه الوضعية الإستراتيجية التي تجعل من المدينة مرحلة متميزة في طريق المسافرين العاديين، أو مواكب السلطان التي كان يتعذر عليها أحيانًا المرور مباشرة من فاس إلى مراكش عبر تادلة والمناطق المحاذية أو العابرة بجبال الأطلس المتوسط. وانتظم العمران القديم داخل أسوار تمتد على شكل مستطيل ممتد من البحر إلى الداخل، جانبان منه يحاذيان البحر من جهة الغرب ووادي أبي رقراق من جهة الجنوب. فتصميم المدينة القديمة يتسم بشكل هندسي يتقاطع داخله محوران أساسيان يربط الأول منهما الباب الجديد بباب سبتة، ويصل الثاني بين الأحياء الموجودة في رأس العقبة وباب الخميس أو باب فاس الموجود شرق المدينة، ولعبت سلا دورًا اقتصاديًا هامًا في تاريخها كنافذة للمغرب على البحر، وقد ساهم انفتاح المغرب على التجارة الأوربية في أواخر القرن الثالث عشر١٩م، في تمتين علاقتها التجارية بالمدن الداخلية والساحلية حيث تمكنت من مد إشعاع تجاري قوي بلغ مداه الأقصى شمالاً وشرقا العرائش وفاس، وذلك عبر أسواق الغرب[٣].

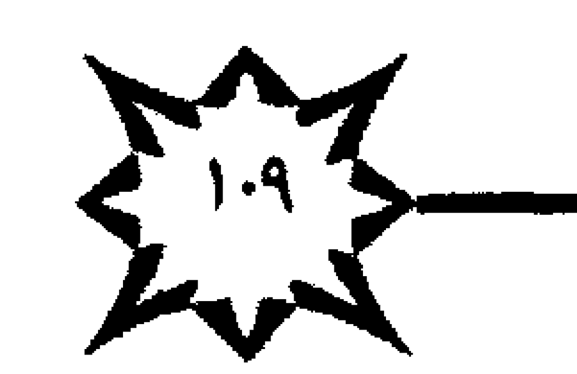
وظلت سلا وشالة قائمتين إلى الفتح الإسلامي، ثم أصبحت سلا مقر إمارة إدريسية تابعة لمملكة فاس على إثر وفاة إدريس الأزهر سنة٢١٣هـ/٨٢٢م يشمل نفوذها شالة وبلاد تامسنا وزمور. كما أسست سلا الحديثة في أواخر القرن الرابع أو أوائل الخامس الهجريين، واشترك في تأسيسها عنصران: بنو عشرة، وهي أسرة عريقة في المجد والثراء تنتسب إلى

---

(١) إبراهيم حركات، تأملات في التاريخ الاجتماعي للعدوتين، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج ١، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ١٩٩٤، ص ٧٥- ٨٤.

(٢) راجع: رشيد السلامي، المرينيون، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، ٢٠٠٥م، ص٧١٠٢.

(٣) راجع: محمد الناصري، سلا، معلمة المغرب الأقصى، ج ١٥، ص ٥٠٥٦- ٥٠٥٧.



الكاتب النابه أحمد بن مدبّر البغدادي أخي إبراهيم وزير المعتمد على الله العباسي، وبنو يفرن الزناتيون الذين ورثوا ملك الأدارسة. شيد بنو عشرة الحي المحيط بالجامع الكبير في حومة الطالعة، وبني الزناتيون حي زناتة في الشمال الشرقي للجامع واتخذوا من سلا الحديثة حاضرة لإمارتهم التي امتد نفوذها من فاس إلى تادلا وأغمات عبر الدير وجذور الأطلس الكبير.

ولما جاءت دولة المرابطين وأنهى يوسف بن تاشفين مسألة بورغواطة وشرّد بهم من خلفهم، قضى على بني يفرن الزناتيين في سلا في إطار توحيد المغرب وأكرم مثوى بني عشرة وجعل منصب القضاء في سلا وقفًا عليهم يتوارثونه، وأسند إلى بعضهم القضاء خارج سلا. وعرفت الحياة المادية والفكرية في مدينة سلا تطورات أساسية خلال القرنين الهجريين السادس والسابع «١٢، ١٣م» واندمجت المدينة أكثر في محيطها القريب والبعيد، فبعد فترة قصيرة من النفور ومقاومة الدولة الناشئة تمنعت فيها سلا على الموحدين.

وإذا نظرنا إلى حالة مدينة سلا في العصر المريني الذي يمتد على نحو ثلاثة قرون «من منتصف القرن السابع إلى منتصف العاشر «١٣- ١٦م»، فإننا نجدها في تطور مستمر بالرغم على الأزمات والكوارث السياسية والطبيعية التي أصابتها، ونلاحظ بروز ظاهرتين حضاريتين أصبحتا منذ هذا التاريخ، تطبعان المدينة ولا تنفكان عنها:

أولاهما ظاهرة حضارية تتمثل في انتشار الزهد والصلاح، وذلك تطور طبيعي للحركة الصوفية النشيطة التي عرفتها المدينة خلال القرن السادس «١٢م»، واشتهرت داخل المغرب وخارجه كمكان مفضل للخلوة والعبادة والنسك، وانتقل إليها عدد من الشيوخ العارفين والمريدين السالكين، وعلى رأسهم العالم الصالح قمة الزهد والورع سيدي بن عاشر أحمد ابن محمد ابن عاشر الشميني الأندلسي.

والظاهرة الحضارية الثانية بسلا في هذا العصر، تتمثل في تقدم الصناعات والمعارف بفضل المؤسسات التي أقامها ملوك بني مرين بهذه المدينة، كدار الصناعة من عمل يعقوب ابن عبد الحق، ومدرسه الطالعة من إنشاء أبي الحسن، والمدرسة الطبية أو المارستان من عمل أبي عنان. وأرى أن لعناية هؤلاء الملوك بسلا علاقة بظاهرة التصوف الأولى، إذ كان لهم اعتقاد في أولئك الصالحين، ومطارحات أبي عنان مع الشيخ ابن عاشر معروفة في كتب التاريخ والمناقب[1].

(١) محمد حجي، سلا، معلمة المغرب، الجزء ١٥، ٥٠٥٩-٥٠٦٣.

ولاشك أن هذه الحقبة الطويلة من الزمن خلفت آثارًا عديدة، مثل إقامة المآثر، كالجامع الكبير والمارستان الذي كان قبالته، ومسجد شالة ومدرستها وأضرحتها التي دفن بها أشهر الملوك المرينيين، كما يرجع إلى هذا العهد تجديد إجراء المياه[(١)]، وإقامة بعض المرافق الاجتماعية التي مازالت قائمة، ومن أهمها الحمامات[٢] التي امتازت بهندسة البناء والتصميم في العهد المريني[(٣)].

وقد تواصل الارتباط الإداري للرباط بسلا إبان العصر المريني، وظلت العدوتان معًا موضع رعاية ملوك بني مرين، وظلت جيوشهم الغادية إلى الأندلس تحل على مشارفهما وموظفو الدولة يترددون على المدينتين، كما وجهوا اهتمامهم إلى شالة، فجددوا قصبتها بشكل كلي، وجعلوا مَنها مدفنا للملوك وأسرهم.

ولقد انصب اهتمام بني مرين على العدوتين لا كتعاطف مع الماضي الزناتي بالمنطقة فحسب، بل لضرورة استراتيجية كذلك، فلم تغن سبتة وطنجة كميناءين اقتصاديين، ونقطة عبور إلى الأندلس، عن إعادة تجهيز وتقوية ميناءي العدوتين، لأن منطقة تامسنا أصبحت تستقبل عشرات الألوف من فرسان زناتة وأسرهم، وخيرات المنطقة الفائضة عن الحاجة، تصدر إلى الأندلس وغيرها، وهذا يتطلب المزيد من الموانئ التي جمعت بين دور التواصل الاقتصادي والدور الاستراتيجي، بالإضافة إلى بداية تعرض سواحل الأطلسي إلى هجوم من إيبريا المسيحية منذ القرن ٧ هـ/ ١٣م. وإذا كان التاريخ الجهادي للعدوتين قد ارتبط بشكل وثيق منذ الأدارسة على الأقل، فإنه تلاحما منذ القرن ٦هـ/ ١٢م، ثم تحددت معالمه بشكل

---

(١) أول من أجرى المياه بسقايات الرباط ومساجدها من عين غبولة هو عبد المؤمن الموحدي سنة ٥٤٥هـ، ثم أجراها من بعده من هذه العين السلطان يعقوب المريني سنة ثلاث وثمانين وستماية، وذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج. راجع: بوجندار، مقدمة الفتح، ص ١٣٩- ١٤٠.

(٢) عرفت الحمامات ببلاد المغرب بواسطة الرومان، إلا أن الأدارسة والمرابطين والموحدين قد استفادوا كثيراً مما شاهدوه بالأندلس من حمامات إسلامية فبنوا مثلها بالمغرب. راجع: عبد القادر الخلادي، لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات في المجتمع الإسلامي، مجلة دعوة الحق، العدد التاسع والعاشر، السنة الثامنة، ١٩٦٥م، ص١٢٢.

(٣) واستمر الوضع إلى الدولة السعدية التي كان لها شرف الانتصار في معركة وادي المخازن عام ٩٨٦ هـ / ١٥٧٨م، بالقرب من مدينة القصر الكبير في شمال المغرب، وهي المعركة التي قتل فيها ملك البرتغال دون سبستيان. وقد شهدت الرباط في ظل الدولة العلوية ابتداء من منتصف القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، نموا كبيراً حيث أضحت من أهم المدن في المغرب الأقصى. راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة، منشورات جمعية رباط الفتح، ١٩٩٠، ص ٦١- ٦٥.

نهائي منذ القرن ٧هـ/ ١٣م بإنشاء ترسانة سلا وتحسين ترسانة الرباط[١].

وقد شارك المرينيون بنصيب وافر في العمران بصفة عامة، وفي تشييد منشآت الرعاية الاجتماعية بصفة خاصة، فقاموا ببناء المدن والقرى والقلاع، كما شيدوا مدارس كثيرة ومارستانات مهمة، وكانوا في فن البناء أحسن مثال للنقل عن الفن الأندلسي الأصيل بعد أن بلغ ذروته في عصر بني الأحمر، وشيد المرينيون مباني كثيرة، وكان من أهم بناة الدولة يعقوب المنصور الذي بنى فاس الجديدة، والمنصورة حول تلمسان، وأصلح ووسع مسجد تازا[٢].

وعرفت مدينتا رباط الفتح وسلا انتعاشًا، بدءًا من منتصف القرن السابع الهجري «الثالث عشر الميلادي»، حيث بسط المرينيون نفوذهم ثلاثة قرون ونصف قرن من تاريخ الإسلام ببلاد المغرب، فازدهرت مظاهر الحضارة والعمران في عهدهم عندما أصبحوا من أقوى ملوك أفريقيا الشمالية[٣]. وخلفوا لنا آثارا عديدة، مثل إقامة المآثر، كالجامع الكبير والمارستان الذي كان قبالته ومسجد شالة ومدرستها وأضرحتها التي دفن بها أشهر الملوك المرينيين[٤].

وقد شهد المغرب الأقصى ازدهارًا في الحياة الصناعية خلال العصر الإسلامي، قام هذا الازدهار على أكتاف طبقة الصناع الذين انتشروا في أرجاء البلاد وكونوا طائفة لها أهميتها ووزنها بين طبقات المجتمع الأخرى. وقد أحس ولاة الأمر بأهميتهم ومدى احتياج البلاد إليهم، ومن هنا وفي خلال المذابح الدموية التي حلت بسكان مراكش عند استيلاء الموحدين عليها، حرص الخليفة عبدالمؤمن على الإبقاء على حياة الصناع، وذلك لاحتياج الدولة لهم. وتذكر الكتابات التاريخية في ذلك أنه: «**لما قتل عبدالمؤمن من أهل مراكش فأكثر فيهم القتل، اختفى كثير من أهلها، فلما كان بعد سبعة أيام، أمر فنودي بأمان من بقي من أهلها، فخرجوا فأراد أصحابه المصامدة قتلهم فمنعهم، وقال: هؤلاء صناع وأهل الأسواق ممن ننتفع بهم فتركوا**». وقد شملت طبقة الصناع عدة طوائف[٥].

كما نشأ نظام الطوائف والتكتلات الصناعية التي عرفت بأسماء متعددة لكل الأصناف، وأرباب الصنائع، وأصحاب المهن، وأهل الحرف، مثل الصباغين، والبزازين، والصفارين،

(١) إبراهيم حركات، تأملات في التاريخ الاجتماعي للعدوتين، ، ص٧٥- ٨٤ .

(٢) راجع: ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج٢، ص ١٣٠.

(٣) راجع: عبد العزيز بنعبد الله، الفن المغربي ، ص ٢٥٤.

(٤) راجع: بوجندار، مقدمة الفتح ، ص ١٣٩- ١٤٠.

(٥) راجع: حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ط١، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠، ص٣٤٧.

وغيرهم[١].

ومن أهم صناع وسائل الإضاءة في المغرب الأقصى الصانع المعلم الحجازي، الذي صنع ثريا الجامع الكبير بفاس الجديدة في عام ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م[٢].

(١) راجع: بشير رمضان التليس، وآخرون، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٣٣٧.

(٢) راجع: ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص ١٦٢.



ثانيًا: عمائر الثريات

عُرفت بعض المساجد والمدارس في المغرب الأقصى، بمجموعة فريدة من الثريات المعدنية التي حظيت برعاية واهتمام أمراء وخلفاء وسلاطين وملوك المغرب الأقصى الذين شجعوا على صناعتها، وأوقفوا لها المنشآت للإنفاق عليها، باعتبارها من أهم وسائل إضاءة العمائر الإسلامية، مثل جامع القرويين بفاس، وجامع الأندلسيين، والجامع الكبير بتازة، ومدرسة العطارين، وغيرها من العمائر التي ينبغي الإشارة إليها باعتبارها حاضنة للثريات التي تعتبر من أهم مصادر الذاكرة التراثية في الفنون الإسلامية. ومن هذه العمائر ما يلي:

أولًا: جامع القرويين بفاس «٢٤٥ هـ/ ٨٥٩م»

«لوحات ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥»

يرجع بناء جامع القرويين بفاس إلى عهد أول دولة إسلامية أسست بالمغرب[١]، ويذكر المؤرخون أن هذه المدينة التاريخية قد عرفت في ذلك العهد نزوحَ وهجرة بضعة آلاف من عرب القيروان، حيث عمل أميرها على إسكانهم بالضفة الشرقية من وادي فاس، وسماها عدوة القيروانيين، ولكثرة الاستعمال خُففت فأصبحت القرويين. لكن الحاجة سرعان ما دفعت إلى ضرورة بناء مسجد كبير يقيم فيه سكان الحي الناشئ صلواتهم، فقيض الله لذلك امرأة من نساء القيروانيين المهاجرين، هي السيدة فاطمة بنت عبدالله الفهري القيرواني «أم البنين»، حيث وهبت كل ما ورثته من أموال لبناء المسجد الذي تم الشروع فيه يوم السبت مستهل رمضان المعظم سنة خمس وأربعين ومائتين/ ٣٠ نوفمبر ٨٥٩م[٢]، ونصبت قبلته على نحو قبلة جامع الشرفاء الذي أسسه الإمام إدريس بن إدريس، وبني من أربع بلاطات من قبلة إلى جوف في كل بلاط اثنا عشر قوسًا من الشرق إلى الغرب[٣]، وجعل محرابه بمقدم

(١) بعد أن بايعت قبائل البربر إدريس بن عبدالله العلوي بالإمامة الذي فر ناجياً بنفسه من وقعة فخ قريباً من مكة سنة ١٦٩ هـ، إذ أن فشل ثورة الحسين بن علي أمام قوات العباسيين ومقتل العديد من أفراد آل البيت، دفعت إدريس بن عبدالله والذي كان مشتركاً في الثورة إلى الاختفاء في موسم الحج ثم الهروب مع مولاه راشد قاصداً مصر، ومنها استطاعا الوصول إلى مدينة وليلي بالمغرب الأقصى، . راجع: حسن علي حسن، محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الشباب، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٦٣.

(٢) ابن أبي زرع: روض القرطاس ، ص ٦٨.

(٣) راجع: حسن السائح، التاريخ العلمي لجامعة القرويين، منشورات الإيسيسكو، الرباط، ١٩٩٧م، ص١٥.

البلاط[١] الذي أمام الثريا الكبرى الآن وجعل بمؤخره صومعة حيث العنزة الآن[٢].

وبذلك كانت القرويين الأولى في عهد الأدارسة تشتمل على أربعة بلاطات تسير في موازية القبلة تشغل مساحة عمق المسجد بين القبلة الواقعة جنوبًا وبين العمق في الجهة الشمالية. كما يشتمل بيت الصلاة على اثني عشر قوسًا يبلغ اتساعها الأفقي الموازي لجدار القبلة إلى امتداد حائط المحراب. وعندما تولى أحمد بن أبي بكر الزناتي، زاد فيه أربعة بلاطات من الغرب وخمسة من الشرق، وثلاثة من الجوف في موضع الصحن الذي كان فيه، وجعل بمؤخره الصحن، وفي غربي هذا الصحن بلاطتين، وفي شرقيه كذلك وفي جوفه بلاط واحد بعد أن هدم الصومعة التي كانت فيه، وبني صومعته[٣]، وهكذا أصبح تخطيط جامع القرويين في العصر الزناتي فيما بين عصري الأدارسة والمرابطين عبارة عن بيت للصلاة يشتمل على ٢١ بلاطة عمودية على القبلة تتجه بين القبلة والصحن[٤] كما يشتمل على سبعة بلاطات عقودها موازية لحائط القبلة بعد أن كان يشتمل على أربعة في عهد الأدارسة، ثم زود بصومعته الحالية بعد هدم الأصلية لقدمها. أما القبة التي على العنزة[٥] فإنها من بناء المظفر بن المنصور ابن أبي عامر حاجب الخليفة المؤيد بناها عندما تغلب على فاس سنة ٣٨٨ هـ، وبنى السقاية والبيلة المستطيلة التي على يسار الخارج من باب الحفاة الجوفية، وجلب لها الماء من وادي حسن بأعلى المدينة من ناحية باب الحديد[٦].

---

(١) هذا لا يتعارض مع اللوحة الخشبية التي عثر عليها بناحية البلاط الذي كان فيه المحراب القديم والتي نقش عليها بالخط الكوفي « إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً، شهد الله انه لا إله إلا هو سبحان الله العظيم، بني هذا المسجد في شهر ذي القعدة من سنة ثلاث وستين ومائتي سنة، مما امر به الامام اعزه الله داود بن إدريس أبقاه الله وأكرمه ونصره نصراً عزيزاً، وفتح له فتحا مبيناً». راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج ١، ص ٢٦٧.

(٢) تكمن القيمة التاريخية والأثرية لهذا النقش في أنه يحمل تاريخ انتهاء العمل في المسجد، وهو « شهر ذي القعدة من سنة ثلاثة وستين ومائتين، وبذلك تكون أعمال البناء قد استغرقت ثلاث عشرة سنة.. راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة ، ص٦٢.

(٣) ابن أبي زرع، روض القرطاس ، ص ٧٠.

(٤) بعد أن كانت ١٢ بلاطة في عهد الأدراسة.

(٥) العنزة بفتح النون حاجز من خشب، والعنزة اصطلاح مغربي يقصد به المحراب الرمزي الذي يقام في الصحن عند نهاية بلاط المحراب. والعنزة هو الحربة أو اللواء الذي يركزه شيخ القبيلة في الصحراء قبل قيام الأعراب للصلاة ليحدد موضع المحراب من الفضاء ومقام الإمام من المصلين. راجع: أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، ج١، ص ١٤٢.

(٦) لا تزال تلك الصومعة المربعة قائمة للآن واتساع كل وجه منها واحدًا وعشرين شبراً، ويصعد لها على مائة=

وعندما ازدهرت فاس في عصر المرابطين، وكثر العمران بعدوة القرويين حتى ازدحمت المدينة، اجتمع الفقهاء والأشياخ، وخاطبوا قاضي القضاة في هذا الأمر، فاستأذن القاضي أبي محمد بن عبدالحق بن عبدالله بن معيشة الغرناطي أمير المسلمين علي بن يوسف في إجراء زيادة بالمسجد، فأذن له بالشروع فيها في سنة ٥٢٨هـ/١١٣٢م[1] وأذن له وشرع في شراء الأملاك التي كانت بقبلي الجامع، فهدمت وبيع ما لا يحتاج من نقضه وأخذ في بناء الزيادة ثلاث بلاطات عرضية، أضيفت إلى السبع القديمة، فكملت به عشر بلاطات من صحنه، وغشيت الأبواب بصفائح النحاس الأصفر بالعمل المحكم، وأمر بعمل المنبر، ثم بدأ العمل في بناء مقدم القبلة حيث يدخل إلى مصلى الجنائز، وأعيد بناء الباب الغربي الكبير المعروف بباب الفخارين، فسمي بباب الشماعين. وأقيم على الباب قبة بداخلها نقش ذكر ابن أبي زرع نصه كالتالي: «**صنع هذا الباب والقبة وكلف بالبناء والتركيب في شهر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة**». وكان الفراغ من هذه الزيادات سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة[2].

كما أضيفت زيادات معمارية وعمرانية أخرى في عهد المرابطين، مع الاحتفاظ بالخصائص العامة لما كان عليه الجامع غير أنه إذا كان الطابع العام للجامع قبل العصر المرابطي، يتسم بالبساطة في المعمار والبناء، فإنه في عهد المرابطين كان هنالك إبداع كبير في صنع القباب ووضع الأقواس وكتابة الخطوط والكلمات المنقوشة من آيات قرآنية وعبارات دعائية وغير ذلك. وقد تبقى نقشان تاريخيان من عصر المرابطين بمواجهة المحراب والقبة التي توازيه، الأول عبارة عن نقش داخل شكل مثمن في أعلى الواجهة نقرأ فيه: «**عمل عبدالله**

= درجة، وجعل بابها من جهة القبلة وغشيت بعد ذلك بصفائح النحاس الأصفر، وتم العمل في بنائها على يد أحمد بن أبي بكر الزناتي في شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وفق ما كتب في التربيعة المنقوشة بها من جهة الصحن، وجعل في أعلاها قبة صغرى ووضع في زاويتها تفافيح مموهة بالذهب في زج من حديد وركب في الزج المذكور سيف الإمام إدريس بن إدريس وجعل تحت القبة قبة أكبر منها لجلوس المؤذنين ومبيت المراعي منهم لأوقات الليل وانصداع الفجر لإقامة الأذان. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، ج ١، ص ٢٦٨.

(١) راجع: السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص ٦٧٢.

(٢) زاد المرابطون ثلاثة أساكيب خلف حائط القبلة القديم وأصبح تخطيطه النهائي مشتملا على عشرة أساكيب واحدى وعشرين بلاطاً، ومن زيادات المرابطين بناء الباب الغربي الكبير الذي بسماط الموثقين بني من مال الأحباس في أيام القاضي محمد بن عيسى السبتي سنة ٥٠٥ هـ وكذلك باب الشماعين أيام القاضي محمد بن داود سنة ٥١٨هـ حسبما كتب في قبة الجص التي بداخلها وهو الذي زاد في الصحن بناء البلاطتين من الجهة الشرقية ومن الجهة الغربية كذلك. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ص ٢٧٣.

بن محمد وكمل بحمد الله وحسن عونه في شهر رمضان المعظم إحدى وثلاثين وخمس مائة»[١].

أما النقش الثاني بين الأفاريز التي تحيط بالقبة فنصه **«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسول الله مما أمر بعمله عن أمر الملك العادل الآمر بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر الدين على بن يوسف بن تاشفين، أدام الله له أسباب التأييد والتمكين الفقيه المشاور الأجل الإمام القاضي الأفضل أبو محمد عبدالحق ابن عبدالله بن معيشة الكناني أدام الله توفيقه فعمل ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم وعنده تعالى وجل حسن الثواب وكريم المآب فرحم الله من قرأه ودعاه إلى الله سبحانه في عاجل القبول وإعظام الأجر والمجازاة له يوم النشر والحشر وكان إتمام ذلك كله بحمد الله وعونه في سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة. كذلك نقش على عنزة المرابطين في قسمها العلوي: «صنعت هذه العنزة في شهر شعبان المكرم سنة أربع وعشرين وخمسمائة»**[٢].

وبهذه الزيادة المرابطية اكتملت عمارة المسجد، واشتمل على حدوده التي نراها اليوم، ويمثل محور المسجد من الداخل بلاطة وسطى فسيحة، تعلوها القباب المقرنصة الست، ومن الخارج يقطع صفوف الأسقف المنشورية الشكل بحذاء جدار القبلة، جوسق منشوري الشكل، عمودي على جدار القبلة، يزيد ارتفاعه على ارتفاع الأسقف. أما المنبر فقد أقيم على يدي القاضي أبي محمد عبدالحق بن عبدالله بن معيشة الغرناطي، ولم يتم في حياته، فأتمه القاضي أبو مروان عبدالملك بن بيضاء القيسي، وقد صنع من عود الصندل والآبنوس والنارنج والعناب وطعم بالعاج، وتولى صناعته وتركيبه الشيخ أبو يحيي العتاد.

ويعتبر هذا المنبر من أجمل منابر الإسلام، ويشتمل على تسع درجات ويزدان جانباه بتشابكات رائعة متعددة الضلوع قوامها أشكال نجمية ذات ثمانية رؤوس ويشبه في ذلك منبر جامع الكتبية بمراكش الذي صنع بقرطبة. ويحدد التشابكات المذكورة أشرطة من العاج، وتزدان الحشوات النجمية بتوريقات نخيلية معروقة وفقًا للأسلوب الأندلسي المغربي. أما ظهر المنبر وعقده الأمامي، فمرصعان بالعاج والأخشاب الثمينة ذات الألوان الهادئة. أما صحن الجامع فقد فرشه الفقيه أبو عبدالله بن داود، وصنع بكرًا وأشرطة غليظة ركبها في

---

(١) ترجع أهمية هذا النقش إلى أنه يضبط وقت انتهاء العمل وهو ، شهر رمضان المعظم سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة / ١١٣٧م. راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة ، ص٦٤.

(٢) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ١، ص ٢٧٤.

قلاع من شقاق الكتان في سعة الصحن، فإذا اشتدت حرارة الصيف شدت البكرات فنصبت القلاع وظللت الصحن كله[١].

ولم يغير الموحدون في التخطيط العام للقرويين، وإنما أضافوا عناصر ووحدات معمارية وزخرفية أخرى، بعد أن مرت فترة عبدالمؤمن بن علي الذي حين عزم على دخول فاس والصلاة في جامع القرويين، عمد إلى النقش والتذهيب الذي بأعلى المحراب ودائرة القبة التي عليه فغطى ذلك بالكاغد وعمل عليه الجص إذ رأى أن ذلك كان مشغلًا للمصلين. وكان من أعمال الموحدين قبة الجص بالباب الغربي الكبير، وهي القبة المقربصة الصناعة مما أنجزه الخطيب محمد بن عبدالله بن موسى المعلم سنة ٦١٧هـ، ثم يأتي صحن المسجد حيث نجد «خصة العين» التي تمتاز أكثر ما تمتاز بشباك من رخام أبيض يحتوي على مائة وأربعة وعشرين خاتمًا، ويوجد تحت النافذة البديعة تاريخ الصنع بالخط النسخي على حجر أحمر، نصه بعد التسمية والصلاة على النبي: «﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ .... [البقرة: ٧٤]... كمل في شهر جمادى الآخرة سنة تسعة وتسعين وخمسمائة»، وهذه النقوش تؤرخ دخول الماء إلى صحن القرويين بعد أن كان يقتصر على باب الحفاة[٢]، وبأمر الناصر الموحدي وإذنه للفقيه الصالح أبي محمد يسكر، تم توسيع باب الحفاة وتجديده وفتح الباب المقابل لفندق ابن حيون من الجهة الشرقية من القرويين، وأنشئت البيلة[٣]، والخصة[٤]، ودار الوضوء[٥].

ومن آثار العصر الموحدي أبواب داخل المسجد تنفذ من قاعة الصلاة إلى جامع الجنائز، وتعرف هذه الأبواب باسم «أبواب الرواح»، فيها العليا التي تجاوز المحراب، والوسطى، ثم السفلى، وكل هذه الأبواب من خشب، لكنها استحالت إلى لوحات فنية، فهي سلسلة من زهور

(١) راجع: السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٦٧٥.

(٢) عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين، ص ٦٦- ٦٧.

(٣) أصل البيلة كلمة إسبانية وهي صهريج من الرخام مستطيل ملاصق للأرض.

(٤) الخصة في الاصطلاح المغربي تعني مجموع شيئين اثنين: الأنبوب الذي يتفجر منه الماء نحو الأعلى (النافورة) والحوض الذي يتجمع فيه الماء.

(٥) قدم لعمل البيلة والخصة اللتين في الصحن رجل من سجلماسة يعرف بالفقيه أبي الحسن بن عبدالله الجلماسي من أهل المعرفة بالبناء والهندسة فعمل البيلة وما حولها من الرخام الأبيض جعل طولها اثني عشر شبرًا وارتفاعها ستة أشبار وأدار بذلك تكفيف رخام وجعل شباكاً من الرخام من مائة وأربعة وعشرين خاتمًا وكتب تحته في خط منقوش بارع «بسم الله الرحمن الرحيم .. وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، كمل في شهر جمادي الآخرة سنة تسع وتسعين وخمسمائة». راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ١، ص ٢٧٤.

ورسوم منحوتة، وتمتاز العليا من هذه الثلاثة بأن مصاريعها تحتوي على عدة آيات قرآنية منها: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ...... لَآيَاتٍ .... [البقرة: ١٦٤]» وأسفلها الآية القرآنية الكريمة: «فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ .... [الحج: ٧٨]» وقوله عز وجل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا .... [الحج: ٧٧]» . بالإضافة إلى كتابة بيتين من الشعر[١].

وأبرز ما يرجع إلى عهد السعديين ساريتان رخاميتان متقابلتان بالقبة التي توجد تحت الصومعة والتي تنسب للسعديين، فلقد كتب موزعًا على أربع زوايا هذه الفقرات: «**أمر ببناء هذه القبة السعيدة عبدالله علي أمير المسلمين، ابن مولانا أمير المسلمين أبي سعيد، بن يعقوب، بن عبدالحق، فكملت سنة خمس وأربعين وسبعمائة**».

وقام السعديون بإصلاحات في سارية الزاوية الغربية الجنوبية من القرويين حيث نقش على السارية الجنوبية: «**أمر بعمل هذه السارية مولانا السلطان أبو فارس عبدالعزيز عام سبعين وسبعمائة**». أما الأشراف العلويون فقد انصرفت همتهم في القرويين إلى المحافظة على التراث، ولعل أقدم نقش حفظ في القرويين لهذه الدولة هو ما يوجد في الإفريز الرابع من الثريا الكبرى. وبعد المولى إسماعيل أتى دور حفيده السلطان محمد الرابع «محمد بن عبدالرحمن بن هشام بن محمد «الثالث» بن عبدالله بن إسماعيل» ١٢٨١ هـ الذي أصدر أوامره بإصلاح العنزة الحالية. ثم توجهت العناية للقيام بإصلاح القرويين أيام المولى الحسن الأول، وكذلك في عصر جلالة محمد الخامس الذي أمر بإصلاح جميع الثريات[٢].

ثانيًا: جامع الأندلسيين «٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م»

«لوحات ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨»

شرعت مريم بنت محمد بن عبدالله الفهري في بناء جامع الأندلسيين سنة خمس وأربعين ومائتين بعد أن اشترت أرضه من مالها الخاص الموروث عن أبيها، واستمد اسمه من عدوة الأندلسيين العدوة الشرقية من فاس التي أنزل بها الإمام إدريس الوافدين عليه بعد حادث الربض قرب قرطبة[٣]، وتبدو البساطة في مواد البناء، إذ أقيمت الحوائط الخارجية جميعها بالطابية، بينما خصص الآجر لبناء الدعائم والعقود وأركان المداخل. وكان الملاط

(١) عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة ، ص٦٦.

(٢) عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة ، ص ٦٨- ٧٥.

(٣) وقد سمي جامع الأندلس لأن جماعة من أهل الأندلس كانوا يعيشون حوله وساهموا في بنائه. راجع: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب ، ص ٧٦٤.

فقيرًا في نسبة الجير. وكانت عقود بيت الصلاة في البلاط الأوسط من النوع المتجاوز كامل الاستدارة وذي ثلاثة مراكز وهو نوع فريد بالمغرب. ومن الملاحظ في تخطيط المسجد الحالي أن أسكوب المحراب ليس أكثر سعة من بقية الأساكيب، بينما البلاط المحوري المتجه نحو المحراب يكون أكثر سعة من بقية البلاطات. وهذا دليل على أن التخطيط الحالي لا يلتزم خطة البلاطات والأساكيب الأصلية من العصر الإدريسي[١].

التخطيط والزيادات

ظل جامع الأندلس كما هو منذ بنائه إلى أن رفعت الخطبة من جامع الأشياخ، وانتقلت إليه في عام «٣٢١هـ» بأمر من حامد بن حمدان والي فاس من قبل عبيد الله المهدي. وقد أفاد هذا الجامع من النزاع السياسي بين الفاطميين بالمهدية وبين الأمويين في سبتة، ويتجلى هذا النزاع في المنبر الذي وصل إلينا من هذا العصر وعليه نقشان كتابيان يسجلان تاريخين مختلفين، ولكنهما متقاربان.

وفي جمادى الأولى سنة ٣٤٥هـ، زود هذا الجامع مثل قرينه جامع القرويين، بمئذنة مربعة الشكل هي التي نشاهدها اليوم، ولكن المئذنة تبدو أقل ثراء من مئذنة القرويين. ولقد زاد أبو العباس أحمد بن أبي بكر الزناتي والي فاس بجامع الأندلس زيادة كبيرة، فأصبح يتألف من ست بلاطات تتجه من الشرق إلى الغرب، وكانت عقود هذه البلاطات تقوم على أعمدة من حجر الكذان، وقد استبدلت بهذه الأعمدة الحجرية دعائم من الآجر في الزيادة الأخيرة التي قام بها الخليفة محمد الناصر الموحدي في سنة ٦٠٠هـ.

ويذكر الجزنائي أن المسجد ظل على حالته منذ أعمال أحمد بن أبي بكر الزناتي فيه، إلى أيام الخليفة محمد الناصر رابع خلفاء الموحدين، الذي أعاد بناء جامع الأندلس كله، ولم يترك من الجامع القديم سوى المئذنة الأموية والمنبر، وحتى هذا المنبر نفسه لم يستثن من أعمال الترميم، فلقد كسا الناصر كتفيه بجانبين جديدين. ويقول ابن أبي زرع، في بيان أعمال هذا الخليفة: **«وأما جامع عدوة الأندلس، فلم يزل على ما بني عليه أولًا، ولم يزل فيه أحد زيادة إلى سنة ستمائة، فأمر أمير المؤمنين أبو عبدالله الناصر ببنائه وإصلاحه وتجديد ما تهدم منه، وأمر بفتح الباب الكبير الجوفي المدرج الذي بصحنه، وجعل بأسفله بيلة من رخام أحمر، وأمر بعمل السقاية والميضأت»**[٢].

(١) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج١، ص ٢٧٦.

(٢) راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٤٦.



وتخطيط جامع الأندلس يوهم بأنه من بناء المرابطين، إذ إن من يرى بلاطاته بعقودها ودعائمها لا يخطر بباله قط أنها من بناء الموحدين، فالتصميم غير متناسق، والبناء غير منتظم الشكل، وبلاطات الجامع غير عمودية على جدار القبلة كمساجد الموحدين. ولا شيء يربط جامع الأندلسيين بهذه المساجد، إلا نسبة الصحن بالنسبة لسطح بيت الصلاة، فإنها تخضع إلى حد ما للقاعدة التي تسير عليها مساجد الموحدين بمراكش وتينملل.

ويتألف بيت الصلاة من سبعة بلاطات عرضية تمتد من الشرق إلى الغرب بحذاء جدار القبلة على خمسة عشر عقدًا، في كل بلاط، ويخترق هذه البلاطات جميعًا بلاطة وسطى، مثلها ارتفاعًا، ولكنها تزيد عنها اتساعًا، بعكس نظيرتها في جامع القرويين. وعلى الرغم من انعدام روح التناسق في تخطيط الجامع، فإنه لا يخلو من أصالة معمارية تتجلى بأوضح صورة في الباب الشمالي للجامع، وهو الباب الذي فتحه الخليفة الناصر الموحدي، ويشف بناء هذا الباب عن براعة هندسية، وحذق في الزخرفة، فهو يفوق في ارتفاعه أسقف الجامع. وقد نجح مهندس هذا الباب في الجمع بين العمارة والمنظر الطبيعي، وهي نفس الطريقة التي اتبعها مهندسو قصر الحمراء بغرناطة فيما بعد، ونجحوا في تطبيقها في قصور بني نصر كلها. وعقود بيت الصلاة كلها متجاوزة منكسرة ماعدا بلاطة المحراب، متجاوزة على هيئة حدوة الفرس، وتتكئ هذه العقود على مناكب بسيطة تتوج دعائم أكثر ارتفاعًا من العقود، ويحيط بالعقود طرز مستطيلة بارزة.

أما العقود المتجاوزة بالبلاط الأوسط، فأكثر تجاوزًا من عقود جامع قرطبة، وتتكئ على دعائم قطاعها يشبه زهرة ذات أربع ورقات نصف دائرية، وصحن الجامع شبه منحرف، تتوسطه خصة مفصصة من الرخام الأبيض، تحيط بها فسقية مربعة، مزينة بالفسيفساء، وتدور حول هذه الفسقية قناة ضيقة. وعقود مجنبات الصحن غير متساوية الارتفاع والاتساع، ويتوسط المجنبة الشمالية عقد خشبي منقوش، يحمل ظلة «رفرف» خشبية قائمة على كوابيل خشبية، ويسود المجموع طابع أندلسي خالص[1].

الصومعة

تبدو البساطة في صومعة جامع الأندلسيين واضحة بالنسبة لصومعة القرويين المعاصرة لها، بسبب اهتمام الخليفة الناصر الأموي بصومعة القرويين وإرساله الأموال إلى عامله بفاس لبنائها لمكانتها الخاصة التي انفردت بها منذ البداية، بينما كان تأسيس وإنشاء

(١) راجع: السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب، ص ٨٦٧- ٨٦٨.

صومعة مسجد الأندلسيين بمجهود ذاتي من عامل المدينة دون ميزانية خاصة من الخليفة الأموي. وقد بنيت بالحجر المغطى بالملاط وجعل لها سلم يدور حول نواة مركزية يغطيه قبو. ومنذ عصر الزيادة الزناتية كانت الصومعة على هيئة صومعة القرويين المربعة، وفي أعلى هذه الصومعة قبة لجلوس المؤذنين لتداول الآذان. ثم أضيف لها صار خشبي ينشر فيه علم أبيض أوقات صلاة النهار وفنار مسرج أوقات الليل أيام أمير المؤمنين أبي عنان المريني[١].

ثالثًا: المسجد الجامع بتازة

«لوحة ١٠٩»

تقع مدينة تازة وسط ممر يصل المغرب الشرقي بالمغرب الغربي، وتبعد ١٢٠ كم عن فاس، ١٦٠كم عن الحسيمة، و٢٠٠كم عن الناظور، ونظرًا لموقعها المتميز وارتفاعها عن مستوى سطح البحر ٥٨٥م، فإن الوظيفة الأساسية التي كانت وراء نشأتها منذ القديم حتى الاحتلال الفرنسي، وظيفة عسكرية بالدرجة الأولى. وقد تعاقبت على المنطقة عدة سلالات حاكمة، وشيد بها مكناسة وهم برابرة زناتيون «مكناسة تازة»، وبعد مجيء المرابطين أحاطها أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بسور عظيم. وفي عهد الموحدين جدد عبدالمؤمن بن علي سورها وشيد بها الجامع الكبير الذي توجد به ثريا من أعظم الثريات بالمغرب. وفي عهد المرينيين اتسع رباط تازة فأصبح مدينة عامرة بعد أن أسس بها السلطان أبو يعقوب يوسف قصرًا بجوار الجامع الكبير[٢].

وقد بدأ عبدالمؤمن بن علي تأسيس جامع تازة الموحدي ابتداء من سنة ٥٢٩هـ/ ١٠٣٧م مشتملًا على بيت للصلاة يتكون من تسعة بلاطات وخمسة أساكيب، ويتميز بلاط المحراب وأسكوبه بزيادة السعة عن بقية البلاطات والأساكيب، وتقوم ثلاث قباب على أسكوب المحراب، ويحف بالصحن مجنبتان متصلتان بالبلاطين الشرقي والغربي لبيت الصلاة، وقد وضعت صومعة المسجد في الركن الشمالي الشرقي. ثم زاد المرينيون زيادة واضحة في بيت الصلاة تتميز عن العمارة الموحدية باختلاف نوع العقود في كل من الطرازين[٣].

وفي الواقع فإن الزيادة المرينية على المسجد الموحدي بتازة جاءت وفق تخطيط معماري سليم، حيث نتج من تضاعف مساحة ظلة قبلة المسجد الموحدي، زيادة في عمق ظلة القبلة

(١) عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج١، ص ٢٧٧.

(٢) راجع: محمد بلعربي، تازة، معلمة المغرب، ج ٦، ص ٢٠٢٣.

(٣) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ٣، ص ١٨١.

مما ترتب عليه خفض الرؤية من داخل الظلة وقلة تهويتها حيث لم يستطع الصحن الصغير الموحدي القيام بإنارة وتهوية ظلة القِبلة بعد إضافة الزيادة المرينية عليها. وكذلك عمل المعمار المريني على إيجاد عنصر جديد عبارة عن الصحن الكبير الذي يظهر لأول مرة في مسجد تازة. واشتملت الزيادات المرينية في مسجد تازة على عدة أعمال معمارية جوهرية مهمة استطاعت أن تغير من شكل المسجد الخارجي والداخلي.

وتاريخ هذه الزيادات المرينية ليست محل جدالٍ بين المؤرخين حيث أرجعت الوقفية تاريخ الفراغ من أعمال التجديد والزيادة إلى عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٣م[1]، وفي سنة ثلاثة وتسعين وستمائة للهجرة فرغ من بناء الجامع ووضعت فيه الثريا[2].

رابعًا: الجامع الكبير بفاس الجديد

«اللوحتان ١١٠، ١١١»

يقول ابن أبي زرع في هذا الصدد: «**ولما تم سور هذه المدينة السعيدة فاس الجديد، أمر ببناء الجامع الكبير بها للخطبة، فبني على يد أبي عبدالله بن عبدالكريم الحدودي وأبي علي بن الأزرق والي مكناس، والنفقة فيه من مال معصرة مكناسة، ولم يخدم في بناء هذا الجامع الكبير مع المعلمين، إلا أسرى الروم الذين قدم بهم من الأندلس، ففي شهر رمضان من سنة سبع وسبعين وستمائة، تم الجامع المذكور وصلى فيه، وفيها ابتدئ بعمل منبره الذي به الآن على يد المعلم الغرناطشي الرصاع، وأول خطيب خطب به الفقيه المحدث محمد بن أبي زرع. وفي أول جمعة من شهر رمضان المعظم من سنة ثمان وسبعين وستمائة تم المنبر بالعمل وخطب عليه، وفي يوم السبت السابع عشر لشهر ربيع الأول من سنة تسع وسبعين وستمائة، علقت الثريا الكبرى بالجامع المذكور، وزنها تسعة قناطير وخمسة عشر رطلًا، وعدد كؤوسها مائة كأس وسبعة وثمانون كأسًا، وكان الصانع لها المعلم الحجازي، والإنفاق فيها من جزية اليهود**»[3].

الجامع الكبير بفاس الجديد، مسجد جامع أسسه يعقوب بن عبدالحق المريني على مقربة من القصر الملكي. ويحقق تخطيط المسجد انتظامًا ملحوظًا وتناسقًا هندسيًا، ويشغل

---

(١) راجع: محمد محمد الكحلاوي، مساجد المغرب والأندلس في عصر الموحدين، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٩٢.

(٢) راجع: ابن أبي زرع، روض القرطاس، ص ٥٣٩.

(٣) راجع: علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية ، ص ١٦٢.

مستطيلًا مساحته ٥٤ في ٣٤ مترًا. وبيت الصلاة فيه يزيد عمقه عن الاتساع، ويشتمل على سبع بلاطات أوسطها وهو بلاط المحراب أكثر سعة من سبعة أساكيب يتميز من بينها أسكوب القبلة بسعته وعقوده الموازية لحائط المحراب حيث تستند إليها عقود البلاطات التي تتجه عمودية نحو جدار القبلة. ويكاد يزيد اتساع الصحن عن العمق وتحيط به ثلاث مجنبات من الشمال والشرق والغرب، وعقود المجنبة الشمالية موازية للقبلة بينما عقود المجنبتين الشرقية والغربية عمودية. وعقود بيت الصلاة متجاوزة كاملة الاستدارة من أعلى وترتكز على دعائم مستطيلة المقطع. وقد وضعت قبة عند باية بلاط المحراب من جهة القبلة وأخرى عند نهايته من جهة الصحن، وهما قبتا ذاتا عقود متداخلة متقاطعة تذكران بقبة مسجد تلمسان المرابطية وقبة تازا المرينية وتختلفان عن قباب القرويين. وتقع الصومعة المربعة بالركن الشمالي الغربي للتخطيط العام وتتحقق إضاءتها الداخلية عن طريق أربع نوافذ مرتبة رأسيًا على محور الواجهة الشمالية.

والركن الجنوبي الغربي بارزًا عن التخطيط العام يوجد جامع الجنائز ملتصقًا بنهاية الواجهة الجنوبية للمسجد من ناحية القبلة حيث وينقسم إلى قاعتين إحداهما مستطيلة تفتح على أسلوب المحراب، والأخرى مربعة تغطيها قبة أرّخها «مارسيه» على أساس أن أسلوب زخرفتها يعود إلى منتصف القرن الثامن الهجري، وفيها دفن السلطان أبو عنان المتوفى ٧٥٩هـ والخطيب محمد ابن العالم والوزير الخطيب بن مرزوق المتوفى ٧٦٠هـ. ويرجع تاريخ بناء القبة المذكورة إلى حياة السلطان أبي سعيد عثمان الذي تعوَّد على الجلوس بها في حياته، ثم دفن بها أولا ٧٣١هـ بعد نقله إليها من تازا، وقبل أن ينقل جثمانه بعد ذلك إلى شالة وتزدان القبة المذكورة بزخارف غنية وأنيقة وقبة ذات ١٢ عقدًا متقاطعًا ترتقي فوق المقرنصات.

ويحتفظ المسجد بعمارته وزخارفه على علامات من مميزات الطراز المغربي الأندلسي خاصة، وقد استخدم مؤسس فاس الجديد والجامع المذكور يعقوب بن عبد الحق عددًا من أسرى الأسبان إلى جانب العمال والصناع المغاربة، وقد أشرف على عمارة المسجد أبو عبد الله بن عبد الكريم الحدوي، والي مكناس أبو علي الأزرق[١].

---

(١) أرخ البعض هذا الجامع إلى عصر أبي يوسف يعقوب المريني عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، ويعتقد «مارسيه» أن يرجع إلى عام ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، ويؤكد عثمان إسماعيل نسبته إلى عام ٦٧٧هـ. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ٤، ص ١٢٤.

خامسًا: المسجد الأعظم بمكناس

أسست القواعد الأولى للمسجد الأعظم بمكناس[١] في أواخر العهد المرابطي، ثم زاد الموحدون في سعته عام ٦٠٠هـ، وزينوا أروقته بثريا فخمة صنعت أيام الناصر الموحدي عام ٦٠٤هـ[٢]. «اللوحتان ١١٢، ١١٣».

سادسًا: مدرسة العطارين

تحمل مدرسة العطارين اسم سوق العطور الذي ينفتح بابها عليه، وهي تقع بالقرب من جامع القرويين، وبنيت مدرسة العطارين سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، في عهد أبي سعيد عثمان على يد الشيخ عبدالله بن القاسم المزوار بفاس، وحضر أبو سعيد وضع حجر الأساس لبنائها، واشترى لها السلطان عددًا من العمارات، وهي من أجمل مدارس بني مرين، إذ تمتاز بتنسيق زخارفها، خصوصًا في الصحن وبيت الصلاة، وكان فيها أساتذة نظاميون. وأسست مدرسة العطارين من طرف السلطان المريني، أبي سعيد عثمان، سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، وأوكل مهمة مراقبة أعمالها إلى الشيخ أبي محمد عبد الله ابن القاسم المزوار.

وتتكون المدرسة من مدخل يؤدي إلى صحن مكشوف زينت واجهاته تزيينًا مبالغًا فيه بالزليج والجص المحفور والخشب المنقوش، ومن قاعة للصلاة مستطيلة الشكل وثلاثة مستويات مخصصة كلها لسكنى الطلبة، وبالزاوية الشمالية الغربية، جرى بناء دار للوضوء على شاكلة تلك التي تتواجد بمدرسة الصهريج. وبالرغم من صغر مساحتها، تبقى مدرسة العطارين إحدى أبرز المعالم المرينية بالمغرب إذ تؤسس لمرحلة نضج الفن الزخرفي المغربي، وتجسد التوجهات الجديدة للجمالية الزخرفية المرينية خلال بداية القرن ٨ الهجري/ ١٤

(١) مكناس: تجمع أغلب المصادر التي تعرضت للحديث عن أصل مدينة مكناس على أن اسمها مستمد من اسم قبيلة مكناسة التي انشأتها. وتقع مدينة مكناس في هضبة سايس التي تعتبر ممرا طبيعيا بين تلال مقدمة جبال الريف شمالا والأطلس المتوسط جنوبا، إضافة إلى تحكم المدينة في الممر الذي ينفذ إلى سهل الغرب عبر وادي الردم في الشمال الغربي. وبعد أن دالت مكناس إلى الدولة الموحدية أخذت تعرف توسعا نسبيا استلزم تزويدها ببعض المنشآت الدينية والاجتماعية، كما شهدت انتعاشا اقتصاديا خاصة على عهد الخليفة الناصر. راجع: أمينة أبو الفتوح، مكناس، معلمة المغرب، مج ٢١، ص ٧٢٤٤، جمال حيمر، مكناس، معلمة المغرب، مج ٢١، ص ٧٢٤٧.

(٢) لمزيد من التفاصيل حول الجامع راجع:

Abdeltif El Khammar, mosquées et oratoires de Meknès (Ixe - XVIIIe siecles): géographie religieuse, architecture et problème de la Qibla, Faculté de géographie, histoire, histoire de l'art et tourisme, Université Lumière, Lyon II, 2005.



الميلادي. من ناحية أخرى، تحتفظ هذه المدرسة بين جدرانها على تيجان أعمدة متميزة تحمل العديد من النقائش الكتابية الشعرية والتاريخية والقرآنية، وثريا من البرونز لازالت معلقة وسط مسجدها[١].

(١) راجع:
Golvin Lucien, La madrasa médiévale, Edisud, 1995, pp.229-232.

ثالثًا: العناصر الزخرفية

يمكن القول من خلال هذه الدراسة إن الفن المعدني في المغرب الأقصى في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي يشير إلى بداية نهضة حقيقية زاهرة، الأمر الذي يتضح على الخصوص من دراسة تقنية زخارف الثريات الموحدية والمرينية، سواء في الزخارف الهندسية والخطية والزهرية أو في طريقة استعمال ألواح مقطوعة أو منزوعة من كتلة المعدن[١]، ويرجع بداية ظهور خط النسخ[٢] الذي نقش به كتابات الثريات الموحدية إلى النقود المرابطية، وخاصة في عهد يوسف بن تاشفين. ولما جاء الموحدون وأقروا خط النسخ بصفة رسمية، اعتبر قرارهم تجديدًا في السكة الإسلامية ومظهرًا آخر من مظاهر الانفصال عما كان معهودًا لدى من سبقهم من الدول الإسلامية شرقًا وغربًا[٣]، وقد أكدت التعددية التي ميزت عمارة المغرب الأقصى الإسلامية، وفنون الرقش والزخرفة والخط، على مقدرة المبدع المسلم على ابتكار أشكالًا متعددة[٤].

أولًا: الزخارف الكتابية

ويذكر المؤرخ أحمد بن خالد السلاوي عن أول خلفاء الدولة الموحدية، أن من أعمال أمير المؤمنين عبدالمؤمن بن علي المعمارية في المغرب الأقصى: **«أنه أمر ببناء المسجد الجامع في تينملل في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة (٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، وكذلك أمر ببناء المسجد الجامع بحضرة مراكش، فبدئ ببنائه وتأسيس قبلته في العشر الأول من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة (١٠ ربيع الثاني ٥٥٣هـ/ ١٠ مايو ١١٥٨م)، وكمل في منتصف شعبان من السنة المذكورة على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع، وأفسح المساحة، وأحكم البناء والنجارة، وفيه شمسيات الزجاج ودرجات المنبر وسياج المقصورة»**[٥].

كما بادر عبدالمؤمن بن علي ببناء الجزء القديم الموحدي بمسجد تازة حوالي عام

---

(١) راجع:

Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique nord et en Espagne, Paris, 1924,pp.170

(٢) راجع: عبدالعزيز صلاح، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج١، مركز الكتاب للنشر، القاهرة ١٩٩٩، ص٩٦- ١٠٤.

(٣) راجع: عبدالعزيز توري، حول كنز صغير حديث الاستكشاف، ص ٢٨٠، ٢٨٣.

(٤) راجع: عفيف البهنسي، فنون العمارة الإسلامية وخصائصها في مناهج التدريس، منشورات الإيسيسكو، ٢٠٠٣م، ص٢٧.

(٥) راجع: احمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا، ج ٣، ، ص ٧٨ - ٧٩.

٥٤٢هـ، وكذلك أمر ببناء حصون جبل الفتح ٥٥٥هـ وزوده بالقصور، وكان ابتداء البناء به في تاسع ربيع الأول من سنة خمس وخمسين وخمسمائة / ١٩ مارس ١١٦٠م[١].

وأهم ما تبقى لنا من الكتابات الأثرية من عهد أول خلفاء الدولة الموحدية، هي مجموعة من الدنانير[٢] الذهبية تحمل اسم أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي[٣]، وعددها تسع من قطع نقدية ذهبية[٤]، وتتميز هذه الكتابات المنقوشة بظهر دنانير عبد المؤمن بن علي، باحتوائه على كتابات سياسية تتعلق بألقاب المهدي بن تومرت، واسم الخليفة أبو محمد بن عبد المؤمن، فقد نُقش على مربع الظهر عبارة: «**المهدي إمام / الأمة القائم / بأمر الله**»[٥] في ثلاثة أسطر، واحتوت الأضلاع على اسم الخليفة وألقابه متبوعة بعبارة «**الحمد لله رب العالمين**»[٦]، التي أصبحت علامة الموحدين. وتقرأ كتابات أضلاع الظهر على النحو التالي: «**أبو محمد عبد/ المؤمن بن علي/ أمير المؤمنين**[٧]**/ الحمد لله رب العالمين**»[٨].

ويلاحظ أن الخط المستخدم هو خط الثلث المغربي اللين، الذي يتميز بتداخل وتشابك

---

(١) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، ج٣، ص ١٠٩.

(٢) لفظ دينار مشتق من اللفظ اليوناني اللاتيني ، Denzrius-aureurs، وهو اسم وحدة من وحدات السكة الذهبية، وقد عرف العرب هذه العملة الرومانية فاستعملوها قبل الإسلام، ولم يمس الإصلاح النقدي الذي قام به عبد الملك عيار هذه السكة الذهبية، وإنما عمل على ضبطها. راجع: عبدالرحمن فهمي محمد، صنج السكة في فجر الإسلام، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٧م، ص ٢٨.

(٣) راجع: علي بن أبي زرع الفاسي، روض القرطاس ، ص٢٣٥- ٢٣٩.

(٤) راجع: عبدالعزيز صلاح، دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، ص ١٢٧- ١٤٤.

(٥) راجع:

Vega Martín. M., Salvador Peña Martín, & Manuel C. Feria, Elmensaje de las monedas almohades: Numismática, traducción y pensamiento islámico, Universidad de Castilla-La Mancha, Cuenca, 2002, pp. 182-201.

(٦) عبارة « الحمد لله» من العبارات التي نفذت داخل تكوينات زخرفية مثل العبارات الموجودة في الحشوات الجصية أسفل القبة التي تعلو محراب جامع تنملل أو التي نقشت على صومعة جامع الكتبيين بمراكش. راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين ، ص١٣٥.

(٧) في سنة ثمان وعشرين وخمسمائة / ١١٣٤م) تسمى عبدالمؤمن بأمير المؤمنين. راجع. أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا ، ص٣٥.

(٨) اتخذ الموحدون عبارة « الحمد لله وحده » علامة لهم اقتداء بالمهدي حيث وجدت هذه العبارة في مخاطباتهم، ففي رسالة عبدالمؤمن إلى ولده يوسف والي اشبيلية وردت علامة الموحدين « الحمد لله وحده » في الرسالة المؤرخة في سنة ٥٥٥ هجرية، وبأولها: « بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وآله وسلم والحمد لله وحده .....» . راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج٣، ص ٣٠١.

وامتداد في الحروف الأخيرة أسفل أو أعلى الكلمات، مثل حرف اللام في كلمات «رسول» و«المهدي»، وحرف الهاء في كلمة «الله»، وكلمة «الأمة»، وحرف الراء في كلمة «بأمر». وإلى جانب ذلك هناك حروف تتخذ أشكالا توحي ببعض النماذج الزخرفية المعروفة في المعمار الموحدي، وأحسن مثال لذلك حرف «الميم» النهائية لكل من كلمتي «بسم» و «إمام» التي تأخذ شكلا ثعبانيًا عموديًا، وهو نفسه السائد في أسفل أقواس العمارة الموحدية[١]، مع تفسير حرف «ع أو غ» المدون في الدينار إلى اختصار كلمتي «**عالي أو غاية**» التي تعني الإشارة إلى جودة العيار المتعارف عليها في صناعة السكة الإسلامية[٢].

بالإضافة إلى اختفاء الخط الكوفي كان ظاهرة عامة في المشرق العربي أيضًا في القرن الخامس الهجري. وبدلًا من الشكل الدائري ضرب الموحدون الدرهم المربع[٣]، كما رسموا الشكل الرباعي على الدنانير المستديرة، وكانت الخطوط فيها تميل إلى الثلث، واتخذت أوضاعًا زخرفية مما يسمى بخط الثلث المتمغرب[٤]، وتميزت النقوش الكتابية على دينار عبد المؤمن بن علي، باستخدام الخط اللين أي المنحني «Cursive»، وكان الخط الوحيد على تلك الدنانير[٥].

وتختلف النقود الموحدية عن سابقاتها باستعمالها للخط اللين وبعباراتها الدينية الجديدة كعبارة «**المهدي إمام الأمة القائم بأمر الله**» وعبارة «**الله ربنا ومحمد رسولنا والمهدي إمامنا**»[٦].

---

(١) راجع: عبد العزيز توري، حول كنز صغير حديث الاستكشاف، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، العدد ٣٠، الرباط، المغرب، شوال ١٤٠٤/ يوليو ١٩٨٤م، ص ٢٨٠- ٢٨٣.

(٢) شعار الضرب الجيد في دار السك بلفظي «عال غاية» أي أن عيار هذه المسكوكات عال جداً وفي غاية الجودة. راجع: عبدالرحمن فهمي، المسكوكات، كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٠، ص ٥٤٣.

(٣) كان الدينار المرابطي ذو شكل دائري يحمل على صفيحته ثلاث دوائر: الدائرة المركزية وهي أكبر الدوائر قطراً، وتكون محاطة بدائرة خطية. ثم التي تقع إلى الأعلى منها وهي التي تعرف بالداير، وتحيط بها دائرة خطية.

(٤) راجع: عمر افا، ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع١٨، لسنة ١٩٩٣م، ص ٨١.

(٥) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية، ج ٣، ص ٢٩٩.

(٦) وقد شكلت فكرة المهدوية والعصمة التي تفوق في مفهومها الديني درجة الخلافة أيضًا، مرجعًا أساسيًا لإبراز احقية عبد المؤمن بن علي، وآله من بعده، في حمل لقبي الخلافة وإمارة المؤمنين، حيث سجلوا أسماءهم على السكة مصحوبة بلقب الخليفة أو «أمير المؤمنين» أو هما معاً، كما شكلت فكرة المهدوية المسجلة على المسكوكات الموحدية العنصر الاساسي في مخالفة الموحدين للمرابطين، عبر تعويضهم عبارة «الإمام عبدالله أمير المؤمنين» بعبارات «المهدي إمام الأمة القائم بأمر الله». راجع: نور الدين مفتاح، فهرس المسكوكات المغربية، ص ٣٤.

وتعتبر الكتابات التي يحملها الدينار الذي ضربه محمد الناصر[١] استمرارًا لنفس الكتابات الواردة على الدينار اليعقوبي، بحيث لا تختلف عنها إلا في كتابات أضلاع الظهر، حيث استبدلت النصوص القرآنية بذكر اسم الخليفة الحاكم: «**أمير المؤمنين / أبو عبدالله محمد/ بن الخلفا / الراشدين**»[٢].

وتشكل مجموعة النقوش الكتابية المنقوشة على ثريا الخليفة الناصر أبو عبد الله بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بجامع القرويين بمدينة بفاس المؤرخة في عام ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٢م، آيةً من آيات الفن الموحدي، حيث تضمنت نقوشها الكتابية عبارات انفردت بها الفنون الموحدية مثل عبارات: «**العظمة لله**»، «**العزة لله**»، بالخط الكوفي، وعبارة أخرى مثل: «**السعادة والإقبال**» بالخط النسخ[٣].

وبجانب هذه الدوائر أفاريز نقشت عليها آيات قرآنية، علاوة على النصوص التسجيلية التي تشتمل على اسم الخليفة الذي أمر بصناعتها، ومكان وتاريخ صنعها، وتقرأ على النحو التالي: : «**هذا ما أمر به الخليفة أمير المؤمنين أبو عبدالله ابن الخليفة الامام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تاييدهم وعزهم**»[٤].

كما نقش على ساق هذه الثريا أسفل الآية الكريمة السابقة كتابات تسجيلية مهمة تشير إلى تاريخ ومكان صناعتها، تقرأ كالتالي: «صنعت هذه الثرية بمدينة فاس حرسها الله وكان الفراغ منها في شهر جمادى الأولى سنة ستمائة».[٥] وأيضا حملت هذه الثريا نصا آخر يفيد

---

(١) هو أمير المؤمنين محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبدالمؤمن بن علي، ولقبه الناصر لدين الله، بويع الناصر في حياة أبيه، وجددت له البيعة بعد وفاته، وذلك يوم الجمعة صبيحة الليلة التي توفي فيها أبوه. وكانت وفاته مسموماً يوم الأربعاء الحادي عشر لشعبان من عام عشرة وستمائة. راجع: ابن أبي زرع، بروض القرطاس ، ص٣٠٣- ٣١٧.

(٢) لما استقرت الدولة المرينية عمل يعقوب بن عبدالحق سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥. ١٢٧٦م على تنظيم السكة المغربية تنظيماً جديداً، واختار من جيد النقود التي كانت جارية آنذاك بالمغرب النقد المحمدي المنسوب لمحمد الناصر رابع الخلفاء الموحدين، وضرب عليه النقد المريني الجديد. راجع: محمد المنوني، نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، العدد ٤، ص ٢٤١.

(٣) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس ، ص١٢٥.

(٤) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج٣، ص ٢٧٤.

(٥) عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين، ص ٦٦- ٦٧.

بتاريخ تجديدها في عهد السلطان العلوي مولي إسماعيل[١] «ق ١٧ ق ١٨م»[٢].

والكتابات التسجيلية المنفذة بالخط الكوفي المورق على الدائرة السفلية، بثريا الجامع الأعظم بمدينة مكناس، وتحمل تاريخ ٦٠٤ هـ/١٢٠٦م، والتي تقرأ: «صنعت هذه / الثرية بمدينة فاس / حرسها الله لـ / جامع مكناسة / شرفه الله بذكره / وكان الفراغ من عملها / في العشرين من / شهر ذي القعدة / سنة أربعة وستمائة».

ويذكر «H. Terrasse» أن اسم العاهل الموحدي الناصر نقش على مقبض الثريا المعلقة بالقبة الثانية من جهة العنزة بجامع القرويين على نحو ما نقش على الثريا الكبرى «**هذا ما أمر به الخليفة الامام أمير المؤمنين أبو عبدالله بن الخليفة الإمام المنصور أمير المؤمنين أبو يوسف ابن الخلفاء الراشدين أدام الله تأييدهم ونصرهم**»[٣].

ويذكر «بوجندار» بأن العصر المريني قد خلف وراءه مجموعة من النصوص الكتابية المهمة التي تعكس ازدهار هذه الحقبة الزمنية في تاريخ المغرب العربي، [٤] وهذه النقوش الكتابية تعكس مدى التطور الذي حققته النقوش العربية خلال عهد المرينين بالمغرب، وما بلغته الكتابات العربية من تنوع في المادة وفي أساليب الكتابة، والمعروف، أن الخطوط في المغرب الأقصى اشتملت على خمسة أنواع: الكوفي، والثلث المغربي، والمبسوط، والمجوهر، والمسند أو الزمامي، والخط الكوفي استعمل في كتابة المصاحف، وفي الكتابة في النقود، كما اقتصرت على عناوين سور القرآن الكريم، وبعض الزخارف الأثرية، واستعمل الخط المبسوط في كتابة المصاحف عمومًا، كما استعمل الخط المجوهر في كتابة الظهائر والرسائل السلطانية وعقود الزواج وبعض المخطوطات، في حين اختص الخط المسند أو الزمامي بكتابة مختلف أغراض الكتابة السريعة مثل كتابات شهود العدول والرسائل والمذكرات الشخصية[٥].

---

(١) بعد المولى إسماعيل أتى دور السلطان محمد الرابع ١٢٨١ هـ الذي أصدر أوامره بإصلاح العنزة الحالية. ثم توجهت العناية للقيام بإصلاح القرويين أيام المولى الحسن الأول، وكذلك عصر جلالة محمد الخامس «ت ١٩٦١م»، الذي أمر بإصلاح جميع الثريات. راجع: عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة ، ص ٦٨- ٧٥.

(٢) راجع:

Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman .pp.298-299.

(٣) راجع: عبدالهادي التازي، جامع القرويين ، ص ٨٣.

Terrasse H., la mosquée al-Qaraouiyine à Fès. ,p.103-104.

(٤) راجع: بوجندار، مقدمة الفتح ، ص١٣٩- ١٤٠.

(٥) راجع: عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، ، ص٨١- ٨٢.



وتعتبر الكتابات التسجيلية المرينية الباقية بالعدوتين من أجمل النماذج التي وصلت إلينا[1]، ومن أهمها ما يلي: لوحة تحبيس الحمام الجديد المحفوظة في صحن الجامع الأعظم بالرباط[2]، «لوحة ١١٤، ١١٥»، ويمكن قراءة النص على النحو التالي:

السطر رقم ١: الحمد لله وحمده[3] مما حبسه مولانا الخليفة الإمام المتوكل

السطر رقم ٢: على الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب

السطر رقم ٣: العالمين أبو عنان ابن مولانا أمير المسلمين

السطر رقم ٤: المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن[4]

السطر رقم ٥: ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل

السطر رقم ٦: رب العالمين أبي سعيد[5] بن مولانا أمير

السطر رقم ٧: المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين

السطر رقم ٨: أبي يوسف يعقوب[6] ابن عبد الحق تقبل الله منه

السطر رقم ٩: وبلغه في نصر الإسلام أمله الحمام الجديد برباط

السطر رقم ١٠: الفتح حرسه الله على ضريح مولانا المرحوم

السطر رقم ١١: والدهم رضوان الله عليه واطعام المسا

---

(١) تنوعت أساليب الخطوط نفسها، فالكوفي المضفر الذي يتألف من حروف كبيرة الحجم على أرضية خالية من الزخرفة التي توجد بمدخل شالة تختلف عن أسلوب الكتابة الكوفية المضفورة على أرضية من الزخارف النباتية بالواجهة الخاصة بضريح أبي الحسن، وكذلك عن الكتابة الكوفية المضفرة التي تمتاز بالتقابل كما في الأشرطة الموجودة بالمدخل البارز ومثل عبارة «الملك لله» بالواجهة الخارجية لضريح أبي الحسن . راجع: عثمان عثمان إسماعيل، دراسات جديدة في الفنون الإسلامية ، ص٢٢٧.

(٢) وهي عبارة عن لوح رخامي أبيض مساحته ٦٣X٤٧ سم، وسعة الحاشية ٢، ٥ سم، وطول النص ١٣ سطرًا، يتسع السطر الأول لتسع كلمات، وبقية السطور تتسع لثمان أو سبع أو ستة كلمات، ويرجع عدم طول النص إلى كونه يحبس عينا واحدة على شيء واحد.

(٣) قرأت هذه العبارة على النحو التالي: «الحمد لله حق حمده» والصواب ما ورد في القراءة المذكورة أعلاه: Henri Basset et E. lévi-Provençal. Chella. Une nécropole mérinide. emile larose. Editeur. Paris. MCMXXIII. pp. 23.

(٤) راجع: أحمد بن خالد الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا، ج٤، ص ١١٩.

(٥) أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني «٧١٠- ٧٣١هـ».

(٦) أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني، بويع سنة ٦٦٧ هـ وتوفي سنة ٦٨٥هـ.



السطر رقم ١٢: كين بشالة[١] عمرها الله تعالى وذلك في عام

السطر رقم ١٣: خمس وخمسين وسبعمائة عرف الله خيره هـ.

وبدراسة هذا النص يلاحظ أن الكتابة على لوحة الحبوس قد نفذت بأسلوب خط النسخ المغربي الذي يتميز بأنه قليل الاستدارة من أسفل وتتساوى فيه حدود الحروف العليا والسفلى بحيث تبدو السطور وكأنها رصت بنظام تحت بعضها دون تداخل من كلمات سطر مع السطر الآخر، وقد نقشت الحروف غليظة بالنسبة لحجمها. كما يلاحظ أن الزخرفة النباتية مستمدة من الورقة النخيلية المتعددة الأشكال، ويحمل النص في صراحة اسم السلطان أبي عنان وتاريخ ٧٥٥هـ، وهو بذلك وثيقة أثرية وتاريخية ثابتة، وكانت هذه اللوحة موجودة أصلا في الحمام المحبس ثم نقلت منه إلى صحن الجامع الكبير بالرباط[٢].

وترتبط الكتابة السابقة بنص كتابي[٣] بضريح السلطان أبي الحسن المريني[٤] ويتكون النص الكتابي على هذا الشاهد من سطرين يتضمنان اسم السلطان أبي الحسن، كما يحمل زخارف متنوعة داخل أفريز مزخرف بعقود مفصصة بداخله زخرفة هندسية، وأفريز ضيق من زخارف هندسية[٥].

ويتشابه النص السابق مع نص تأريخي يشكل شريط زخرفي وتأسيسي يحيط بفتحة العقد بمدخل شالة، منقوشًا في الحجر من سنة ٧٣٩هـ بالخط الكوفي المضفر لايزال بمدخل شالة الرئيسي الذي أنشأ مع الأسوار الحالية في عصر السلطان أبي الحسن المريني، ويقرأ كالتالي:

---

(١) شالة: يذكر بعض المؤرخين أن الفينيقيين اختاروا الموضع الذي تشغله شالة الواقعة جنوب الرباط الحالية كأول نقطة للماء قابلوها قرب المصب، والتي اصبحت عاصمة الفينيقيين ، وكانت هذه المنطقة بمثابة المركز التجاري للفينيقيين في المغرب الأقصى، وفي العصر الروماني أصبحت المنطقة الواقعة شمال الرباط الحالية، تابعة لإقليم موريطانيا الطنجية وهو أحد الأقاليم التابعة للمغرب في العصر الروماني. راجع: سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط ، ص٦.

(٢) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، دراسات جديدة في الفنون الإسلامية ، ص٢١١- ٢١٢.

(٣) عبارة عن شاهد قبر رخامي بشكل هرمي حيث يبلغ طوله: ٢، ١٦٥م، وعرضه: ٣٥سم وارتفاعه: ٢٧٥ سم، أما ارتفاع السطر الكتابي ١٠سم.

(٤) للوقوف على التفاصيل المعمارية والزخرفية بضريح أبو الحسن المريني. راجع:
Henri Basset et E. lévi-Provençal, Chella ..pp. 121-147.

(٥) راجع:
Henri Basset et E. lévi-Provençal, Chella, .pp. 39.

١. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

٢. أمر ببناء سور هذا الرباط المبارك مولانا السلطان أمير المسلمين أبو الحسن ابن مولانا السلطان أمير المسلمين المقدس المرحوم أبو سعيد ابن مولانا السلطان أمير المسلمين.

٣. المقدس المرحوم أبي يوسف ابن عبدالحق خلد الله ملكهم وكان الفراغ منه في آخر ذي الحجة عام تسعة وثلاثين وسبعمائة.

كما تتشابه النصوص السابقة مع كتابات قبة أبي الحسن المريني داخل خلوة شالة التي تقرأ كالتالي: **«البقاء لله أمر بهذه القبة المباركة مولانا السلطان الأجل الصالح العادل المجاهد أمير المسلمين وناصر الدين أبو الحسن ابن مولانا السلطان الأجل العادل المجاهد المقدس المرحوم أمير المسلمين وناصر الدين أبي سعيد ابن السلطان الأجل أبي يوسف يعقوب بن عبدالحق بجوار هذه المقابر المرعية عامله الله بجميل الجزاء أصلحه الله .....»**[١].

وتتشابه الكتابات السابقة مع نقش أبي سعيد عثمان المثبت على الحائط الغربي للقاعة المقابلة لمصلى زاوية أو مدرسة شالة، وهو يقابل الداخل من صحن المسجد العتيق إلى الزاوية، ويتكون النقش من سطر واحد من الكتابة النسخية، ومادة هذه الحروف والأرضية كلها من الزليج مع اختلاف اللون بين الحروف والأرضية، ويقرأ كالتالي: **«الحمد لله وحده هاذه الزاوية «المدرسة» أسسها مولانا «العالم العامل الخليفة أمير المو» منين «السلطا» ن «أبو سعيد عثمان» المتوفى في خمسة وعشرين من ذي القعدة عام إحدى «وثلا» ثين وسبعمائة. كما وصل إلينا نقش تحبيس زاوية شالة المعظمة»**[٢] «لوحة ١١٦».

ويتفق نص التحبيس[٣] بمدرسة سلا[٤] مع الكتابات المرينية على منشآت الرعاية

(١) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، ج ٤، ص ٤٢٨.

(٢) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة، ص ١٩٣- ٢١١.

(٣) يوجد بالحائط الشمالي لصحن المدرسة المقابل لواجهة بيت الصلاة، وهي عبارة عن لوح من الرخام مساحته ١١٩ في ٦١ سم، وتبلغ حاشيته اتساع ٢.٥سم، وأرضية اللوحة كلها خضراء فوقها حروف الكتابة بلون الرخام الأبيض. وهي تشتمل على ٢٦ سطرًا كتبت بالخط النسخي المغربي الجميل الذي تتضح فيه استدارة الحروف والتقعير للخط التقليدي للخط المغربي أسفل السطر في إتقان.

(٤) للوقوف على تخطيط ووصف مدرسة سلا، راجع:

Golvin Lucien, La madrasa, 1995, p.253.

الاجتماعية، ويتضمن هذا النص اسم المؤسس المحبس عليها واسم أمير المسلمين وصاحب التحبيس ثم تفصيل الأعيان المحبسة[١]، وهو عبارة عن لوح من الرخام مساحته ١١٩ سم وعرضه ٦١سم، ونقش بالخط النسخي المغربي بحروف بيضاء على أرضية خضراء، وتتضح فيه استدارة الحروف من أسفل مع الأناقة والرشاقة التي لا تتوفر في نقش الحمام الجديد مما يظهر الفرق بين تنفيذ النصين[٢]، ويقرأ نص تحبيس مدرسة سلا كالتالي:

١. بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليمًا
٢. هذا ما حبسه على مدرسة سلا المحروسة مولانا الإمام الأعظم العالم
٣. العابد أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن
٤. ابن مولانا الامام الأعظم العابد أمير المسلمين المجاهد في
٥. سبيل رب العالمين أبي سعيد قدس الله روحه ابن مولانا الإمام الأعظم
٦. العابد الخاشع أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي
٧. يوسف يعقوب بن عبدالحق أطلع الله سعودهم ونصر أعلامهم
٨ وجنودهم وخلد ملكهم وجعل البسيطة ملكهم حبس أيده الله
٩. على المدرسة المذكورة ما يقع ذكره ويأتي تفسيره فمن ذالك بداخل
١٠. سلا المحروسة ثلاثة فنادق وربع الفندق وذالك فندق السبطريين و
١١. فندق بأبي العاصي وفندق المصدع وربع فندق ابن أحمد وطرتزان وهما
١٢. طراز القصيري وطراز الحاج يعقوب و... فندق السبطيريين وثمانية
١٣. وعشرون حانوتًا ونصف الحانوت منها عشرة بسوق السبطيريين
١٤. ومنها أربعة بالرحبة وسايرها بالسوق الكبير ومخزن للملح ومن ذالك
١٥. بخارج سلا القصر والملاحتان القديمة والصغرى وثلث ملاحة الشريف
١٦. وثلث ملاحة الخياط وثلث ملاحة ....و.....وأربع فدادين
١٧. بولجة بن معدان ومربعة باسمير ومن ذالك بداخل رباط الفتح
١٨. اثنا عشر حانوتا وفندق وخزنة للملح ومن ذالك بخارج الرباط
١٩. وبولجة الناظور فدانان وأربع رفايع كل ما حبسه مولانا الإمام

(١) راجع:
Ratiba Rigalma. Les inscriptions Arabes de Salé inventaire et étude stylistique. Institut national des sciences de l'archéologie et du patrimoine. Juin 1998. pp. 32- 36.

(٢) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة، ص ٢١٢.



٢٠. الأعظم أبو الحسن ابن الأئمة الراشدين المهديين على مدرسته المباركة
٢١. التي أقامها بسلا ...الله .....الصالح حبسًا تامًا مؤبدًا
٢٢. لا يغير عن حاله ولا يعدل به عن سبيله حت ١١ى يرتفع الله تعالى قائما على
٢٣. صوله محفوظا بشروطه وأرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين
٢٤. وقيد هذا بأمر مولانا الامام الأعظم أبي الحسن المذكور قاصدا بذلك
٢٥. .. الأوقاف وضبطها وملتمسا به تخليد ذالك وتحصيل جزيل الأجر وتاريخ
٢٦. يوم الجمعة التاسع عشر لجمادى الثاني اثنين وأربعين وسبعمائة[١].

ومن خلال دراسة النقوش المرينية يمكن القول، إن عصر بني مرين شهد انتشار استخدام الخط الكوفي وخط الثلث المغربي، وأصبحت الكتابات ذات رشاقة في التأليف وتوازن في النسب، كما تنوعت المادة التي نقشت عليها تلك الكتابات من الرخام إلى الخشب فالزليج فالجص والحجر والمعادن، وإذا كانت الكتابات الكوفية قد ندر استخدامها بمصر والشرق الإسلامي في الكتابات التأسيسية واقتصرت على كتابة النصوص والعبارات الدعائية أو الآيات القرآنية من القرن السادس الهجرين الثالث عشر الميلادي، فإن الكتابات الزخرفية بالمدارس المرينية تمدنا بنصوص تأسيسية بالخط الكوفي ترجع للقرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، حيث نقش على أحد تيجان الأعمدة الرخامية بمدرسة العطارين كتابات بالخط الكوفي تحمل تاريخ ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م، وعلى الحجاب الخشبي الذي يغلق على فتحة الباب الموصل لصحن المدرسة البوعنانية ٧٥١- ٧٥٦هـ/ ١٣٥٠- ١٣٥٥م كتابات بالخط الكوفي.

وقد تنوعت أساليب الخطوط نفسها، فنجد الكوفي المضفر على أرضية خالية من الزخرفة، والكوفي المضفر على مهاد نباتي من زخارف نباتية تتألف من مراوح نخيلية وتتصل بالأفرع والأوراق عقد صغيرة في هيئة الميممات، وهناك نوعٌ من الخط الكوفي ظهر بالمدارس المرينية، واختصت به مدارس السلطان أبي الحسن، وفيه تمتد نهايات حروفه القائمة مكونة إطار تحف بالكتابة من أعلى في هيئة عقد مفصص، كما تنوعت نماذج الخط الثلث، حيث نجد منه ما يقوم على أرضية خالية من الزخرفة، ونوعًا آخر يقوم على مهاد من زخارف نباتية[٢].

---

(١) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج٤، ص ٤٦٨- ٤٦٩.

(٢) محمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين«٦٦٨- ٨٦٩هـ/ ١٢٦٩- ١٤٦٤م»، رسالة =

ولم يمنع التطابق والتشابه الواضح في معظم النقوش الكتابية على منشآت الرعاية الاجتماعية في العدوتين في العصر المريني، سواء في النصوص، أو طريقة تنفيذها، وأسلوبها الفني، من ظهور بعض الفروق والاختلافات، فمثلًا نجد بعض الاختلافات بين لوحة شالة ولوحة الحمام الجديد، سواء من حيث المساحة وطراز الكتابة وأسلوب الزخرفة، في حين يتطابق نقش مدرسة التحبيس بمدرسة سلا ونقش التحبيس بزاوية شالة، فكما أملى أبو الحسن أو نائبه على النقاش كلمات لوحة تحبيس المدرسة المصباحية ٧٤٧هـ مطابقة لنص لوحة تحبيس مدرسة دار المخزن[١] بعد وفاة عثمان، فإن لوحة تحبيس زاوية شالة قد نقشت كذلك مع لوحة تحبيس مدرسة سلا التي تحمل تاريخ نقشها ٧٤٢هـ، فكلمات الافتتاحية وأسماء الأحياء والمحبسات ونص العبارات المؤدية إلى تحبيس العيون في النقشين واحدة، واللوحتين من الرخام متشابهتين ومتساويين[٢].

ونستنتج من ذلك أن لوحة تحبيس زاوية شالة نقشت مع لوحة تحبيس مدرسة سلا التي تحمل تاريخ نقشها ٧٤٢هـ، ويمكن القول، من خلال الدراسة المقارنة أن لوحة تحبيس زاوية شالة التي لا تحمل أية معلومات عن تاريخها واسم من أمر بصنعها، قد نقشت بأمر السلطان أبي الحسن مع لوحة مدرسة سلا عام ٧٤٢هـ لتخليد ذكرى ما حبسه والده السلطان أبو سعيد عثمان على زاوية شالة التي بناها فيما بين عامي ٧٢٦ هـ - ٧٣١ هـ[٣] ويمكن أن نستخلص من دراسة الكتابات السابقة أن خط الثلث المغربي شهد تطورًا ملحوظًا في كل أصنافه في العصر المريني، ويضم الخط المغربي تشكيلة من الخطوط ذات جمالية وبهاء خاص، وهي تزخر بزخارف وتجويدات متنوعة[٤].

كما اشتملت بعض الثريات الموجودة بجامع القرويين على نقوش لاتينية قديمة، فقد حفرت على البدن الخارجي للثريا المعلقة بالقبة السادسة على حروف لاتينية تتضمن عبارة دينية تترجم على النحو التالي: «صوت الرب يجلجل في بيته»، وكذلك على بدن الناقوس

= ماجستير غير مطبوعة، كلية الآداب بسوهاج جامعة جنوب الوادي، ١٩٩٩م، ص ٣٤٦- ٣٥٠.

(١) راجع:

Golvin Lucien, La madrasa, 1995, p.232- 234.

(٢) أسماء العيون المحبسة في لوحة سلا التي نقشت بأمر أبي الحسن هي نفسها العيون الوارد تحبيسها على زاوية شالة مثل فندق ابن أحمد.

(٣) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة، ص ٢١٢- ٢٢٠.

(٤) راجع: كريم عايش، وآخرون، أصل الخط العربي وتنوعه وتطور مخطوطاته وفهرستها، ط١، الرباط، ٢٠٠٠، ص٢٢-٢٣.

المعلق بالقبة الثامنة والتي تقرأ: **«جدير بالنفس التقية أن تشكر فضل الله عليها في النجاة من شرور الضلال».**

وقد قام الفنان المسلم بنقش زخارف كتابية إسلامية على الإطارات الخارجية للثريات، ومعظمها يضم آيات من القرآن الكريم تضمنت معانيها الكريمة الوظيفة الجديدة للناقوس، ومن الجدير بالذكر أن كل من النقوش الكتابية سواء القديمة أو الإسلامية تضمنت عبارات تفيد الوظيفة التي صنعت من أجلها، على الرغم من اختلاف وظيفة الجرس في الكنيسة عن الثريا في المسجد، إذ أشارت الكتابات القديمة إلى عبارة «صوت الرب» وهو تصور لقرع النواقيس، أما الثريات فدونت عبارات التوحيد كدلالة على الموقع الجديد الذي هبطت إليه ثم آيات من سورة النور[١].

ثانيًا: الزخارف النباتية

كانت العناصر الزخرفية والنقوش التي شغلت الثريات الموحدية والمرينية تتكون من عناصر نباتية قوامها مراوح نخيلية أو أنصاف مراوح تلتف حولها سيقان رفيعة وفي نماذج قليلة ظهرت ورقة نباتية ثلاثية الفصوص إلى جانب الزخارف الهندسية التي تشكل دائما على هيئة دائرة أطباق مجمعة نفذت بطريقة التخريم[٢]، وقد اقتصرت الزخارف النباتية على هذه الثريات على الأوراق النخيلية الملساء، كما نلاحظ في مثال الثريا الكبرى بجامع فاس الجديدة أن المناطق الزخرفية بالطوق تمثل بين سطرين من الكتابة النسخية حشوات ذات تركيب موحد يتفق انسجامًا مع الأوراق النخيلية المعرقة[٣].

ومما يدلل على انتشار الفنون المعدنية في المغرب الأقصى خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، الصفائح النحاسية التي تغطي المصراعين الخشبيين بباب جامع القرويين بفاس، والمؤرخ لسنة ٥٢١هـ/ ١١٣٦م، وتحلي الباب مضلعات نجمية قليلة البرونز ومسامير مفصصة الرؤوس وضبتان كبيرتان مستديرتان[٤].

---

(١) راجع: محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس. ص ١٣١ .

(٢) راجع:

Terrasse H. et Hainaut J., Les arts décotatifs au Maroc, Editions Afrique Orient, 1988,pp. 117-120.

(٣) راجع:

Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique nord et en Espagne, Paris, 1924,pp. 170

(٤) راجع: ليوبولدونوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيد غازي، الناشر، منشاة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م، ص ٦٠.

وقد أتيح للأندلس والمغرب أن يتحدا تحت حكم دولة واحدة هي دولة المرابطين، وكان المرابطون ثم الموحدون حلقة اتصال بين الأندلس وبلاد المغرب فكان الجند من المغاربة يرحلون إلى الأندلس للقتال، بينما كان الصناع والفنانون من أصل الأندلس يرحلون إلى بلاد المغرب ويحملون إليها الأساليب الفنية التي ازدهرت في بلادهم[١] وإذا كانت الثريا الكبرى بالجامع الكبير بتازة المؤرخة لسنة ٦٩٢هـ تعتبر تحفة ذات مقاييس تعكس العلم بالتركيب وفخامة الحشوات، فإنها لا تفوق ثريا فاس الجديد لا من حيث أناقة القطع في الأوراق النخلية ولا من حيث قيمة الحفر والتفريغ[٢].

واستعمل الموحدون إلى جانب الزخارف النباتية، علامات نقدية أخرى، عبارة عن مجموعة من النقط والدوائر الصغيرة المنقطة أو المفرغة، كما استعملوا المثلثات الصغيرة الأهلة، وهذه العلامات توزع على فضاء القطعة النقدية[٣]، كما تفيد الرموز والإشارات والشعارات التي تتزين بها المسكوكات في تمييز الضربات النقدية التي تمت في السنة الواحدة، وتحديد معالم عهد من العهود اعتمادًا على علمي الرموز والنسب، وتأخذ هذه الرموز والشعارات شكل انفرادية أو مجموعة من الحروف يستعصى إدراك مفهومها[٤].

والمعروف أنه كان للموحدين طرازهم المعماري الجديد الذي ازدهر في كل من العدوتين، في مدن إشبيلية، ومراكش، والرباط في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ولقد تطور هذا الطراز، وبلغ الذروة في الجمال والرقة في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي، في غرناطة، واحتفظت البلاد المراكشية بتقاليد هذا الطراز[٥]، وقد هاجر الأندلسيون في فترات شتى إلى فاس ومراكش والريف، حيث انبثقت النواة الأولى للفن الأندلسي المغربي البارز في مسجد قرطبة الأموي ومدينتي الزهراء والزاهرة[٦].

---

(١) راجع: محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٣٠.

(٢) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون، ج ٤، ص ٣٨٢.

(٣) راجع: شعبان عبد الرحيم، المسكوكات الموحدية في تاريخ المغرب الوسيط، ص ٩١- ٩٢.

(٤) راجع: دانييل اوستاس، تاريخ النقود العربية ومايتعلق بموازينها ومقاييسها، ترجمة عبداللطيف أحمد خالص، مجلة البحث العلمي، ص ١٣٤.

(٥) راجع:

Marçais G., L'architecture musulmane d'occident, p. 244.

(٦) راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، المغرب الأقصى يحتضن التراث الأندلسي، مجلة التاريخ العربي، العدد ١٢، خريف، ١٩٩٩م، ص ٢٣٥.

كما شملت التأثيرات الشامية شتى مجالات الحضارة، فقد دخلت في بناء جامع القرويين عام ٢٤٥هـ عناصر فنون دمشق. وأضاف الناصر الأموي عام ٣٤٥ هـ، أي بعد مرور قرن كامل على بناء الجامع، اثنى عشر بلاطًا جديدًا، وحول المنارة من مكانها الحالي مغشيًا بابها بصفائح النحاس الأصفر مع قبة صغيرة محلاة بتفافيح مموهة بالذهب. وظل التبادل المباشر بين الشام والمغرب موصولاً من القرن الأول الهجري إلى القرن الحادي عشر الهجري[١].

وقد أصبحت عناصر الزخرفة المعمارية على عهد المرابطين[٢] والموحدين تتكون من الأقواس المختلفة من مدورة ومدببة ومتجاوزة ومفصصة. وكان العقد المغربي المفضل هو الحدوي المتجاوز الذي ظل إلى الآن سمة تقليدية للمحاريب المغربية . ولقد تطور القوس المفصص على عهد الموحدين فأعطى أشكالًا متنوعة، من المسنن، وذي الأسنان المدورة والمستقيمة، كما انتشرت القبوات الغنية بالمقرنصات المتنوعة الأشكال . أما الخطوط الموحدية فتتميز بالضخامة على عكس الكوفي التونسي الرقيق. كما كانت الزخرفة الهندسية أساسية منذ القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، حيث تظهر في محاريب تينيمل، والكتبية، وكانت سعفة الأكانتوس هي العنصر الرئيسي في الزخرفة الزهرية في فن التوريق المرابطي والموحدي. حيث يتصف التوريق الموحدي ببساطة التقشفية الأمر الذي سمح بترك مساحات فارغة دون الزخرفة، ففي التوريق الموحدي تفقد سعفة الأكانتوس عادة تفاصيلها الداخلية، وتقتصر على الشكل المجرد ربما بتأثير إفريقية الفاطمية أو المشرق، أما عن تمثيل الشخوص الآدامية والحيوانية مما كان معروفًا في الأندلس بمدينة الزهراء فإنه اختفى تمامًا في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي تحت تأثير مذهب النقاء الموحدي[٣].

وتتميز العمائر المرينية الباقية بصغر حجمها مقارنة بعمائر الموحدين[٤]، كما تتميز

(١) عبدالعزيز بنعبدالله، ثلاثة قرون بين الشام والمغرب عبر الأندلس، مجلة التاريخ العربي، العدد ١٤، ربيع ٢٠٠٠، ص ١٠٧- ١٢٤.

(٢) راجع: صالح يوسف بن قربة، دور الأعلام والرايات في تاريخ المرابطين، مجلة التاريخ العربي، العدد ٢٣، صيف ٢٠٠٢م، ص ١٣٥- ١٣٩.

(٣) راجع: سعد زغلول عبدالحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص ٥٠٥.

(٤) الموحدون أصحاب مدرسة في فن العمارة وفي الزخرفة من أهم تعاليمها التبسيط بقدر الإمكان من التكوينات الزخرفية، وتجريد التوريقات من عناصرها الحية، وطبعها بطابع من الورع الذي يعكس اتجاههم الإصلاحي ولقد تأثرت فنون الموحدين في العمارة والزخرفة تأثراً عميقاً بالحضارة الأندلسية. راجع: السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ص ٧٤٦.

العمارة المرينية بانتشار الزخرفة المعمارية انتشارًا يغطي جميع السطوح في الحوائط والعقود والأسقف[١]، وعلى خلاف خطوط عناصر الزخرفة الموحدية المتميزة البسيطة الواضحة بين فراغات المساحة الزخرفية الكبيرة، أصبحت خطوط الزخرفة المرينية دقيقة ومتداخلة ومنتشرة على جميع أرضية المساحات الزخرفية، وقد اكتسبت تنوعا في الألوان يضع انسجامًا عامًا لجميع العناصر والوحدات الزخرفية حيث نرى الألوان الأزرق والرمادي والأخضر والأسود، ويتضح ذلك في زخارف جدران مدرسة أبي الحسن بسلا ونظيراتها بفاس ومكناس[٢].

ثالثًا: الزخارف الهندسية

وصل مهندس الدولة المرينية إلى ابتكار طراز جديد في تخطيط العمائر الدينية والمدنية المغربية، باستخدام ظاهرة القص المتماثل، وهي إحدى مميزات العمارة المرينية، وهذه الظاهرة مبتكرة، وهي لا تعدو أن تكون طرازًا هندسيًا جديدًا في العمارة المرينية، عمل بقصد التجديد وتمييز منشآت المرينيين عن غيرها من المباني السابقة، واللاحقة، أو أنها كانت بمثابة توقيع البناء المريني على ما أنتجه من روائع العمارة والفن[٣].

كما استخدم المرينيون العقد المتجاوز كامل الاستدارة الذي عرفه المرابطون وأهملوا العقد المتجاوز المنكسر الذي استخدمه الموحدون، كما كان المستطيل المحيط بالعقد أقل ارتفاعًا من نظيره عند الموحدين، فلما جاء المرينيون جعلوا عقود مساجدهم عمودية على اتجاه القبلة نظرًا لزيادة عمق المسجد عن اتساعه[٤].

(١) تحققت بذلك نظرية الفن الإسلامي في (الخوف من الفراغ) وتم تقسيم المسطحات الكلية إلى أفاريز ومناطق زخرفية وأشرطة متقابلة متناسبة ومتناظرة تحدث التوازن الدقيق في التوزيع العام لعناصر الزخرفة المعمارية، حيث تميز الطراز المغربي بالإسراف في الزخرفة في القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي. راجع: زكي حسن، فنون الإسلام، مطبعة النهضة المصرية، ١٩٤٨، ص ١٢١.

(٢) راجع:

Golvin Lucien. La madrasa. 1995. p.248.

(٣) مسجد شالة بالإضافة المرينية ٦٧٥هـ، والجامع الكبير بفاس الجديد ٦٧٧هـ، ومسجد تازا بالزيادة المرينية ٦٩٠هـ، ومسجد سيدي ابن صالح بمراكش ٧١٥هـ، والجامع الكبير بالرباط (بين أوائل القرن الثامن وأوائل القرن الثالث عشر). ثم مثالان ظهرا بالمدارس أقدمهما بمدرسة دار المخزن بفاس الجديد (٧٢٠-٧٢١هـ) تليه مدرسة الصهريج أو المدرسة الكبرى البالي (٧٢٣هـ). راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج٤، ص ٢٨٤.

(٤) راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية ، ج٤، ص ٢٩٠.

وقد استخدمت المقرنصات كعنصر زخرفي في الغرب الإسلامي، ويرجع أقدم مثل لاستخدامها كعنصر إنشائي في جامع القيروان حيث تحمل القبة التي تتقدم المحراب المشيدة عام ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، وفي العصر المريني استمر استخدام المقرنصات للغرض الزخرفي في أشكال متطورة، فنجدها في المدارس تغطي بواطن العقود، وبواطن القباب، كما نراها تتدلى من بواطن الأسقف الخشبية وفي تيجان الأعمدة، وفي الوقت الذي نلاحظ اختفاء الشرافات في العمارة المغربية، نراها تتوج واجهات مئذنة مدرسة الصفارين، ومئذنة المدرسة البوعنانية، كما نجدها منقوشة على الزليج يكسو الجزء السفلي لجدران هذه المدرسة، كما نجدها تتوج الأحجبة الخشبية التي تفصل الأروقة التي تتقدم مساكن عن صحن المدرسة، وقد زينت من الداخل بزخارف نباتية، كما نراها تتوج القرص الدائري للثريات المرينية. كما انتشرت الزخارف المعمارية التي على هيئة محراب متوج بعقد مفصص أو على هيئة حدوة الفرس في تزيين واجهات المدارس المرينية، وظهرت الزخارف المعمارية التي هيئة عقود مفصصة أو على هيئة حدوة الفرس في تزيين واجهات المدارس المرينية[1].

وانتشرت على الأرضيات تضفيرات هندسية أو زهرية بسيطة أو مركبة وظهرت الأوراق النخلية، والتعريشات النخيلية، وكيزان الصنوبر متنوعة، وعلى أفاريز وإطارات الجص نقشت تضفيرات النجوم متعددة الأركان المستوحاة من الفنون الإسلامية في المشرق في تشكيلات متنوعة تحقق التوازن في الحركة والانسجام، وكانت الزهيرات المرينية ذات وريقات تتجمع على شكل اندماج أو تقاطع أو التحام، وقد ترسم الأوراق بهيئتها العادية، أو على هيئة كوز الصنوبر، وقد تكون الأوراق ملساء مرنة تتنوع بتنوع مكانها من النقش، وكثيرًا ما تصنع الأوراق تضفيرًا نباتيًا.

ومن الزخارف ذات الأصل الهندسي البسيط يظهر العقد الذي يتميز بالتناظر والتماثل، ومثلها، وكذلك زخرفة السلسلة، ويمكن القول بأن الفن المريني يعتبر فنًّا متميزًا أعطى للخطوط الزخرفية حياة مسترسلة متصلة ومنح العناصر والوحدات جمالًا منسجما مع الألوان إلى جانب نعومة الحس ورقة الذوق، ويظهر ذلك جلي في مدارس فاس، التي أصبحت قاعدة ملوك بني مرين، حيث استوطنوها وبنوا معها ثلاث مدن موازية لها، على ضفة الوادي المعروف بوادي الجواهر، وبكل من فاس القديمة وفاس الجديدة المسماة

---

(١) محمد السيد محمد أبو رحاب، مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين، ص ٣٥١

بالبيضاء[١]، وحمص[٢]، الجوامع والمساجد والمآذن والحمامات والأسواق[٣].

كما تظهر حلية العمائر المغربية في هذا الطراز في الأعمدة الرخامية الدقيقة ذات التيجان الرقيقة المحلات بالتوريق، وأيضًا تلعب المقرنصات دورًا كبيرًا في العصر المريني في قباب المدارس والقصور وواجهات المساجد المرينية[٤].

ونجد اتفاقًا في الظواهر المعمارية والمعمارية بين شرق العالم الإسلامي وبين غربه، من ذلك ما يشاهد في القباب الأندلسية والمغربية التي تتكون من العقود الرفيعة التي تتشابك وتتقاطع لتحصر بينها الحشوات الموزعة توزيعًا هندسيًا، والتي كانت تملأ في الغرب الإسلامي بالشمسيات الجصية ذات الزجاج الملون، بينما كانت تملأ بالآجر في فارس، إما في مداميك متوازية أو في تكوينات هندسية صغيرة المقياس. كما نجد اتفاقًا بين شرق العالم الإسلامي وغربه، في تغشية الجدران بالخزف الملون سواء كان ذلك على هيئة بلاطات صغيرة أو كبيرة، أو على هيئة فسيفساء من الخزف، وهو أسلوب بدأ في الانتشار في هاتين المنطقتين منذ النصف الأول من القرن ٧هـ/١٣م، وهذه الظواهر بين المنطقتين تؤكد وحدة التفكير عند المعماريين المسلمين ولو كانوا في أقطار تقع في طرفين متباعدين من العالم الإسلامي،

---

(١) المدينة البيضاء أو البلد الجديد: بناها يعقوب بن عبدالحق المريني، وشرع في بنائها عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م، وهي حي القصر الملكي والجامع ودور المخزن، ولعل اسم المدينة البيضاء كان يطلق أول الأمر على فاس القديم. راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج١، ٢٠٠١م، ص ٤١٧.

(٢) حمص: حي بفاس الجديد كان يقطن به رماة شاميون من حمص، وقد أقيم مكان الملاح الحالي. راجع: عبدالعزيز بنعبدالله، فاس منبع الإشعاع، ج١، ص ٣٨٥- ٣٨٦.

(٣) راجع: محمد المنوني، ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ١٩٩٦، ص ٥٤٩- ٥٥٥.

(٤) تتميز المساجد المرينية بصغر حجمها وضيق مساحتها المقارنة مع ضخامة مساجد الموحدين ومساحتها الفسيحة. كما يلاحظ ظاهرة زيادة عمق بيت الصلاة بالمسجد المريني عن طول جدار القبلة بالمقارنة بنظيره في عمارة الأشراف الأدارسة أو المرابطين والموحدين من بعدهم، وعلى سبيل المثال بعض المساجد المغربية من عصر ما قبل المرينيين كجامع القرويين، وجامع الكتبية أو القصبة بمراكش، والجامع الكبير بفاس الجديد، ومسجد الحمراء من عصر بني مرين، يتضح لنا عمق بيت الصلاة عن طول جدار القبلة في جوامع المرينيين. ومن جهة أخرى نلاحظ اهتمام المرينيين ببلاط المحراب، وهو البلاط المحوري بدليل استئثاره بالزخرفة وبوضع قبتين، الأولى عند بدايته أمام المحراب والثانية عند نهايته بالواجهة المطلة على الصحن، بعد أن كان الموحدون يعنون بأسكوب المحراب عمارة وزخرفة واتساعاً عن عمق بيت الصلاة، ووضع ثلاث قباب أو أكثر على أسكوب المحراب، كما نرى في الكتبية وغيره من مساجد الموحدين. راجع: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية، ج٤، ص ٢٧٩.



كما تؤكد الصلات الوثيقة التي ظلت قائمة مترابطة بين بقاع العالم الإسلامي[1].

وكان للعلاقات الودية القائمة بين المغرب ومصر في العصر الإسلامي الوسيط، والاحتكاك السلمي المباشر بين المغاربة وأهل مصر، أعظم الأثر في نفاذ التأثيرات المغربية الأندلسية في العمارة المصرية والفنون الزخرفية. ومن بين مظاهر هذه التأثيرات التكوينات النباتية من التوشيحات التي قوامها الجمع بين الخطوط الهندسية والأشكال النباتية، وصياغة الأشكال النباتية في تلك الخطوط بحيث تتوزع تموجات الأغصان وانحناءاتها وتقاطعاتها وبداخلها ومخارجها في الأشكال الهندسية توزيعًا توقيعيًا مصحوبًا بالتناسق الذي يعتمد على التشابك والتداخل، وحشو الفراغات الناتجة عن هذه التقاطعات الهندسية والتشابكات النباتية بوريقات أو سعف أو براعم أو زهيرات وثمرات. كما انتشرت التقاليد المغربية الأندلسية في كثير من العناصر المعمارية الزخرفية بالمنشآت والفنون الأيوبية[2] وتطورت في العصر المملوكي في العقود المنفوخة المتجاوزة لنصف الدائرة في العديد من العمائر المملوكية[3].

(١) محمد السيد محمد ابو رحاب، مدارس المغرب الأقصى في عصر بني مرين، ص ٦٨.

(٢) راجع: عبدالعزيز صلاح، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، ج٢، مركز الكتاب للنشر، ٢٠٠٠، ص ٤٥- ٨٨.

(٣) راجع: السيد عبدالعزيز سالم، التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة الآثار، دار الغرب الإسلامي، ق٢، ص ٤٣٩- ٤٤٢.

الخلاصة وأهم النتائج:

- ❖ حصر ودراسة الثريات التي تزين عمائر المغرب الأقصى خلال العصور الإسلامية، والمتمثلة في الثريات ومصابيح النواقيس، والشماعد، والمسارج، والمصابيح، وغيرها من الأدوات النادرة، مع فحص وتحديد الترميمات والإضافات المتتالية التي ألحقت ببعض من هذه المواد الفنية ونقوشها المتنوعة تغييرات واضحة.

- ❖ دراسة ونشر ثريا نادرة معلقة في الجامع الأعظم بمدنية مكناس، لم يسبق دراستها.

- ❖ تحليل العناصر الزخرفية والأشرطة الكتابية، المنفذة على الثريات بعمائر المغرب الأقصى.

- ❖ نشر بعض الكتابات المنفذة على الثريات، وقراءة عباراتها، مع تحليل مدلولاتها المختلفة.

- ❖ تصحيح بعض القراءات السابقة، وشرح مدلولاتها التاريخية والفنية، وتفسير الأسماء والألقاب الواردة عليها.

- ❖ إضافة أسماء بعض الصناع المغاربة الذين برعوا في صناعة الثريات ووسائل الإضاءة إلى قوائم الصناع في صناعة التحف المعدنية في العالم الإسلامي.

- ❖ إبراز أهمية ساق الثريا كجزء مهم من تكوينها، مع تحليل ما يشتمل عليه هذا الجزء من كتابات تسجيلية.

- ❖ إلقاء الضوء على العلاقة الوثيقة التي ربطت فنون المغرب الأقصى بفنون مشرق العالم الإسلامي، والتي أدت إلى الوحدة الفنية بينهما، سواء في الطرق الصناعية أو في الأساليب الزخرفية، حيث كان لهجرة الصناع المتبادلة بين المشرق وبلاد المغرب والأندلس، وحركة قوافل الحجيج المغاربة أثر واضح في تبادل المؤثرات الفنية بين المشرق والمغرب.

- ❖ إضافة دراسة بيبليوغرافية مرجعية حديثة، لأهم ما كتب في موضوع «الثريات في عمارة المغرب الأقصى في العصور الإسلامية» في العشر سنوات الأخيرة سواء في الكتابات العربية أو الأجنبية.

المصادر والمراجع العربية

أولًا: المصادر

- ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه، عبدالوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٩م.
- ابن جبير، رحلة أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير، ط٢، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٧م.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون لكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر وماعاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المطبعة البهية المصرية بالأزهر، مصر، بدون تاريخ.
- ابن صاحب الصلاة، تأريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين، تحقيق عبدالهادي التازي، وزارة الثقافة والفنون، سلسلة كتب التراث، ٦٨، العراق، ١٩٧٩م.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ط١، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.
- ابن القاضي «أحمد بن القاضي المكناسي»، جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، القسم الأول، ١٩٧٣م.
- أبي بكر بن علي الصنهاجي المُكنا بالبيدق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية جولة الموحدين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، ط٢، المطبعة الملكية، الرباط، ٢٠٠٤م.
- أبي عبدالله محمد بوجندار، مقدمة الفتح من تاريخ رباط الفتح، مطبعة الجريدة بالرباط، جمادى الثانية عام ١٣٤٥هـ.
- علي بن عبدالله بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م.
- علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق عبدالوهاب منصور، ط٢، المطبعة الملكية الرباط ١٩٩١م.

- إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبدالوهاب بن منصور، ط٢، المكتبة الملكية، الرباط، ١٩٩١م.
- السلاوي، أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج ٤، تحقيق، أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المملكة المغربية، ٢٠٠١م.
- الفشتالي «أبوفارس عبدالعزيز»، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: عبدالكريم كريم، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، ط ٢، ٢٠٠٥م.
- محمد بن عبدالسلام الضعيف، تاريخ الضعيف «تاريخ الدولة السعيدة»، تحقيق: أحمد العماري، دار المأثورات، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .
- محمد بن على الدكالي، الإتحاف الوجيز تاريخ العدوتين، تحقيق مصطفى بو شعرا، منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، المغرب / ١٩٨٦م.
- المقدسي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٨٧م.
- المراكشي، أبي محمد عبدالواحد بن علي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه، صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ٢٠٠٦م.
- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج ١٤، دار صادر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
- ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي. بيروت، «بدون تاريخ».

ثانيًا: المراجع

- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج ١، الدار البيضاء، ٢٠٠٢م.
- إبراهيم القادري البوتشيشي، المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من عطاءات الحضارة الأندلسية، بحث منشور في كتاب ندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات، مطبوعات مكتبة مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات والعلوم الإنسانية، ١٩٩٦م.

- أحمد الطويلي، تاريخ القيروان الثقافي والحضاري، تونس، ٢٠٠١م.
- باسيليوبابون مالدونادو، الفن الإسلامي في الأندلس، الزخرفة النباتية، ترجمة على إبراهيم على منوفي، مراجعة محمد حمزة الحداد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- بشير رمضان التليس، وجمال هاشم الذويبن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ثروت عكاشة، فن الواسطي من خلال مقامات الحريري، دار المعارف بمصر ١٩٧٤م
- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م.
- الكتابات الأثرية وصلتها بالحضارة، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، مج ٣، مطبعة أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٩٩٩م.
- حسن السائح، التاريخ العلمي لجامعة القرويين، منشورات الإيسيسكو، الرباط، ١٩٩٧م.
- حسن على حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس «عصر المرابطين والموحدين» ط ١، مكتبة الخانجي بمصر، ١٩٨٠م.
- حسن حافظي علوي، جوانب من تاريخ المرابطين من خلال النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، العدد الثالث والعشرون، ١٩٩٩م.
- حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج٢، ج ٢، دولة المرابطين والموحدين والحفصيين، العصر الحديث، للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
- ديماند، الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد عيسى، مراجعة أحمد فكري، دار المعارف، ط ٣، ١٩٨٢م.
- زكي محمد حسن، فنون الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٩٤٨م.
- رشيد الناضوري، المغرب الكبير، طبعة الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٦م.
- عباس الجراري، إقليم الصخيرات تمارة مهد تاريخي أصيل، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج١، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٩٤م.

- عبدالحفيظ الطبايلي، مصدر عثماني حول تاريخ المغرب السعدي، «البحر الزخار والعيلم التيار، لمؤلفه مصطفى الجنابي، مجلة التاريخ العربي، ع ١٢، الرباط خريف ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- عبدالعزيز بنعبدالله، الفن المغربي تعبير رائع عن مدارك الأجيال، مجلة اللسان العربي، العدد ١، الرباط، ١٩٧٢م.
- فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج١، ٢٠٠١م.
- الأثر الإسلامي في الفن المغربي، البينة، مجلة الرسالة الخالدة والثقافة المتحررة، ع ١٠، الرباط، ١٩٦٣م.
- رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة، منشورات جمعية رباط الفتح، ١٩٩٠م.
- المغرب الأقصى يحتضن التراث الأندلسي، مجلة التاريخ العربي، العدد ١٢، خريف، ١٩٩٩م.
- ثلاثة قرون بين الشام والمغرب عبر الأندلس، مجلة التاريخ العربي، العدد ١٤، ربيع ٢٠٠٠م.
- عبد العزيز توري، حول كنز صغير حديث الاستكشاف، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، العدد ٣٠، الرباط، المغرب، شوال ١٤٠٤/ يوليو ١٩٨٤م.
- عبدالعزيز صلاح، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، مركز الكتاب للنشر، ج١، القاهرة، ١٩٩٩م.
- الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي، مركز الكتاب للنشر، ج٢، ٢٠٠٠م.
- دنانير ذهبية موحدية تنشر لأول مرة باسم أمير المؤمنين أبو محمد عبدالمؤمن بن علي، وابنه أمير المؤمنين أبو يعقوب يوسف، محفوظة في متحف الرباط، بالمملكة المغربية، مجلة كلية الآثار جامعة القاهرة، ع ١١، ٢٠٠٧م.
- دراسة بعض التحف المعدنية الإيرانية المكفتة في ضوء مجموعة متحف اللوفر بباريس «من منتصف القرن ٦ هـ/١٢ م بداية القرن ٧ هـ/١٣م»، ندوة الآثار الإسلامية في شرق العالم الإسلامي، ٣٠ نوفمبر ١ ديسمبر ١٩٩٨م.
- عبدالعزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة ببيروت، د.ت.
- عبدالكريم الشيلي، الأربطة والمرابطة بإفريقية من خلال النوازل المالكية «ق ٨ - ١٠ م»،

مجلة التاريخ العربي، العدد ٢٥، شتاء ٢٠٠٢م.

- عبد الكريم كريم، رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٩م.
- رباط الفتح عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٣م، مجلة التاريخ العربي، العدد٢٦ ربيع ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، المملكة المغربية، ط٣، ٢٠٠٦م.
- عبدالكريم كريم، معركة وادي المخازن من خلال الوثائق التاريخية، مجلة التاريخ العربي، العدد الثالث، الرباط، صيف ١٩٩٧م.
- عبد الله كنون، الإسلام في المغرب، معلمة المغرب، ج٢، نشر مطابع سلا، المغرب، ١٩٨٩م.
- عبدالله السويسي، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٩م.
- عبد القادر الخلادي، لمحة تاريخية وأدبية عن الحمامات في المجتمع الإسلامي، مجلة دعوة الحق، العدد التاسع والعاشر، السنة الثامنة، ١٩٦٥م.
- عبدالهادي التازي، الحروف المنقوشة بجامع القرويين، فصلة من مجلة كلية الآداب، جامعة الأسكندرية، العدد ١٤، ١٩٦٠م.
- جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس، مج١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٢م.
- الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، ١٩٨٣م.
- عبد الواحد العسري، مدخل لدراسة كتاب أعز ما يطلب لابن تومرت، مجلة كلية الآداب بتطوان، عدد١، سنة ١٩٨٦م.
- عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ شالة الإسلامية، بيروت، ١٩٧٥ م.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج١، ط١، الرباط، ١٩٩٢م.
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج٣، عصر دولة الموحدين، ط١، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣م.

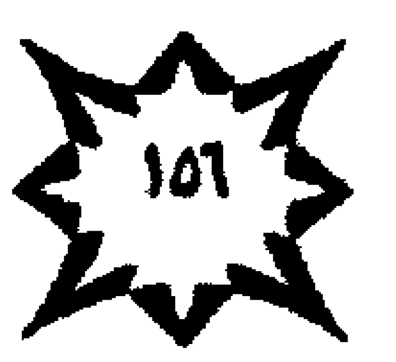
- تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج ٤، عصر الدولة المرينية ودولة بني وطاس، ط١، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣م.
- عفيف البهنسي الفن الإسلامي، دار طلاس، دمشق، ١٩٩٨ م.
- عمار الطالبي، رسالتان موحديتان، ضمن مخطوط كتاب «أعز ما يطلب لابن تومرت»، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ج١، سلسلة الدراسات التاريخية، ١، ١٩٧٩م.
- عمر أفا، ملامح من تطور الخط المغربي من خلال الكتابة على النقود، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ع.١٨، لسنة ١٩٩٣م.
- علي محمد محمد الصلابي، دولة الموحدين، دار البيارق للنشر، ١٩٩٢م.
- غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية . بيروت ١٩٨٨م.
- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- سحر السيد عبدالعزيز سالم، مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الأسكندرية، ١٩٩٦م.
- سعاد ماهر، كتاب الفنون الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
- سعد زغلول عبدالحميد، العمارة والفنون في دولة الإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٦م.
- سليمان مصطفى زبيس، الفنون الإسلامية في البلاد التونسية، المعهد القومي للآثار والفنون، ١٩٧٨م.
- السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتي سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨١م.
- المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٦م.
- صالح يوسف بن قربة، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٦م.
- دور الأعلام والرايات في تاريخ المرابطين، مجلة التاريخ العربي، العدد ٢٣، صيف ٢٠٠٢م.

• ليوبولدونوريس بالباس، الفن المرابطي والموحدي، ترجمة سيد غازي، الناشر، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م.
• مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة لطفي عبدالبديع، والسيد عبدالعزيز سالم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
• محمد حجي، ظاهرة الجهاد في تأسيس سلا والرباط، الندوة العلمية حول الرباط وسلا، ج١، مطبعة فضالة، المغرب، ١٩٩٤م.
• محمد حجي، أحمد المنصور الذهبي، معلمة المغرب، ج١، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، سلا، ١٩٨٩م.
• محمد عبدالله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٤م.
• محمد عبدالحي الكتاني، ماضي القرويين ومستقبلها، تعليق عبدالمجيد بوكاري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.
• محمد العلوي الباهي، ملاحظات ثريا جامع تازة، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الثامنة عشرة، المحرم، صفر، ربيع الأول ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
• محمد السويسي، العلوم والاستكشافات ودورها في تطوير الصناعات والفنون، كتاب الفن العربي الإسلامي، ج ١، تونس ١٩٩٤م.
• محمد محمد الكحلاوي، ثريات من النواقيس في جامع القرويين بمدينة فاس، مجلة الدارة، العدد الرابع، السنة ١٧، الرياض، المملكة العربية السعودية، رجب، شعبان، رمضان، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
• محمد المغراوي، ملاحظات حول مسالة الحسبة في الدولة الموحدية، مجلة دراسات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، العدد ٢، ١٩٨٨م.
• محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المملكة المغربية، بدون تاريخ. كلية الآداب، الرباط، ٢، ١٩٧٧م.
• ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ١٩٩٦.
• أساتذة الهندسة ومؤلفوها في المغرب السعدي، الفقيه المنوني، أبحاث مختارة، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، ٢٠٠٠م.

- محمود وصفي محمد، دراسات في الفنون والعمارة الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٨٠م.
- مراد الرماح، ملاحظات حول ضرب السكة بالقيروان، أفريقية، المعهد الوطني للتراث، عدد ١٩، تونس، ٢٠٠٢م.
- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر، الجزائر ١٩٨٢م.
- المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان١٩٩٧.
- هاني محمد الجواهرة، اللباس والزخرفة والحلي، علاقة الزخارف المعمارية الإسلامية بفنون السجاد والحلي والكتاب، مجلة التاريخ العربي، العدد ١٩، الرباط، صيف ٢٠٠١م.

المراجع الأجنبية:

- Abdeltif El Khammar, mosquées et oratoires de Meknès «Ixe - XVIIIe siecles» : géographie religieuse, architecture et problème de la Qibla, Faculté de géographie, histoire, histoire de l'art et tourisme, Université Lumière, Lyon II, 2005.
- Arabesques et Jardins de paradis Collections Françaises d'art islamique, Musée du Louvre, paris, 15 Janvier 1989 – 16 Octobre 1990.
- Atil Esin and chase W.T., Islamic Metalwork in the Freer gallery of Art, Washington, 1985.
- Arte islamico en Granada, Propuesta para un Museo de la Alhambra, 30 de Sept., 1995, Palacio de carias V, La Alhambra, Granada, 1995.
- Barbura Brend, Islamic Art, British Museum Press, 1991.
- Baer Eva, Metalwork in Medieval Islamic Art, New York, 1983.
- Barrucand M., Structures et charpentes Alaouites à partir dexemples de Meknès, in B.A.M., T. XI, 1976.
- Barrucand M., Larchitecture de la Qasba de Mawlay Ismaïl à Meknès, E.T.A.M, T. VI, Rabat, 1976.
- Bazzana, A., Elhraiki, R. Montmessin, Y., La mémoire du geste, la poterie domestique et féminine du Rif marocain, Maisonneuve & Larose, 2003.
- Bel Alfred, inscriptions Arabes de Fès, Journal Asiatique, Tom X, Paris, Juillet – Août. 1917
- Benslimane Hassar J., Les relations entre art Mérinide et art Nassride, in publication patronato de Alhambra y généralife junta de Anda Lucia, granada, 1995.



- Benslimane Hassar J., Le passé de la ville de Salé dans tous ses états: histoire, archéologie, archives, éditions Maisonneuve et Larose, Paris, 1992.

- Caillé J., La Ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, vol. II, Vanoest, MICMXLIX.

- Chastel Robert, Rabat-Salé vingt siecles de l'oued Bou Regreg, Edition la porte, 1997.

- Cat. Et Exp., Maroc, Les trésors du royaume, Petit Palais, Paris, 1999.

- Cat. Exp., Splendeurs du Maroc, Musée royal de l'Afrique centrale, Tervuren, 1998.

- Cat. Exp., The art of Medieval Spain, a.d. 500-1200, New Yorkm 1993.

- Cat. Exp., Al-Andalus, the Art of Islamic Spain, New York et Grenade, 1992.

- Collectif, Six mille ans dart au Maroc: de lempire romain aux villes impériales, Le Plessis-Robinson, Paris-Musée, Paris, 1990.

- De l'Empire Romain aux villes impériales, Musée du petit palais, 1990

- Exposition, L'orient de Saladin, l'art des Ayyoubides, Exposition présentée à l'institut du monde Arabe, paris, du 23 Octobre 2001 au 10 Mars 2002, Gallimard,2001.

- Exposicion , Las Andalucias de Damasco a Cordoba, Exposicion presentada en Instituto del Mundo Arabe del 28 de npviembra de 2000 al 15 de abril de 2001, Hazan, 2001.

- Ettahiri Ahmed S., Le Maroc: creuset d'héritages, dans Héritages culturels du Maghreb: histoire et mémoire, Prologues, N°29 - 30, 2004.

- Ettahiri Ahmed S., Worked Bone Tools: linking metal artisans and animal processors in medieval Islamic Morocco, dans Antiquity, vol. 76, N° 292, 2002.

- Ettinghausen R., Grabar O. and Marilyn, Islamic Art and Architcture 650/1250, The Yale University Press, July 2003.
- Ettinghausen R. Originality and conformity in Islamic Art and Archaeology, Collected Papers, Berlin, 1984.
- Fernandez Puertas A., Topología de lámparas de bronce de al-Andalus y el Maghreb, Miscellanées de Estudios Arabes y Hebraicos, Secion Arabe-Islam, 48, Grenade, 1999.
-Golvin Lucien, La madrasa médiévale, Edisud, 1995.
- Grabar Oleg, The Formation of Islam, Revised and Enlarged, September 1987.
- Gonzalez Valérie, Beauty and Islam: Aesthetics in Islamic Art, London, 2001.
- Hillenbrand Robert, Islamic Architecture, New york, 1994.
- Hoag John D., Western Islamic Architecture, New York, 1983.
-Jonathan Bloom and Sheilal Blair, Islamic Arts, Phaidon Press, 1997
- Les Andalousies, de Damas à Courdoue, Cat. Exp., Institut du Monde Arabe, 2001.
- Marçais G., L'architecture musulmane d'occident, Paris, 1954.
- Marçais G., Les échanges artistiques entre lÉgypte et les pays musulmans occidentaux, in Hesperis, 1934.
- Markus Hattstein, Peter Delius, Arts et Civilisations de lIslam, Köneman, 2000.
- Maoudoud Khaled, Kairouan, Tunis, 1991.
- Paccard André, Traditional Islamic Craft in Moroccan Architecture, 2 Vol., Saint-Jorioz, 1980.
- Peltre Christine, Orientalism in Art, New york, 1998.
- Rachida Alaoui, Castumes et parures du Maroc, ACR Edition, Paris, 2003.



- Rice D. S., Studies in Islamic Metalwork – V, BSOAS, XVII/2, 1955.
- Ricard P., Pour comprendre l'art Musulman dans l'Afrique du Nord et en Espagne, paris, 1924.
- Robinson B. W. and Others, Islamic Art in the Keir Collection, London, 1988.
- Sijelmassi M., Les arts traditionnels marocains, Genève, Suisse, 2002.
- Sijelmassi Mohamed, Fès cité de l'art et du savoir, ACR édition, Fondation ONA, Paris, 1991.
- Stierlin Henri, Islam de Bagdad à Cordouve des origines au XIIIe Siècle, Taschen, 2002.
- Terrasse H., & J. Hainaut, Les arts décoratifs du Maroc, éd. H. Laurens, Paris, 1925.
- Terrasse H., Le décor des portes anciennes du Maroc, in Hesperis, T. III, 1923, P. 147-174.
- Terrasse H., Minbars anciens du Maroc , in Mélanges dhistoire et darchéologie de lOccident musulman, T. II, imprimerie officielle de lAlgérie, Alger, 1957.
- Terrasse H., La grande mosquée de Taza, les éditions dart et dhistoire, Paris, 1971.
-Terrasse H., Lart de lempire Almoravide: ses sources et son évolution , in Studia Islamica, III, Larose, Paris, 1955
- Terrasse H., La mosquée al-Qaraouiyine à Fès, Archéologie méditeranéenne, III, C. Clincksieck, Paris, 1968
- Terrasse H., La mosquée des Andalous à Fès, éditions dart et dhistoire, Paris, 1942.

- Terrasse H., Taza notice historique et archéologique, Bulletin de l'Enseignement Public, n°171,1942.

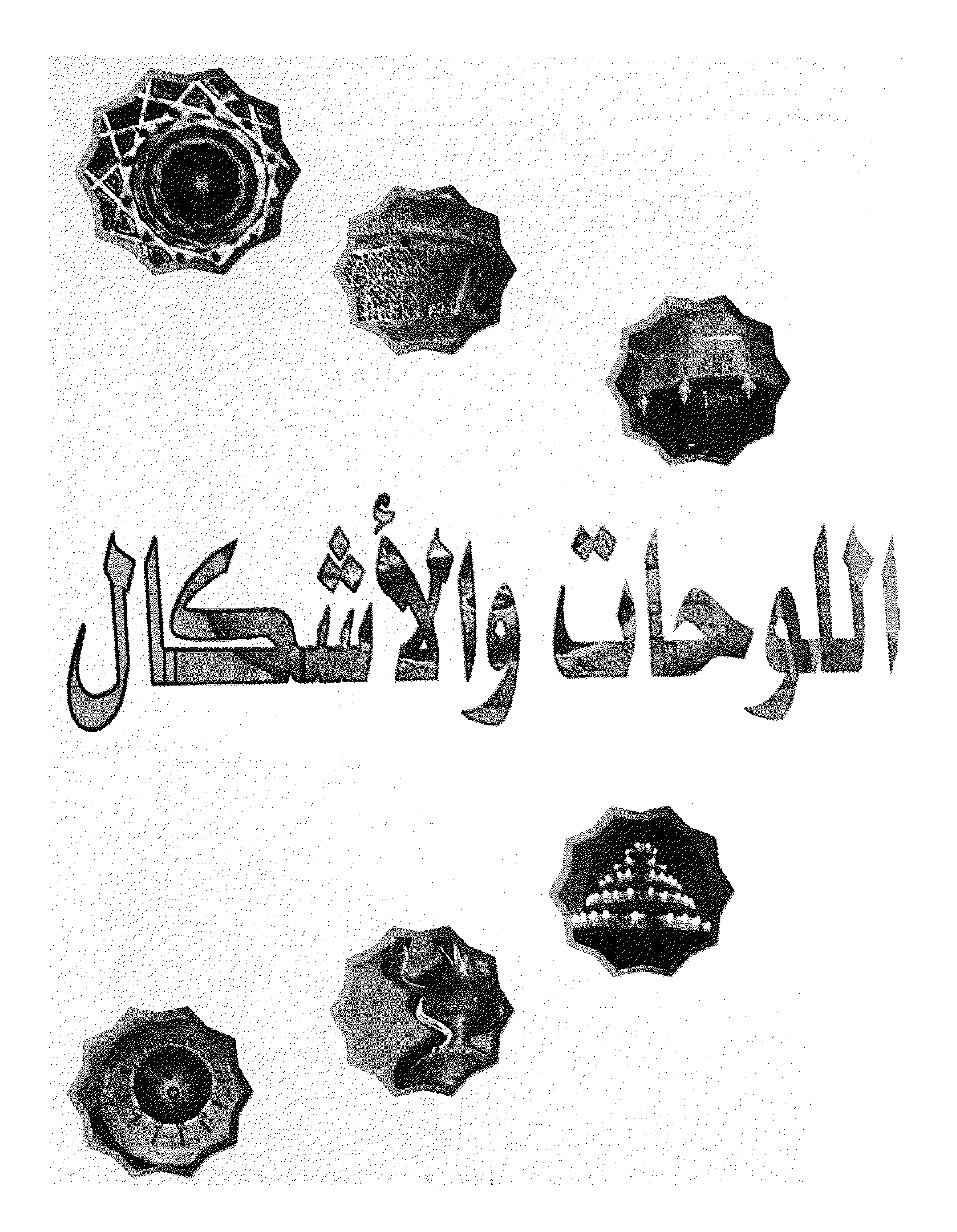
- Terrasse M., Le mobilier mérinide, in B.A.M., T. X, 1976.

- Ward R., Islamic Metalwork, British Museum, 1993.

- Zozaya J., Lampara, Art islámico en Granada, Propuesta para un museo de la Alhambra, Grenade, n° 187, 1995.

مطابع آمون

٤ ش الفيروز متفرع من إسماعيل أباظة
لاظوغلى ـ القاهرة
تليفون : ٢٧٩٤٤٥١٧ ـ ٢٧٩٤٤٣٥٦


اللوحات والأشكال

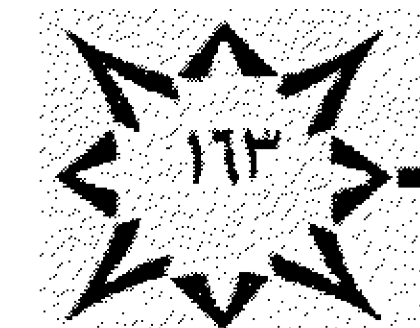
أولاً : اللوحات

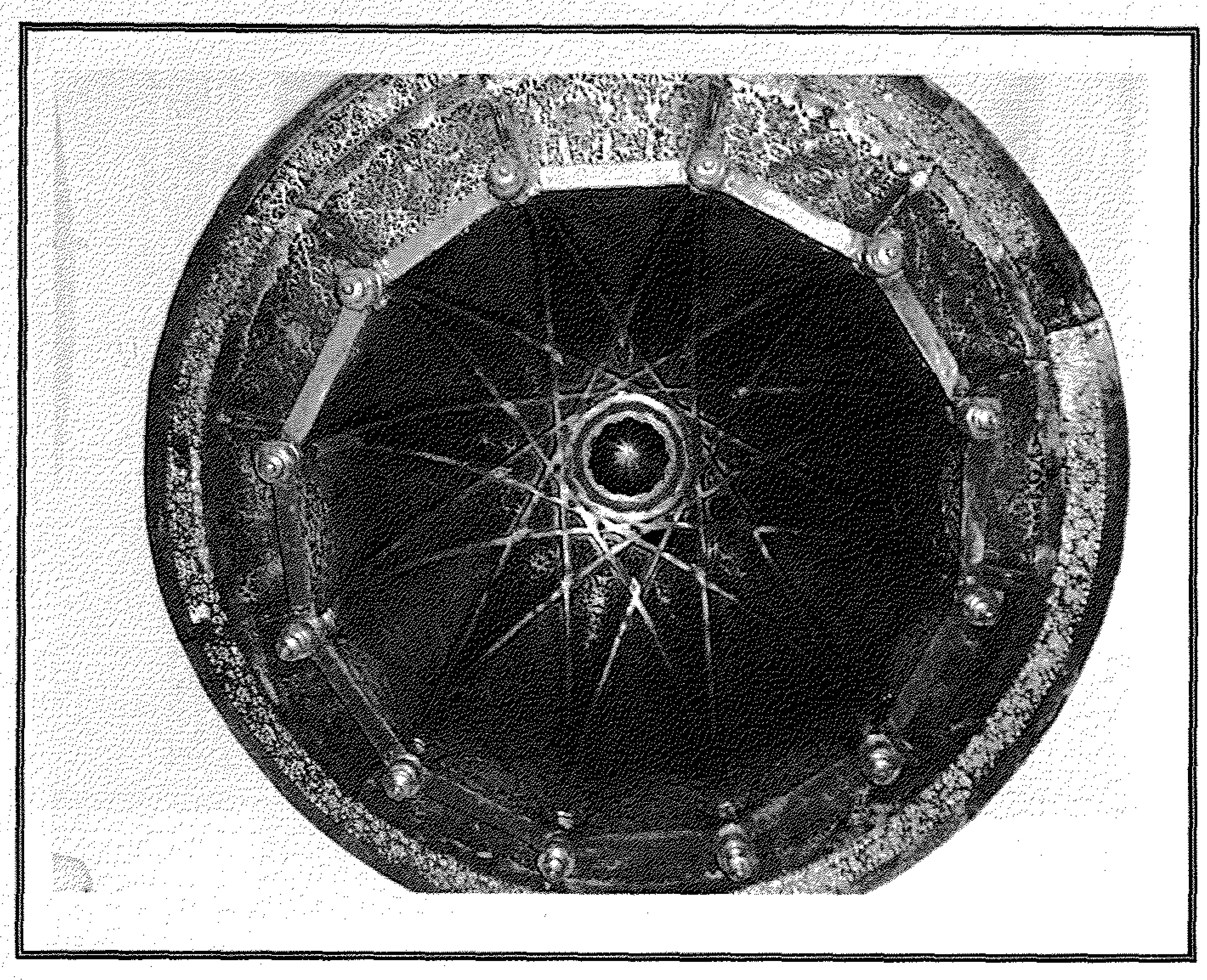


(لوحة رقم ١) الثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة رقم ٢) الثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»

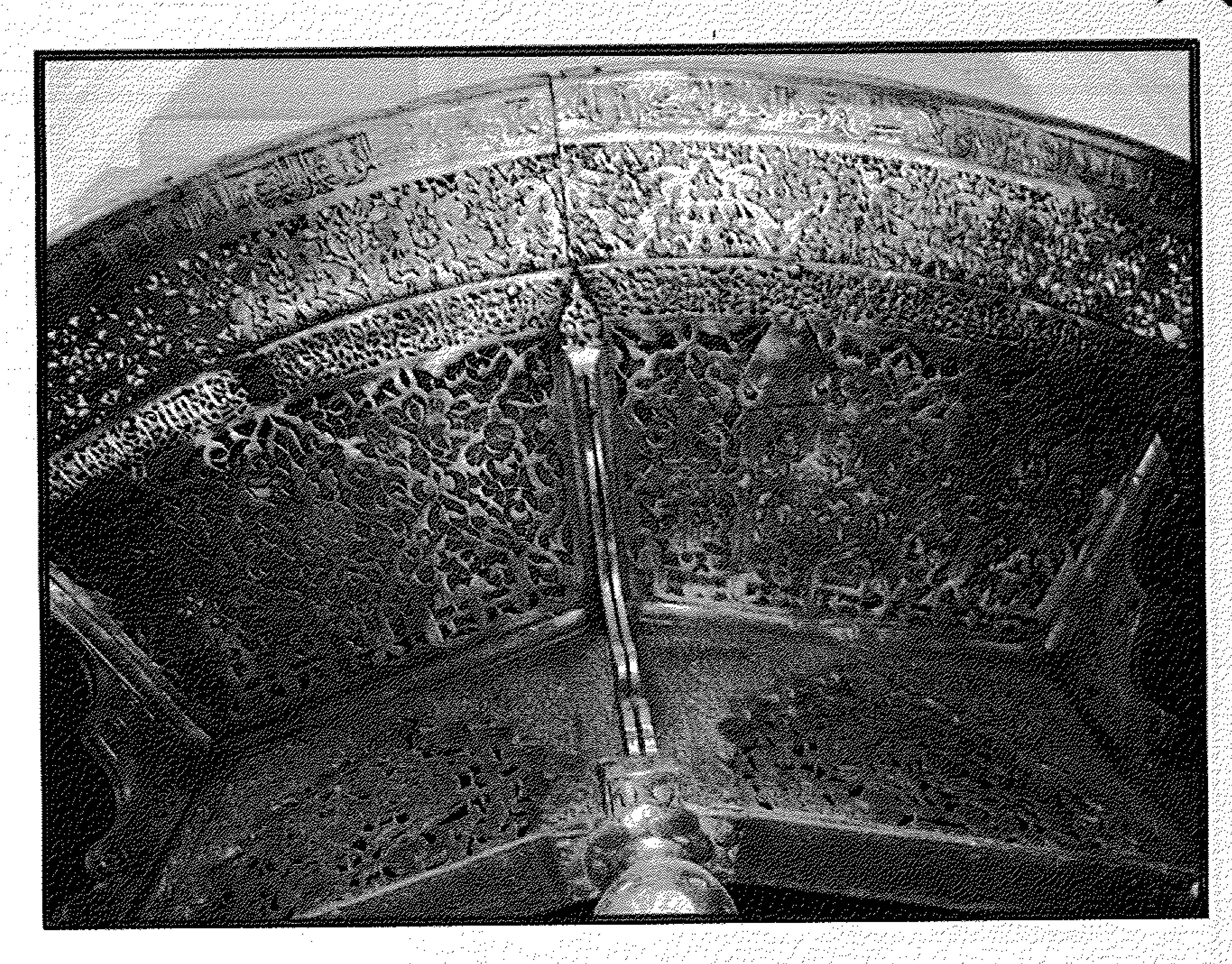




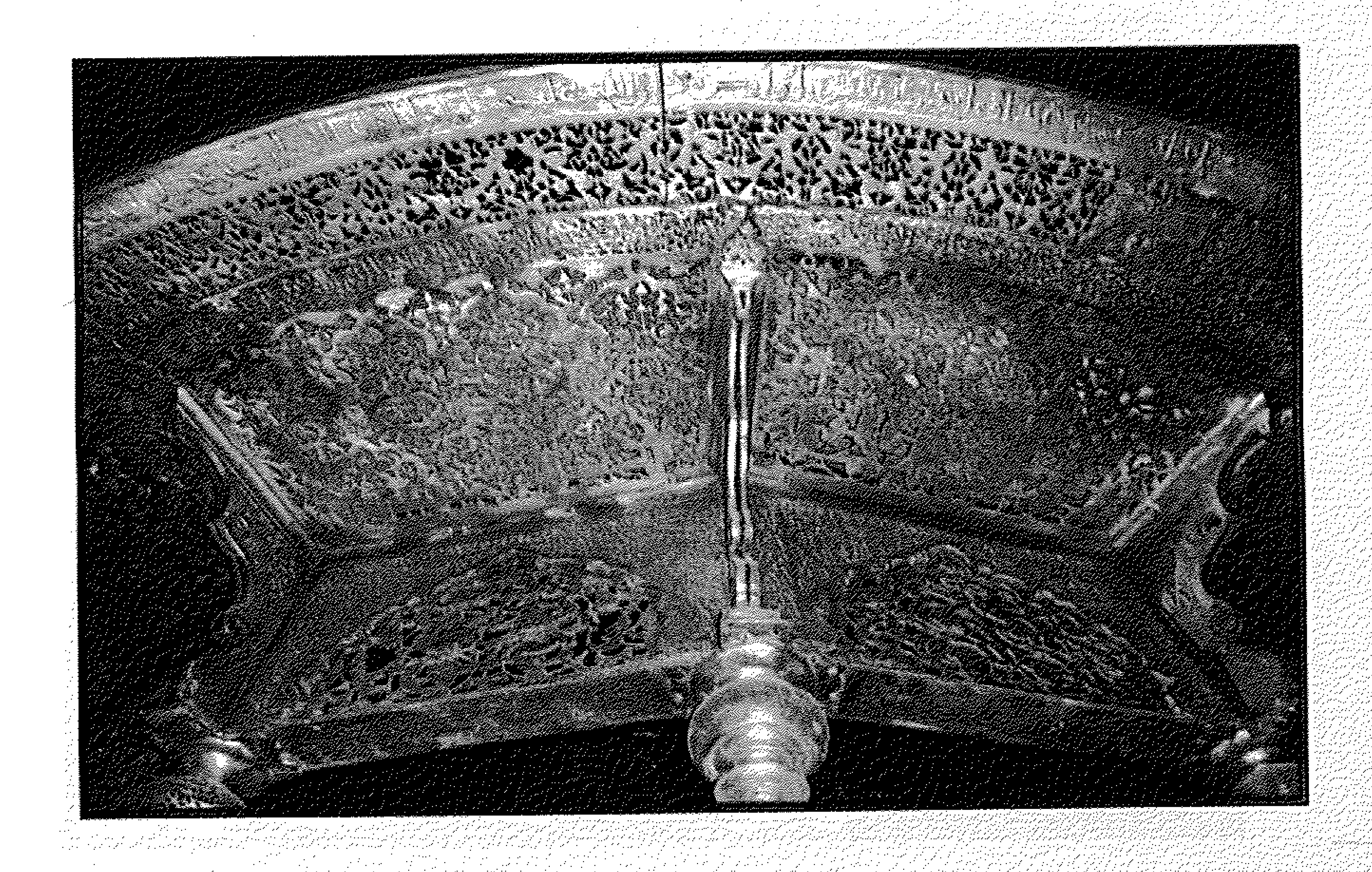
(لوحة ٣) تفاصيل الثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



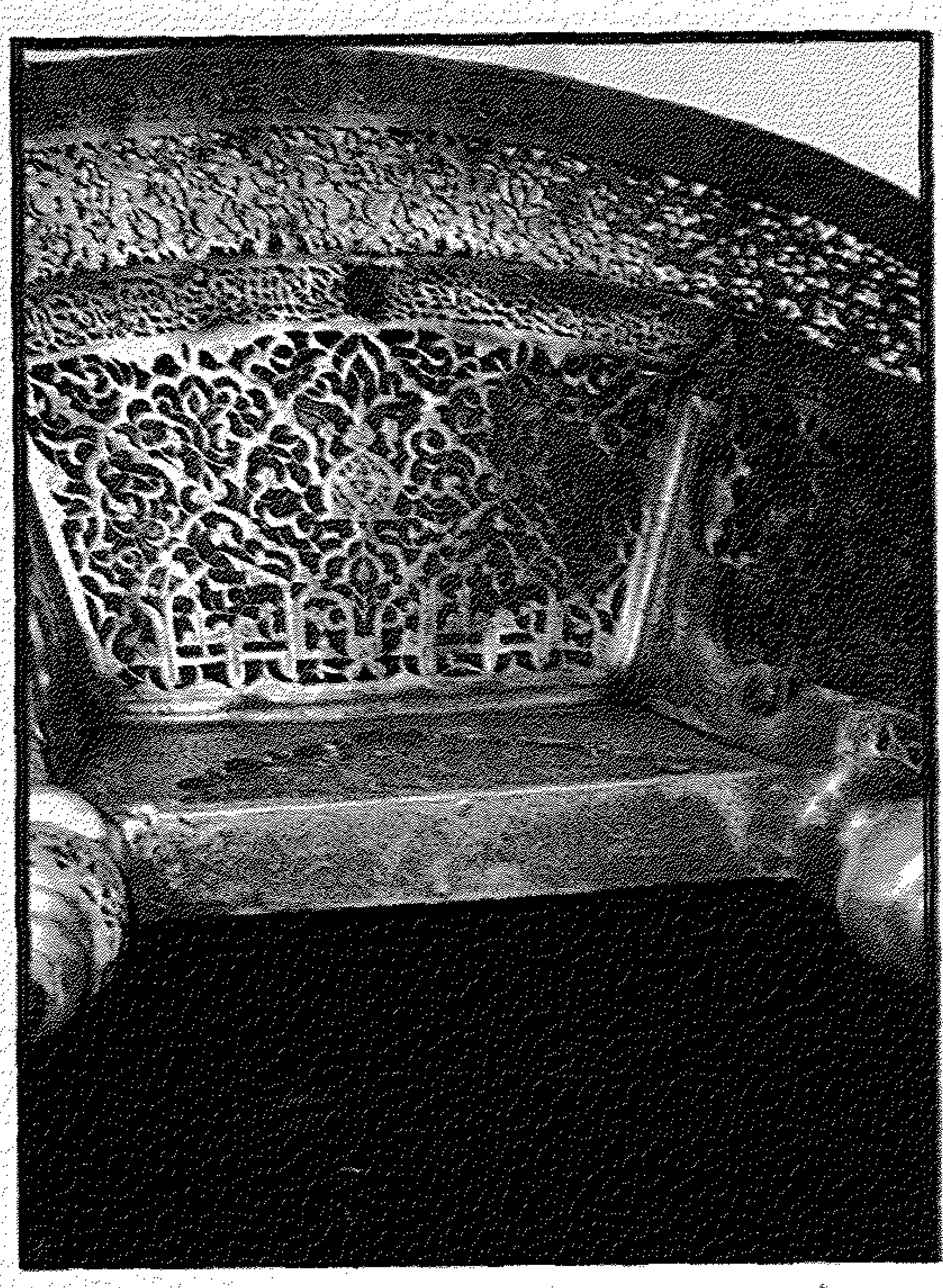
(لوحة ٤) تفاصيل الثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٥) تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



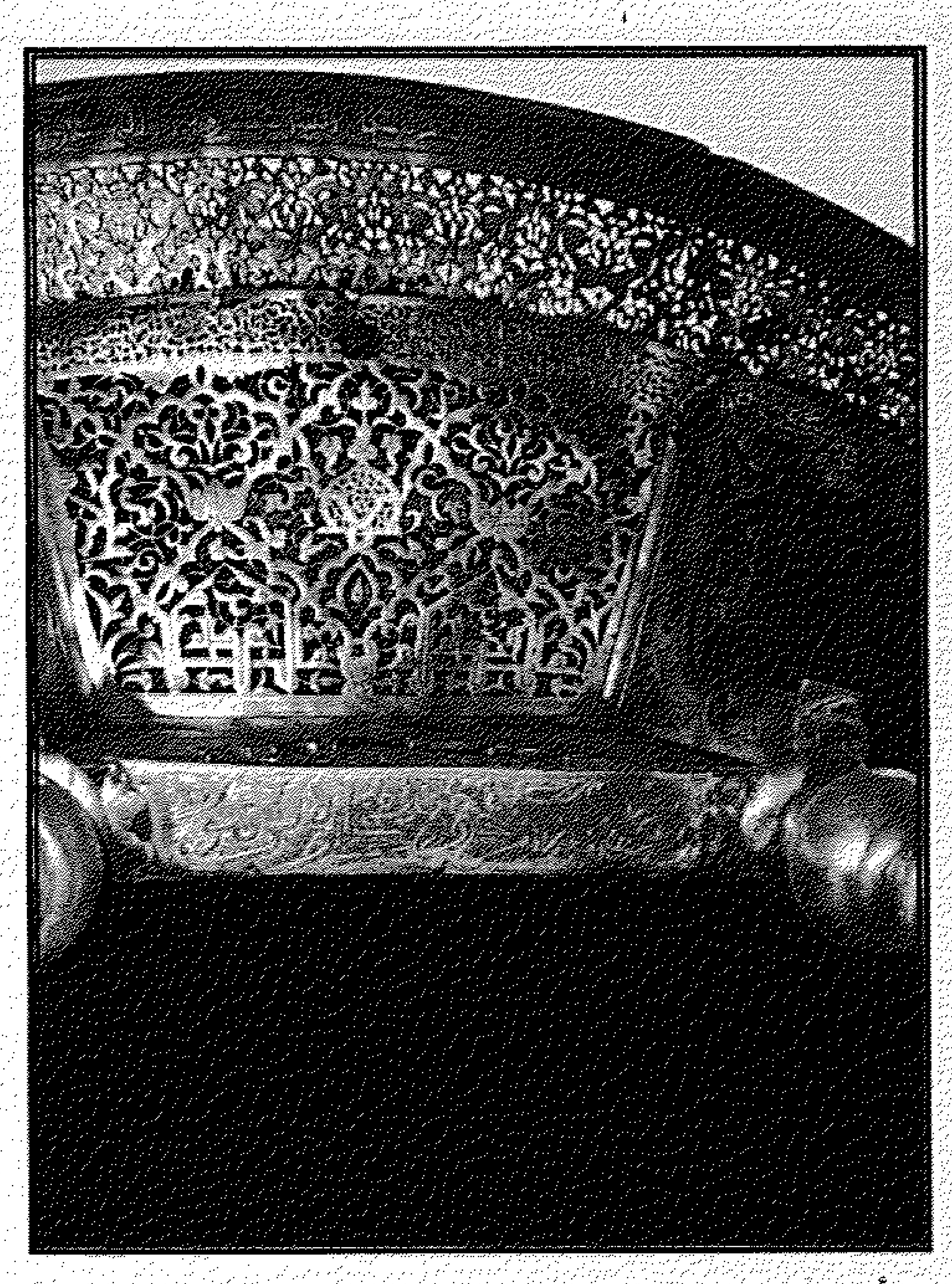
(لوحة ٦) تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



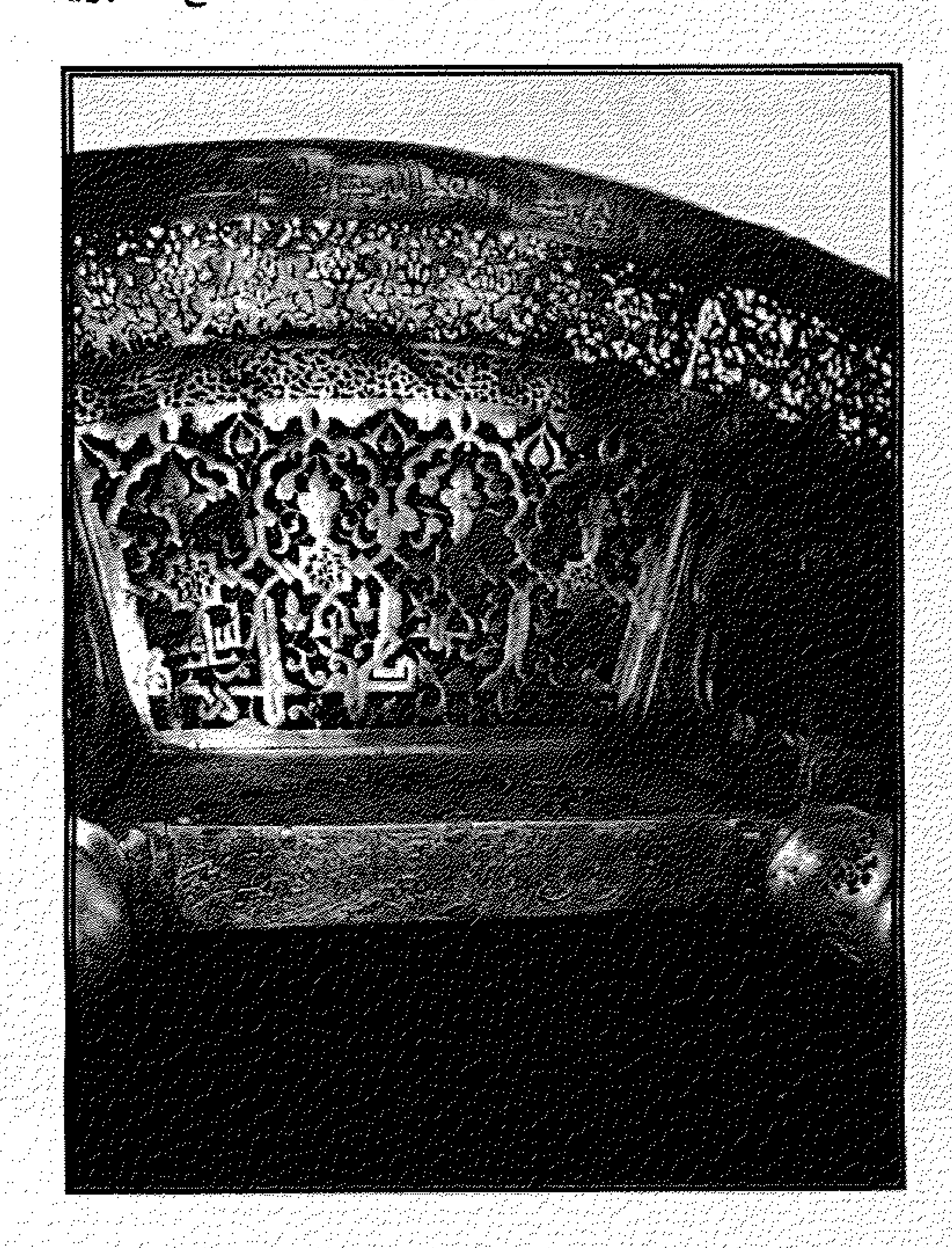
(لوحة ٧) تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



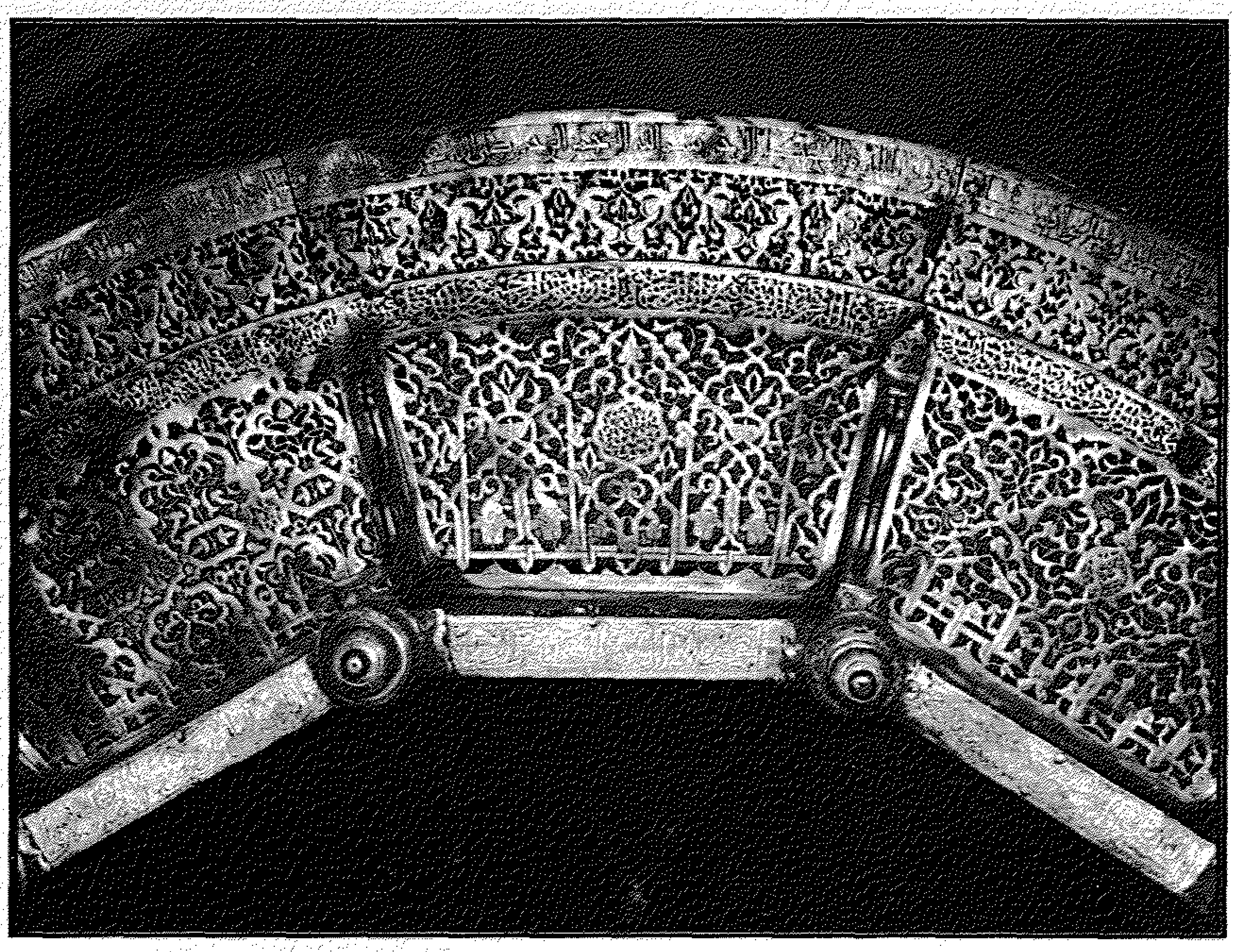
(لوحة ٨) تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



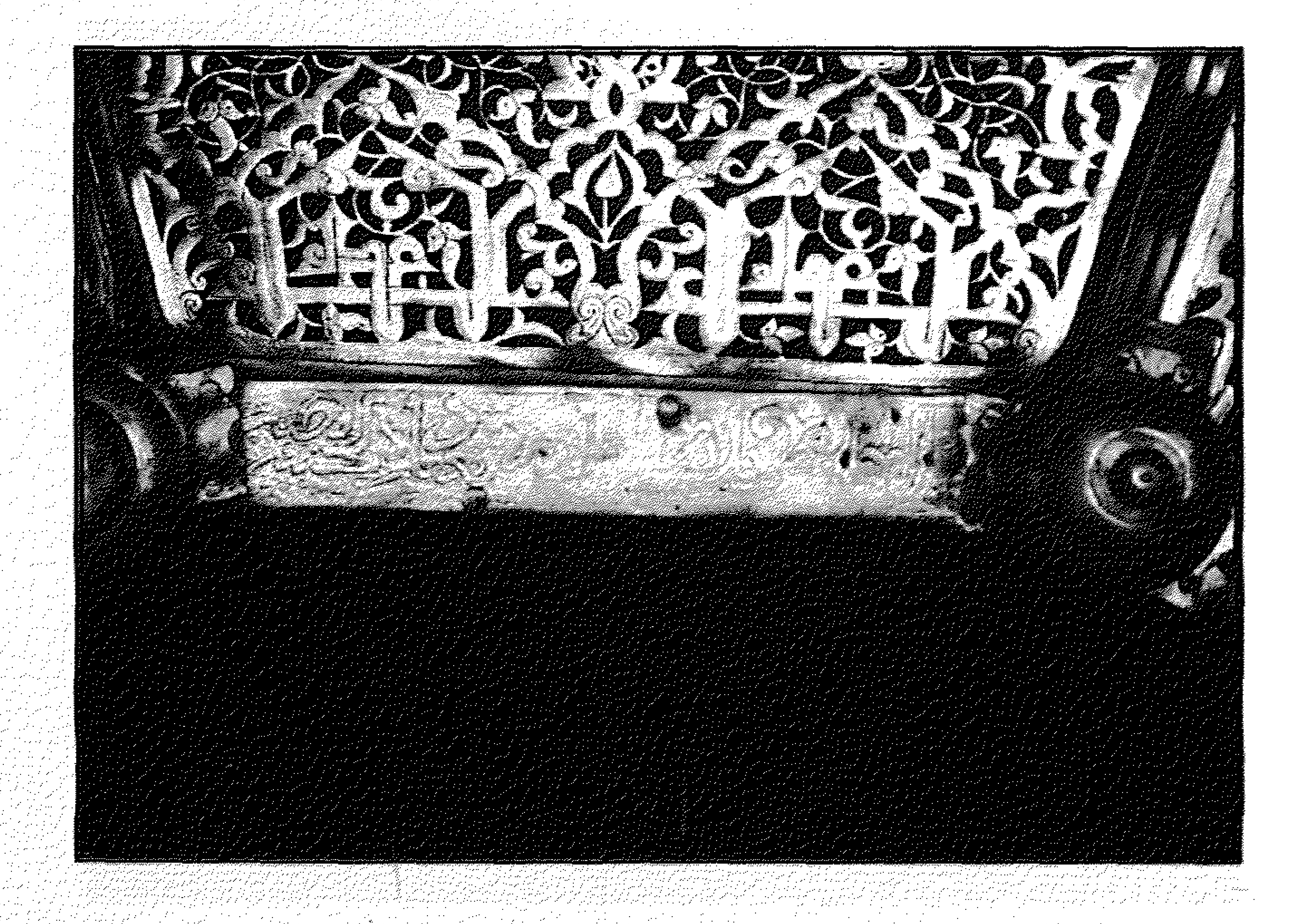
(لوحة ٩) تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ١٠) تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



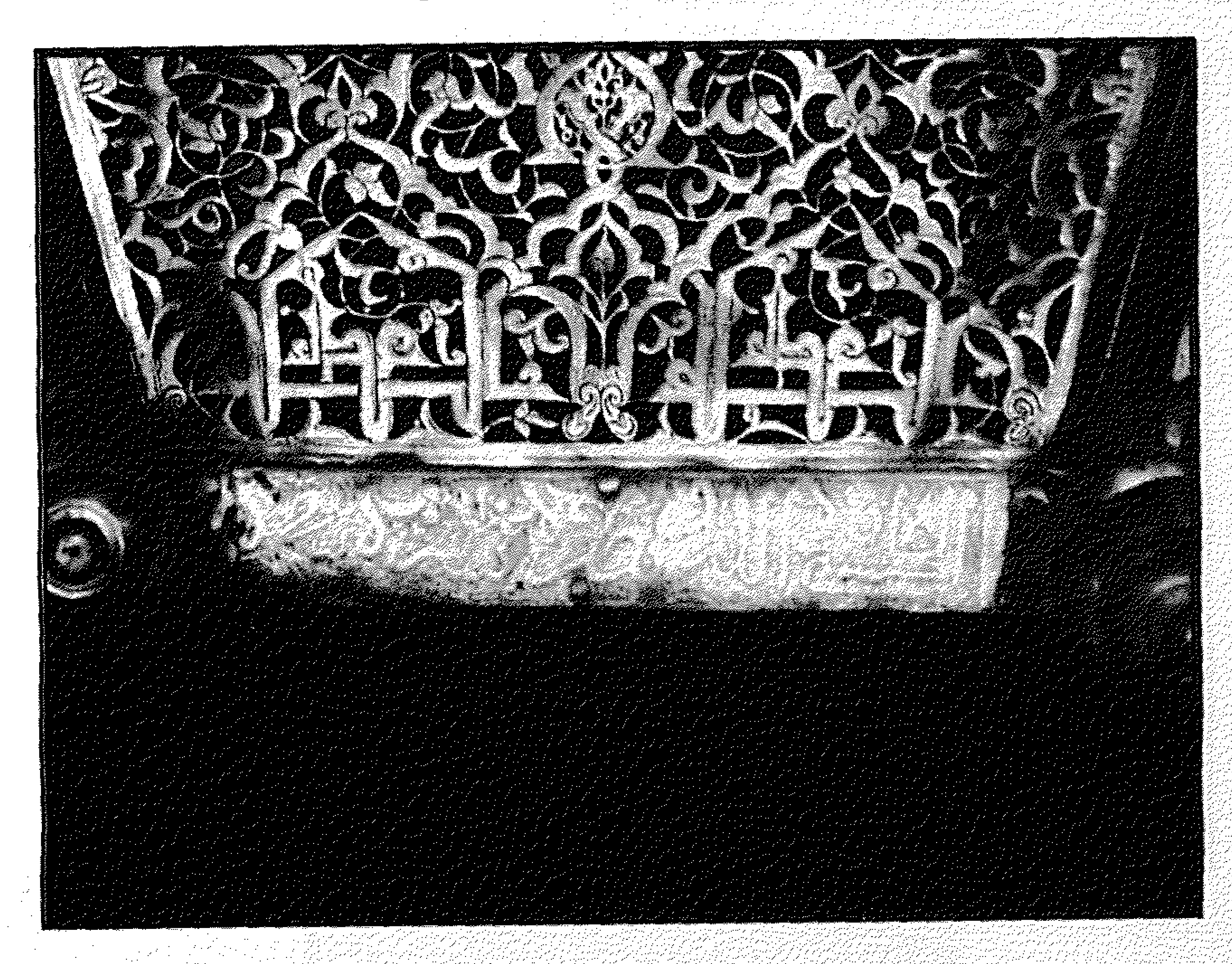
(لوحة ١١) تفاصيل الأشرطة الكتابية بالثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



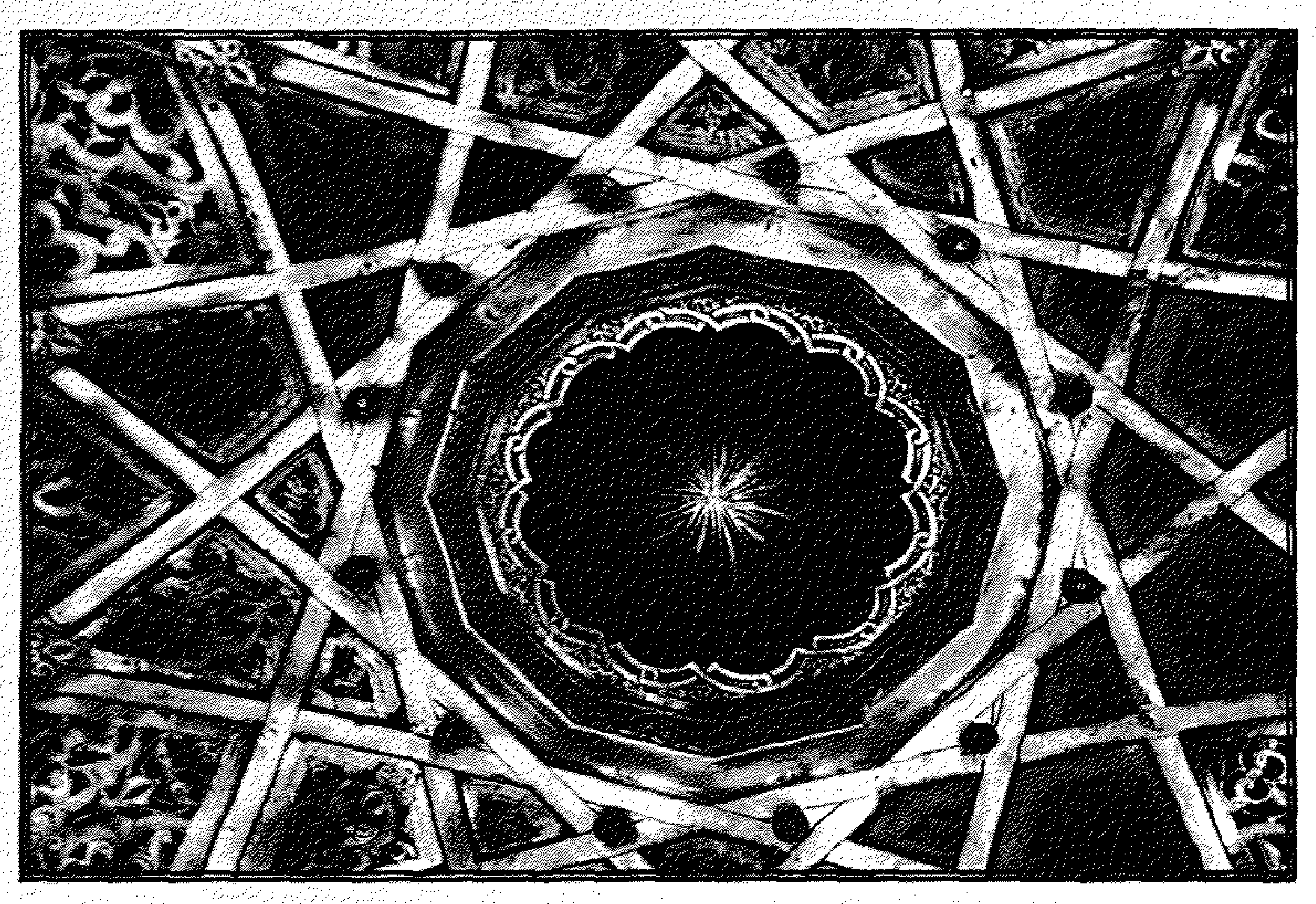
(لوحة ١٢) تفاصيل الأشرطة الكتابية بالثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



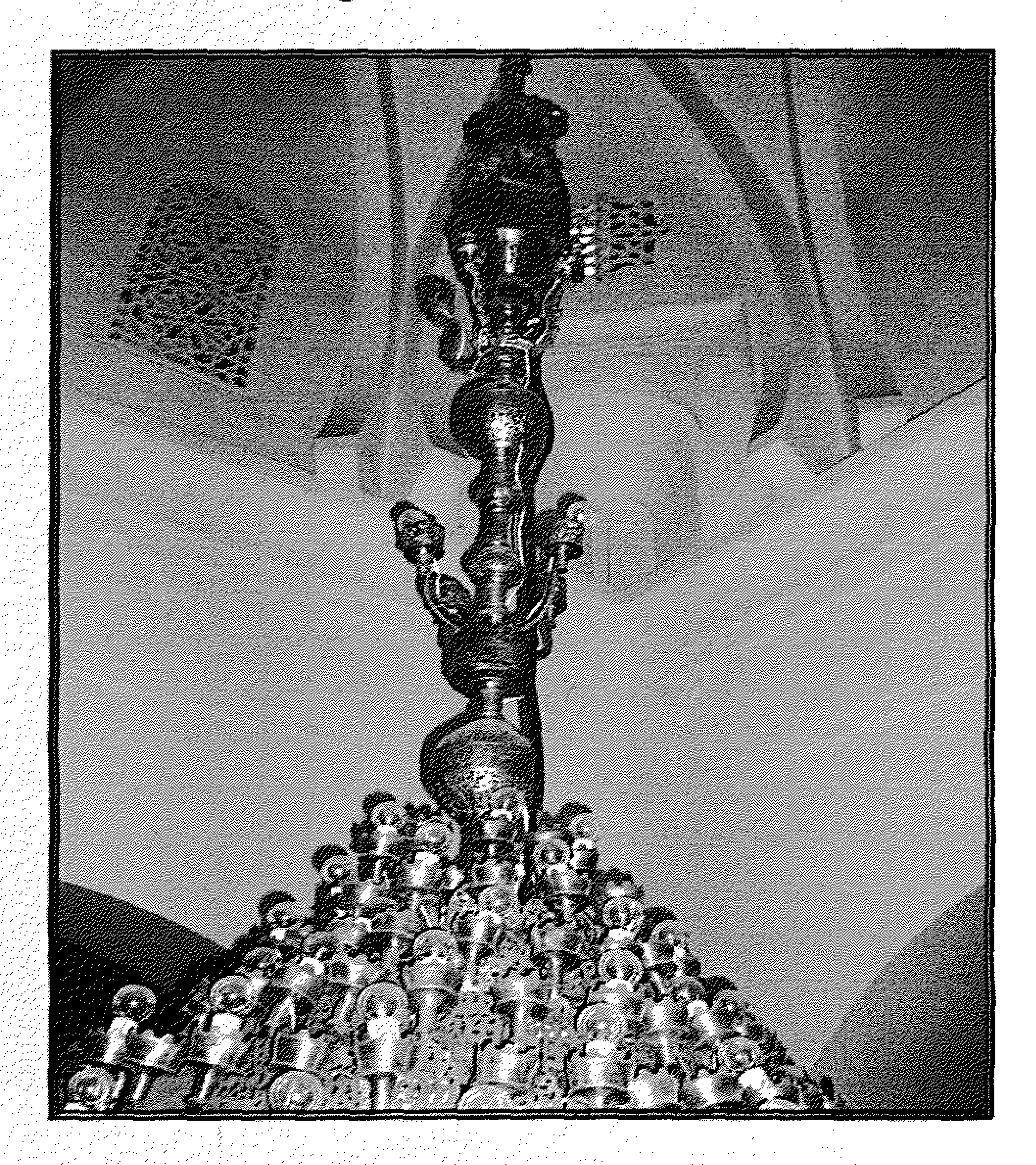
(لوحة ١٣) تفاصيل الأشرطة الكتابية بالثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



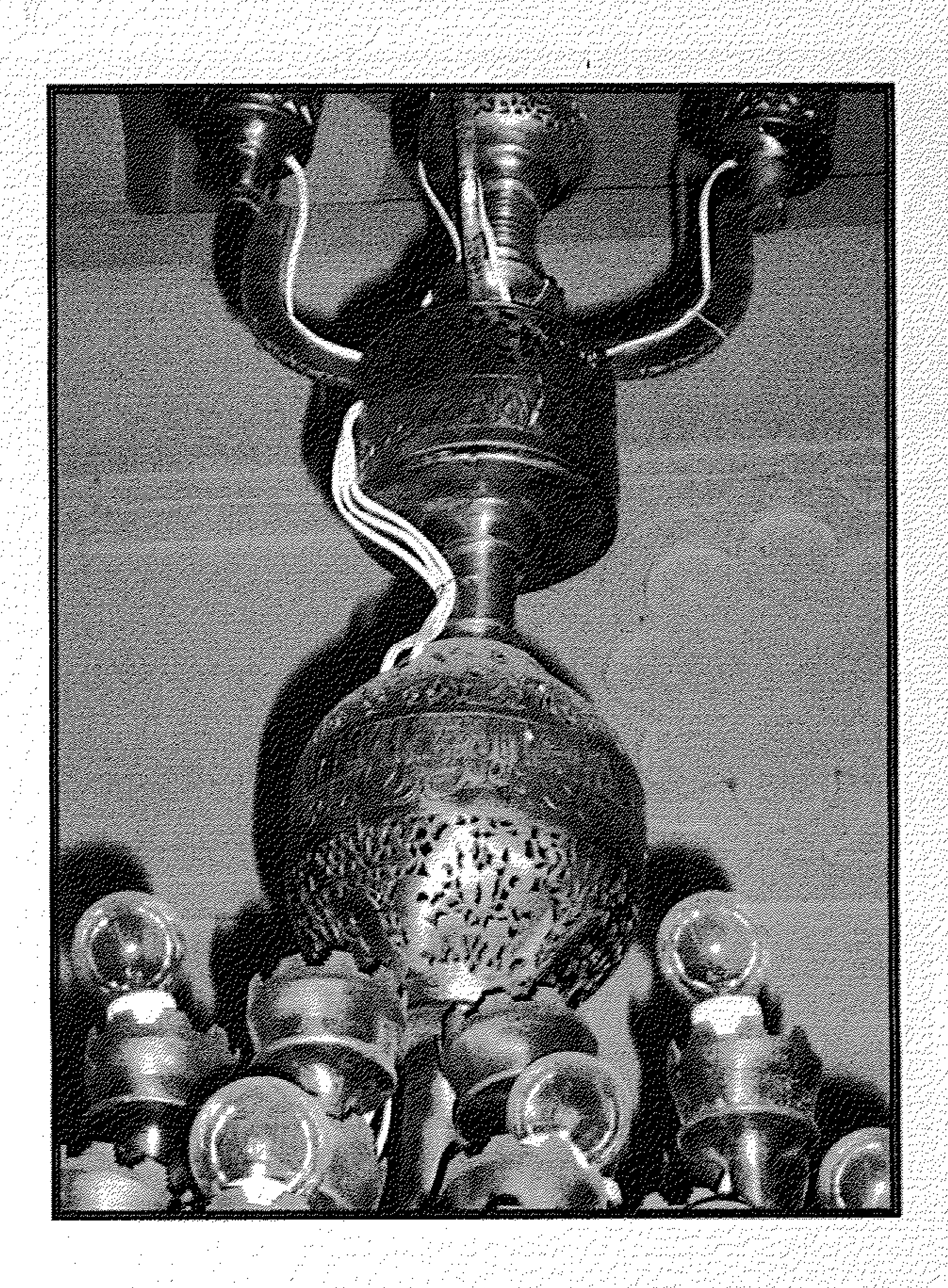
(لوحة ١٤) تفاصيل الأشرطة الكتابية بالثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



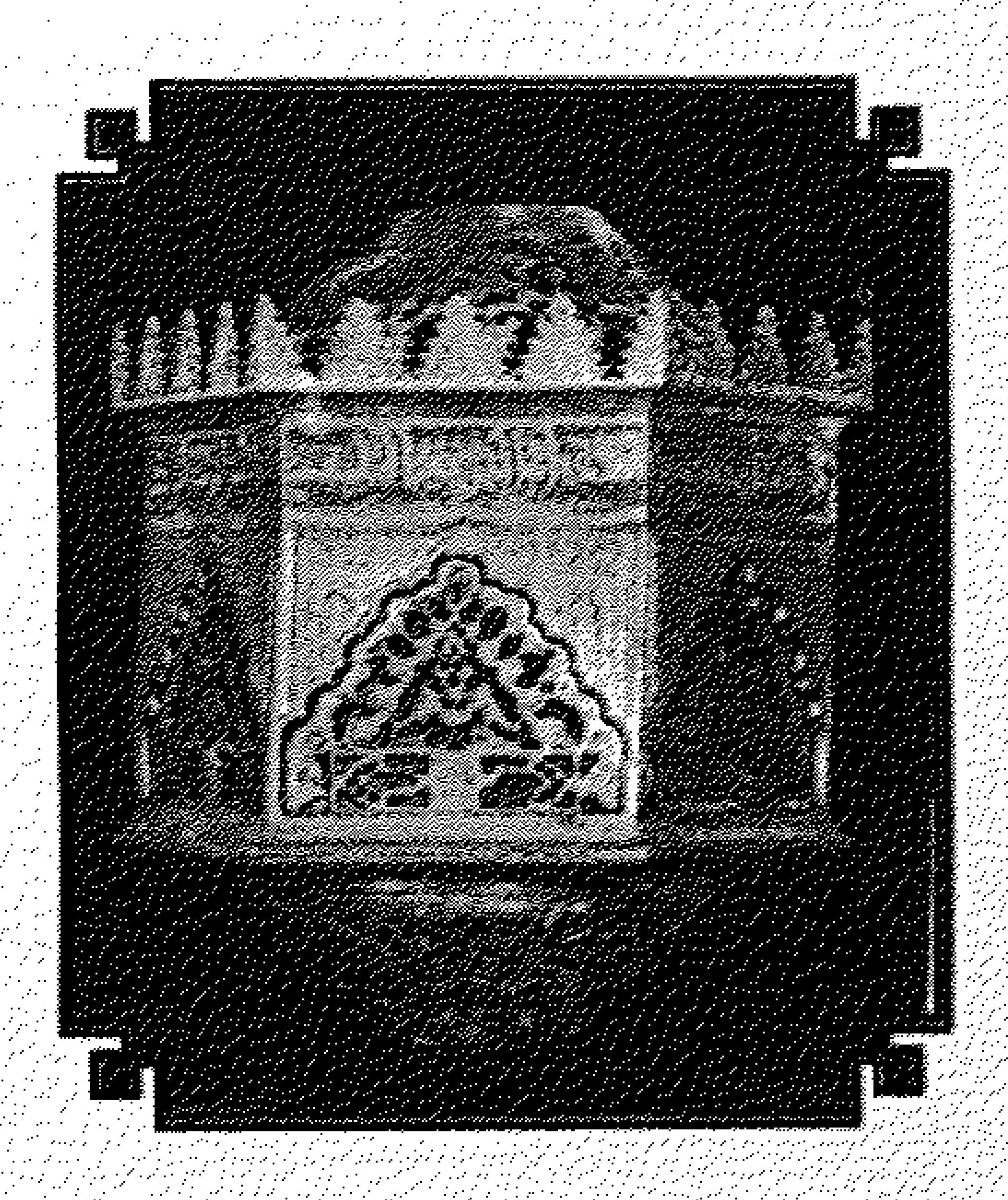
(لوحة ١٥) تفاصيل داخل قبة الثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



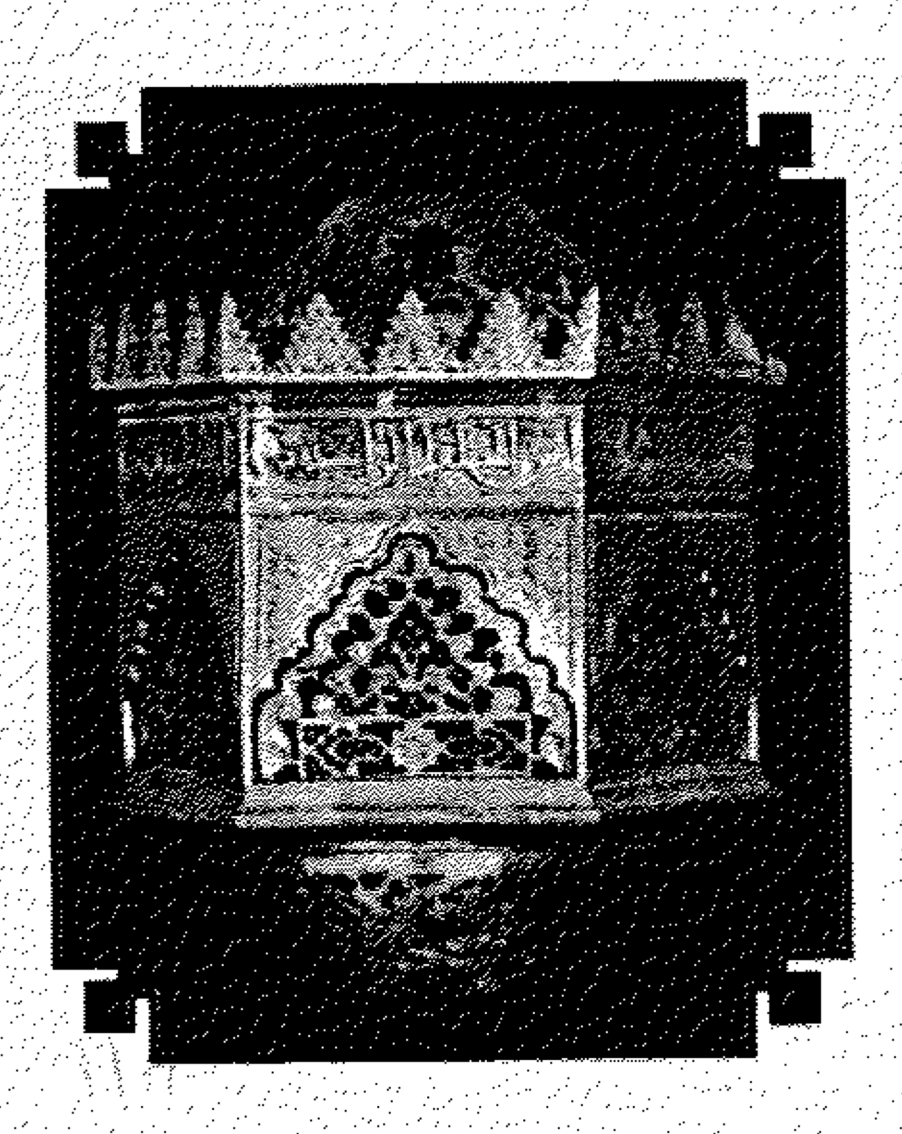
(لوحة ١٦) ساق الثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



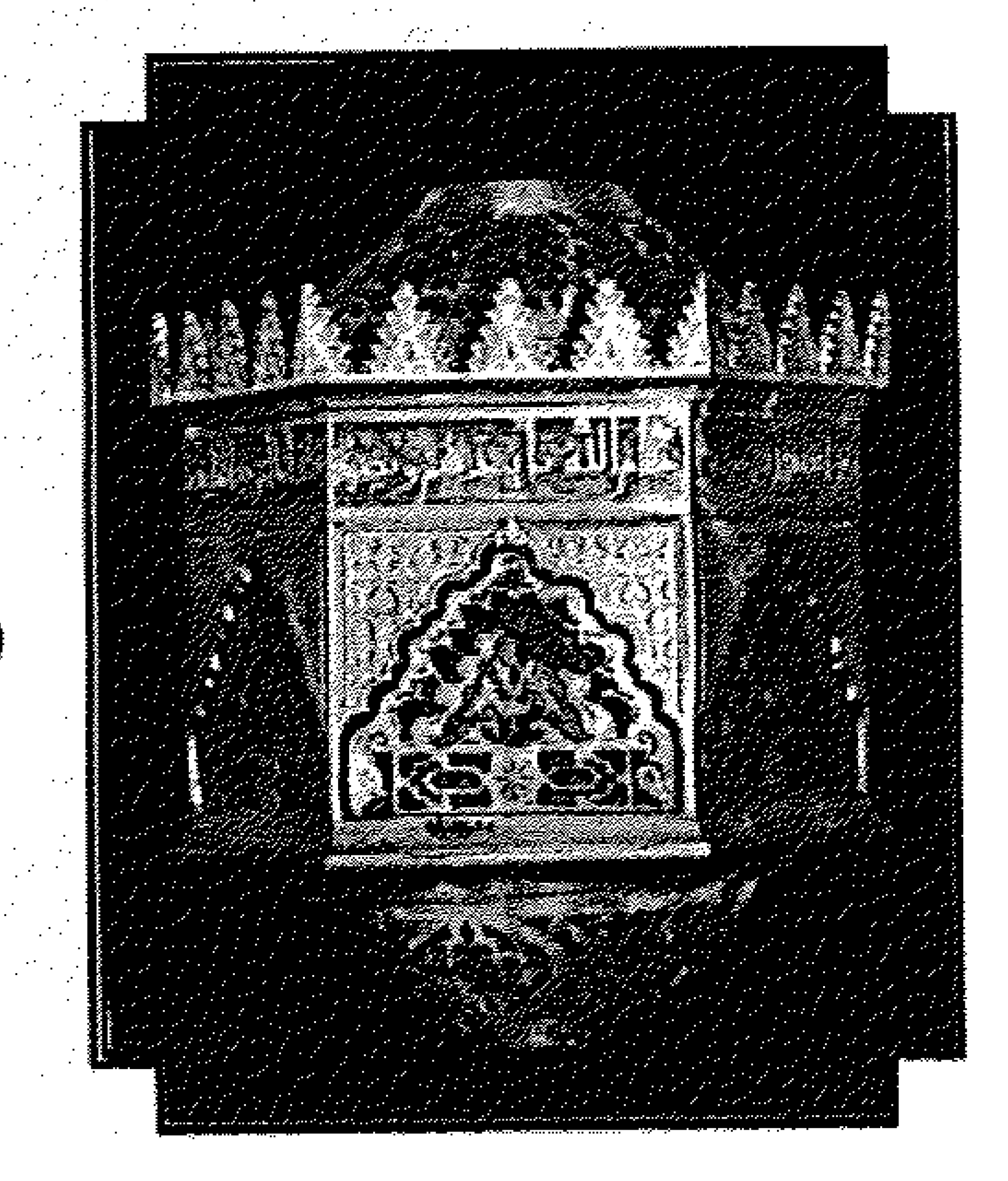
(لوحة ١٧) تفاصيل النصوص الكتابية على ساق الثريا الكبرى في جامع القرويين «تصوير الباحث»



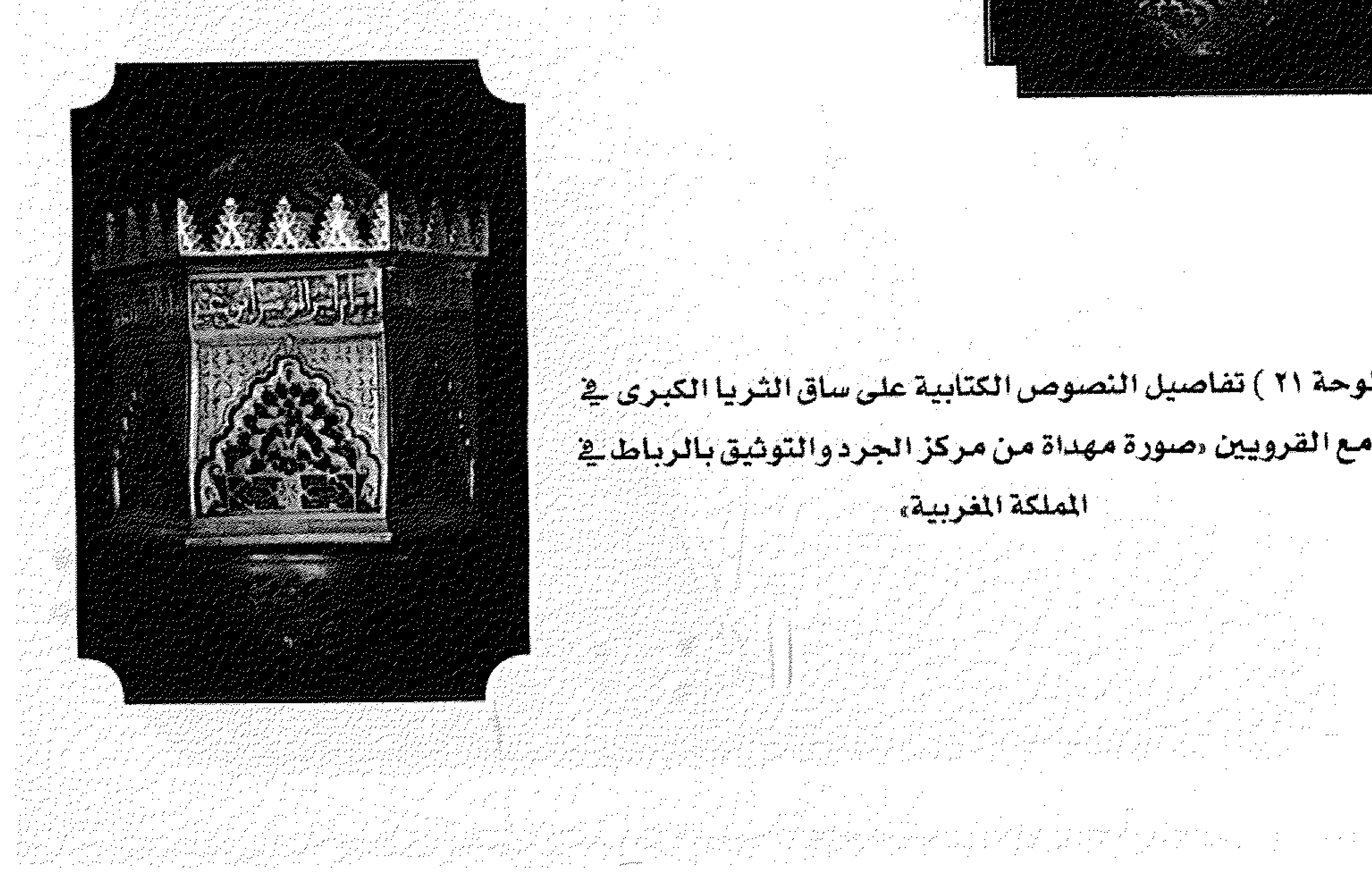
(لوحة ١٨) تفاصيل النصوص الكتابية على ساق الثريا الكبرى في جامع القرويين «صورة مهداة من مركز الجرد والتوثيق بالرباط في المملكة المغربية»



(لوحة ١٩) تفاصيل النصوص الكتابية على ساق الثريا الكبرى في جامع القرويين «صورة مهداة من مركز الجرد والتوثيق بالرباط في المملكة المغربية»



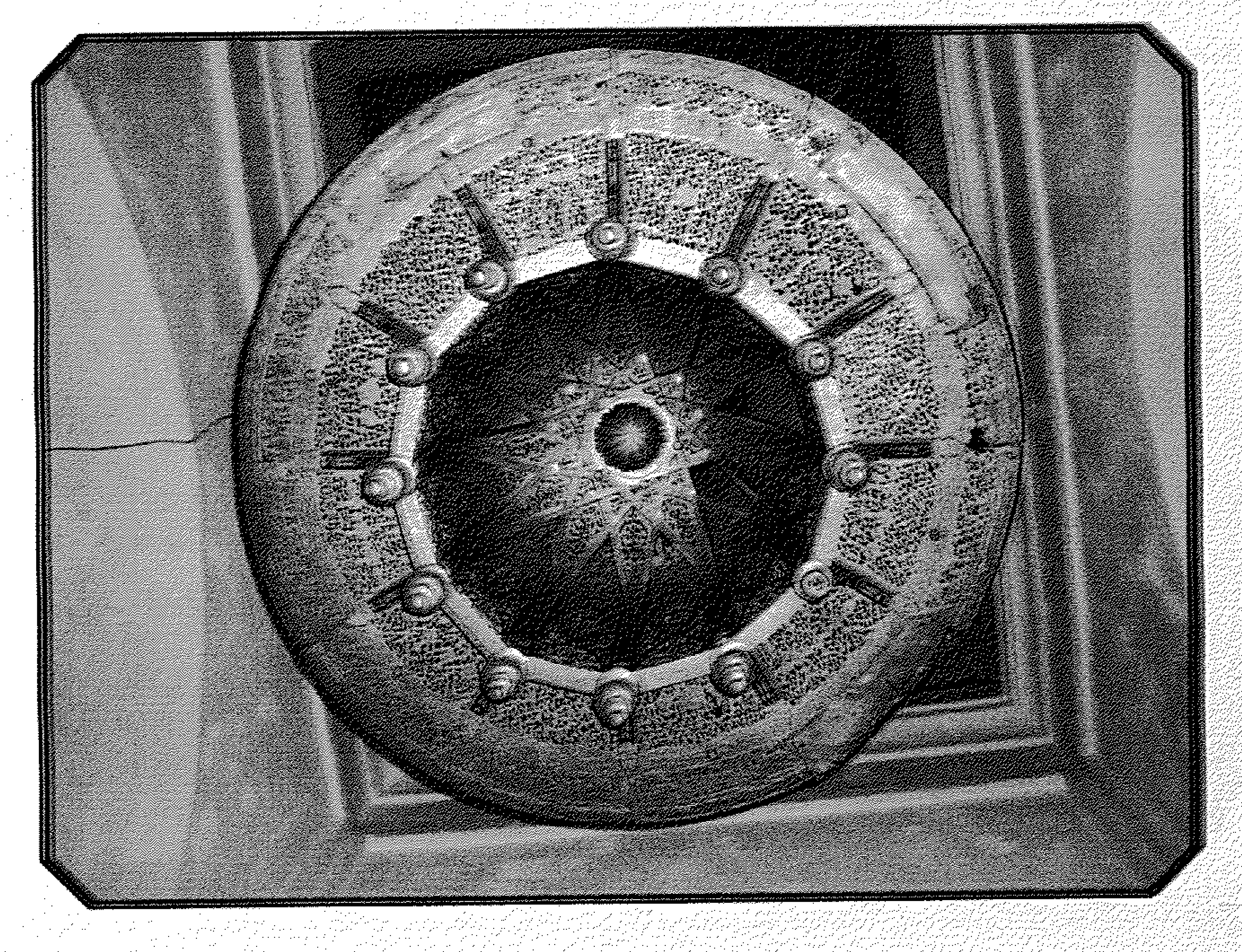
(لوحة ٢٠) تفاصيل النصوص الكتابية على ساق الثريا الكبرى في جامع القرويين «صورة مهداة من مركز الجرد والتوثيق بالرباط في المملكة المغربية»



(لوحة ٢١) تفاصيل النصوص الكتابية على ساق الثريا الكبرى في جامع القرويين «صورة مهداة من مركز الجرد والتوثيق بالرباط في المملكة المغربية»



(لوحة ٢٢) الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



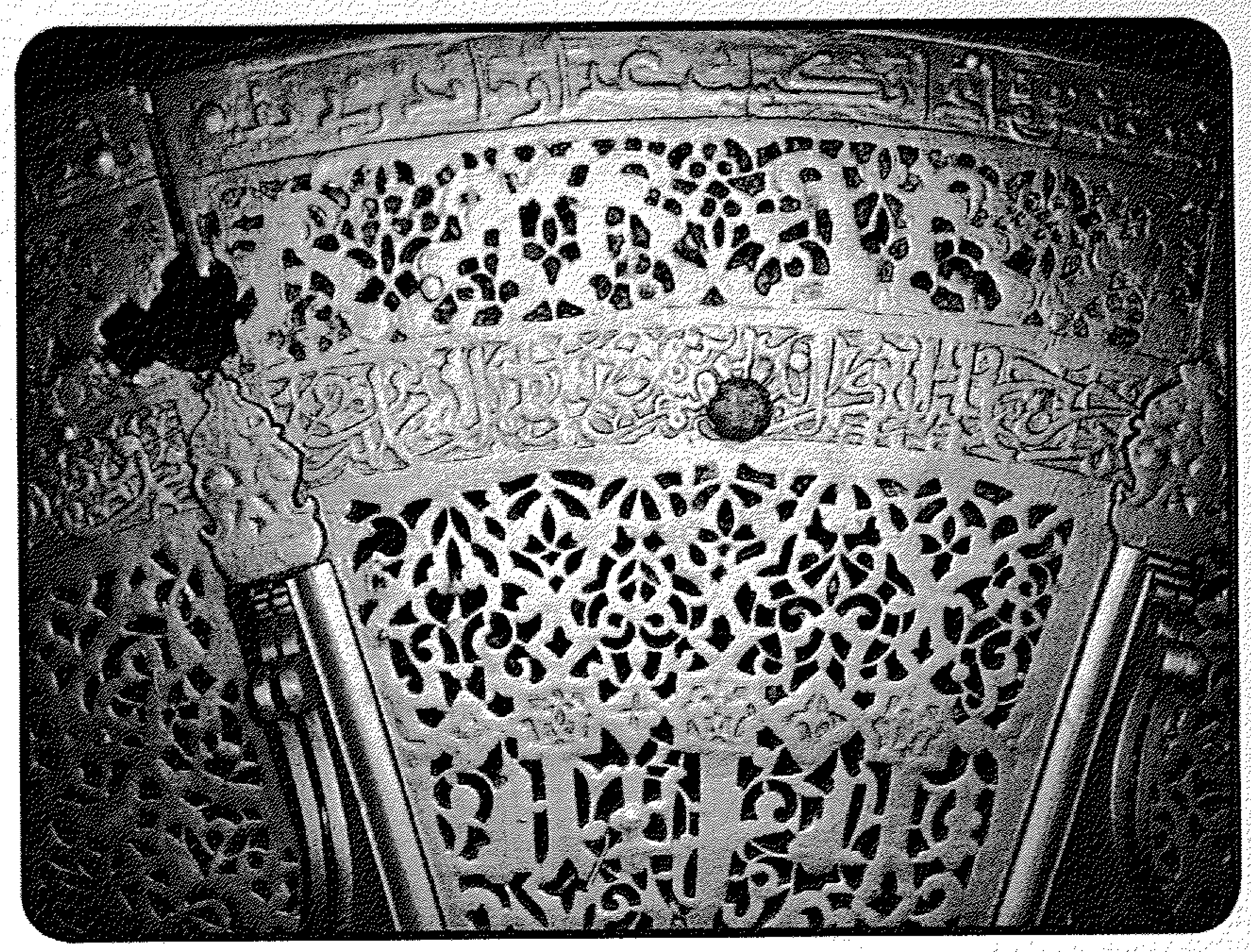
(لوحة ٢٣) الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



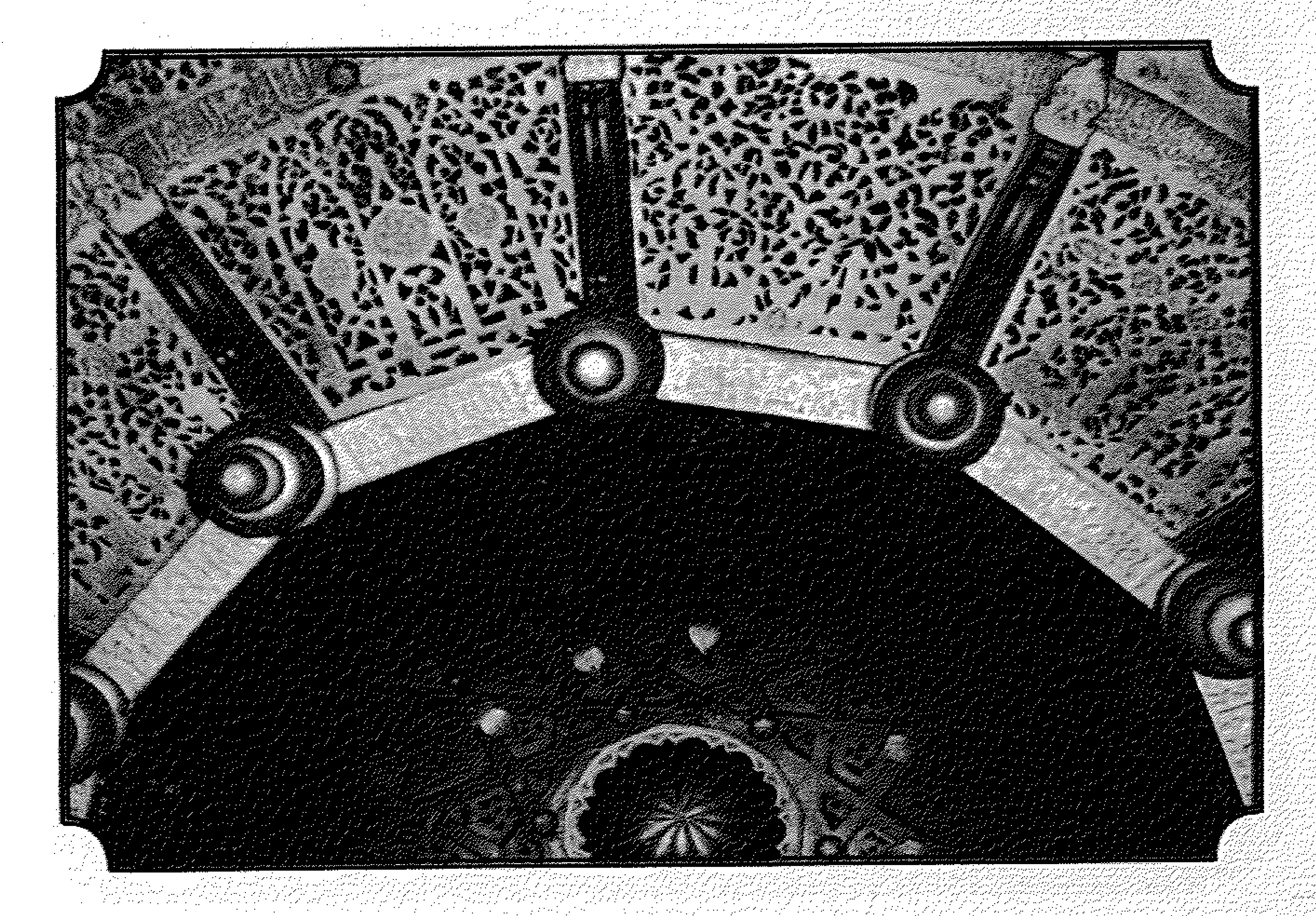
(لوحة ٢٤) تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



(لوحة ٢٥) تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



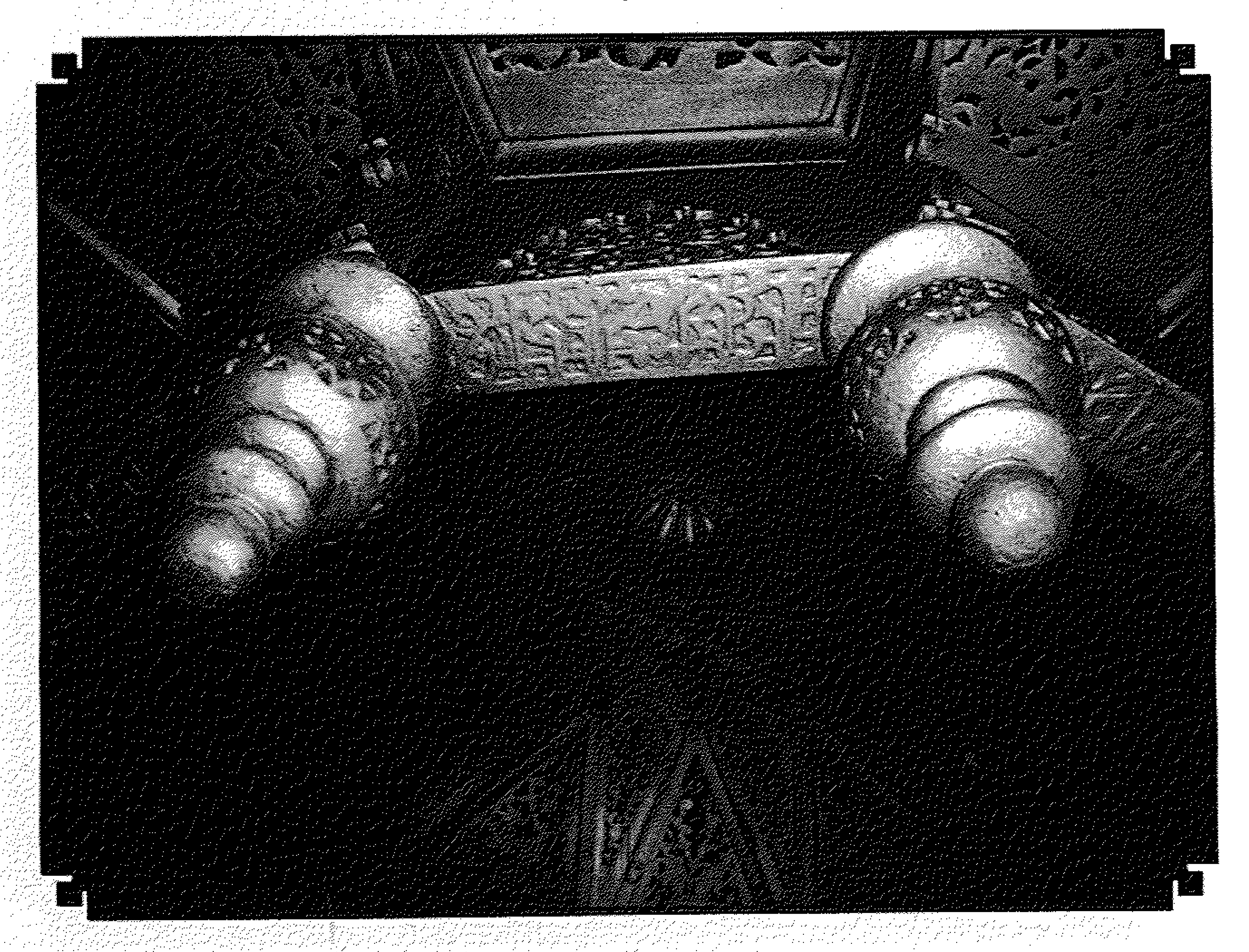
(لوحة ٢٦) تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



(لوحة ٢٧) تفاصيل الأشرطة الزخرفية بالثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



(لوحة ٢٨) تفاصيل النصوص التسجيلية بالدائرة السفلية في الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



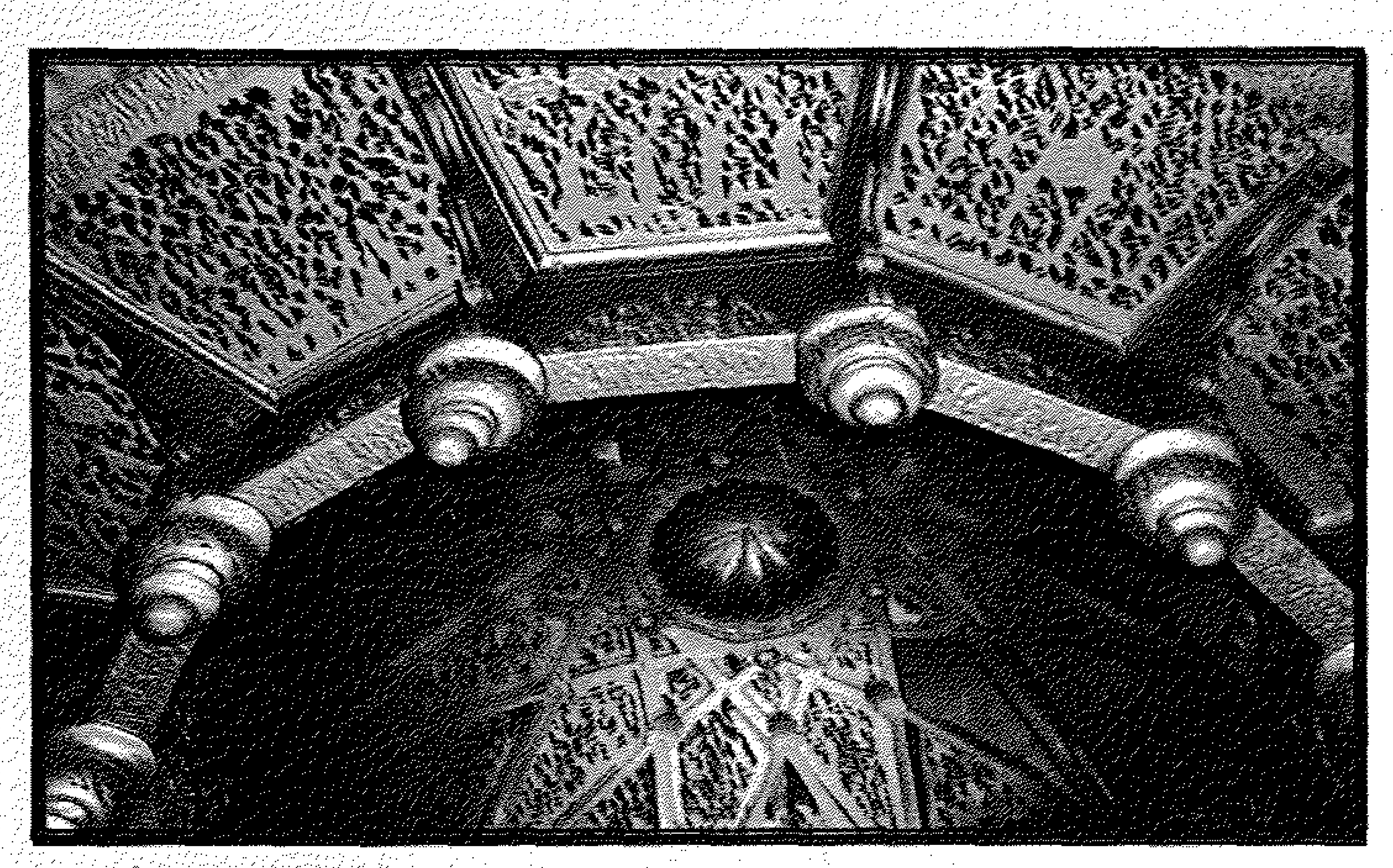
(لوحة ٢٩) تفاصيل النصوص التسجيلية بالدائرة السفلية في الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



(لوحة ٣٠) تفاصيل النصوص التسجيلية بالدائرة السفلية في الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



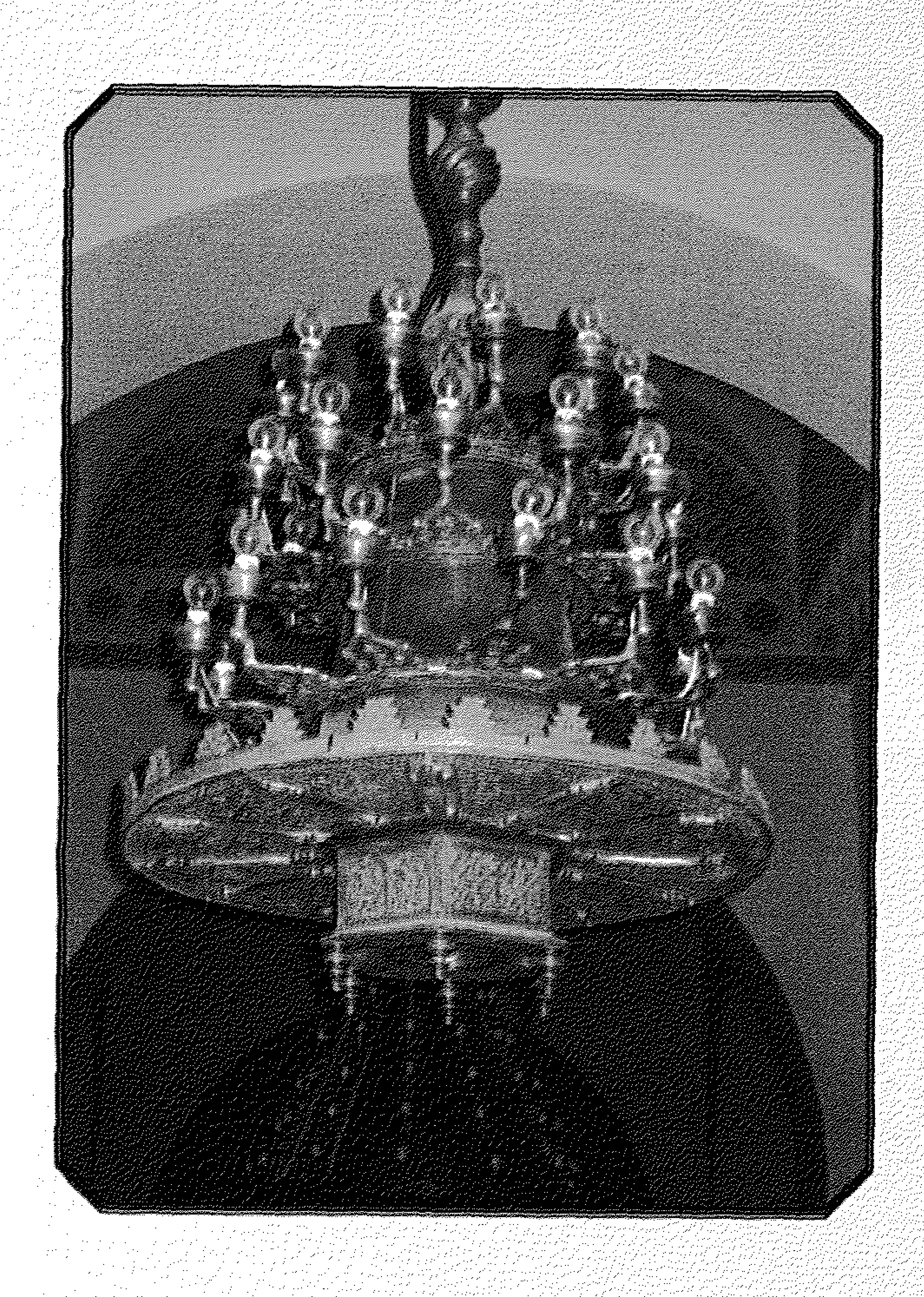
(لوحة ٣١) تفاصيل النصوص التسجيلية بالدائرة السفلية في الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



(لوحة ٣٢) تفاصيل النصوص التسجيلية بالدائرة السفلية في الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



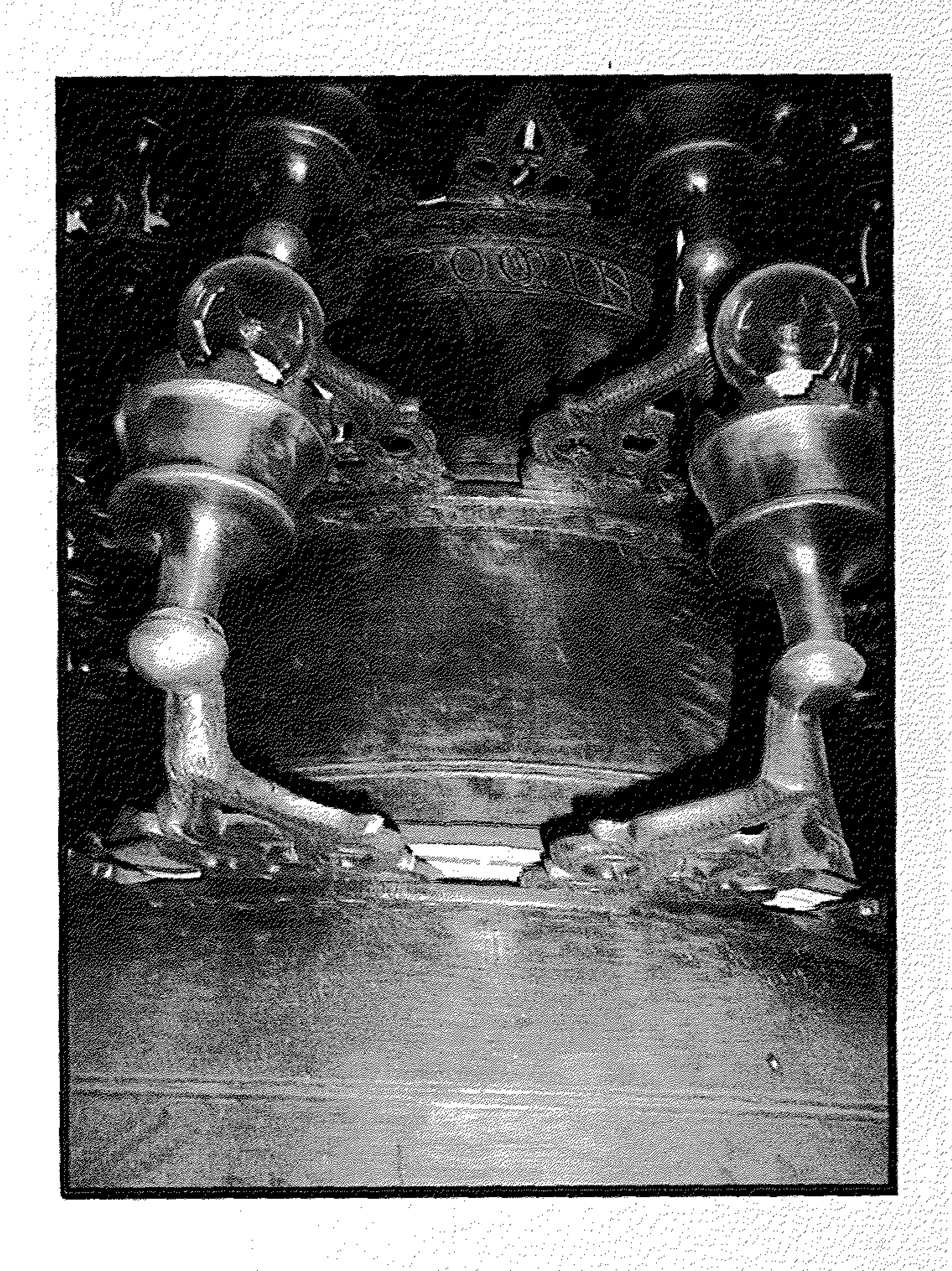
(لوحة ٣٣) تفاصيل ساق الثريا الكبيرة في الجامع الأعظم بمكناس «تصوير الباحث»



(لوحة ٣٤) ثريا ناقوسية بالقبة السادسة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



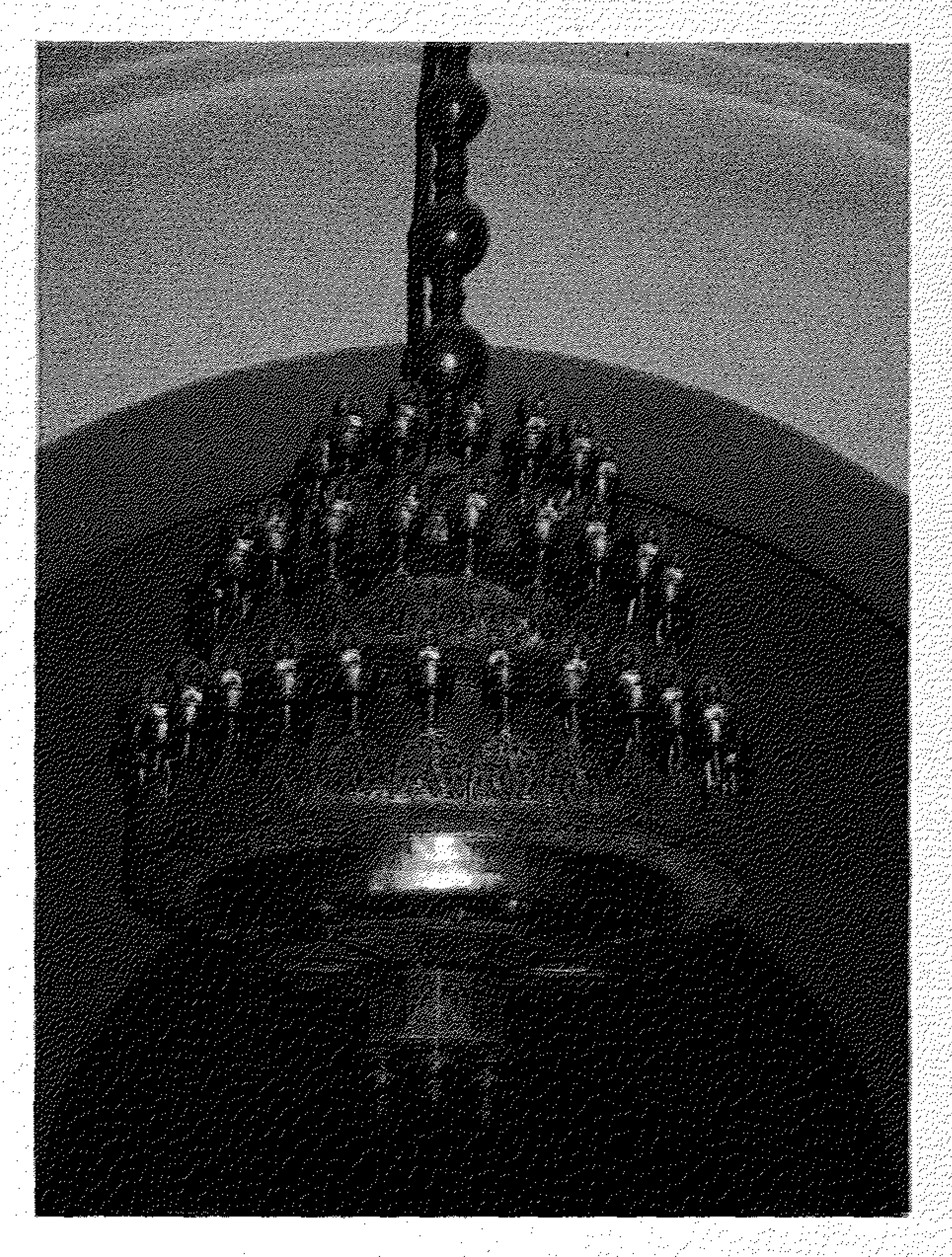
(لوحة ٣٥) ثريا ناقوسية بالقبة السادسة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



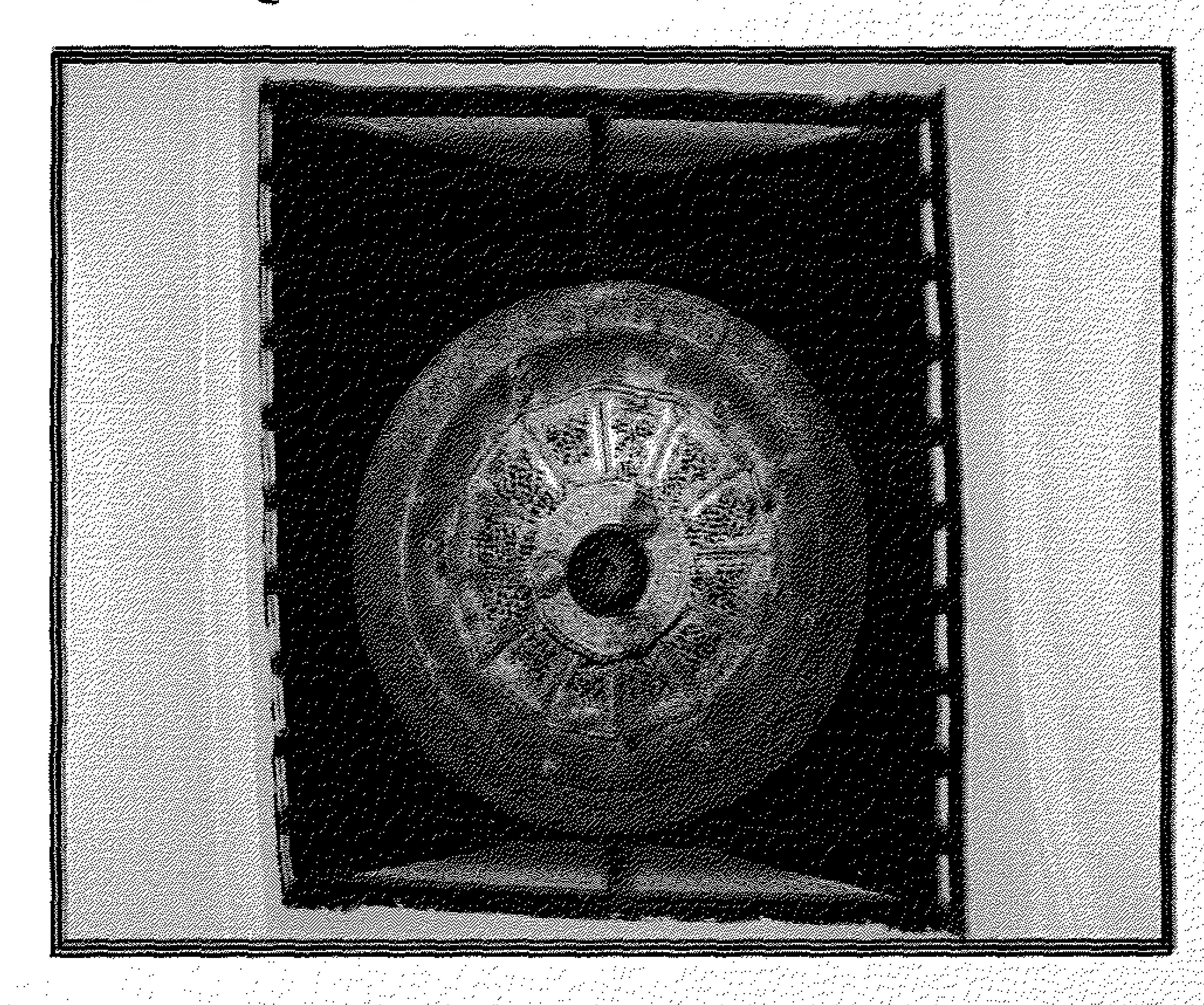
(لوحة ٣٦) تفاصيل الثريا الناقوسية السابقة «تصوير الباحث»



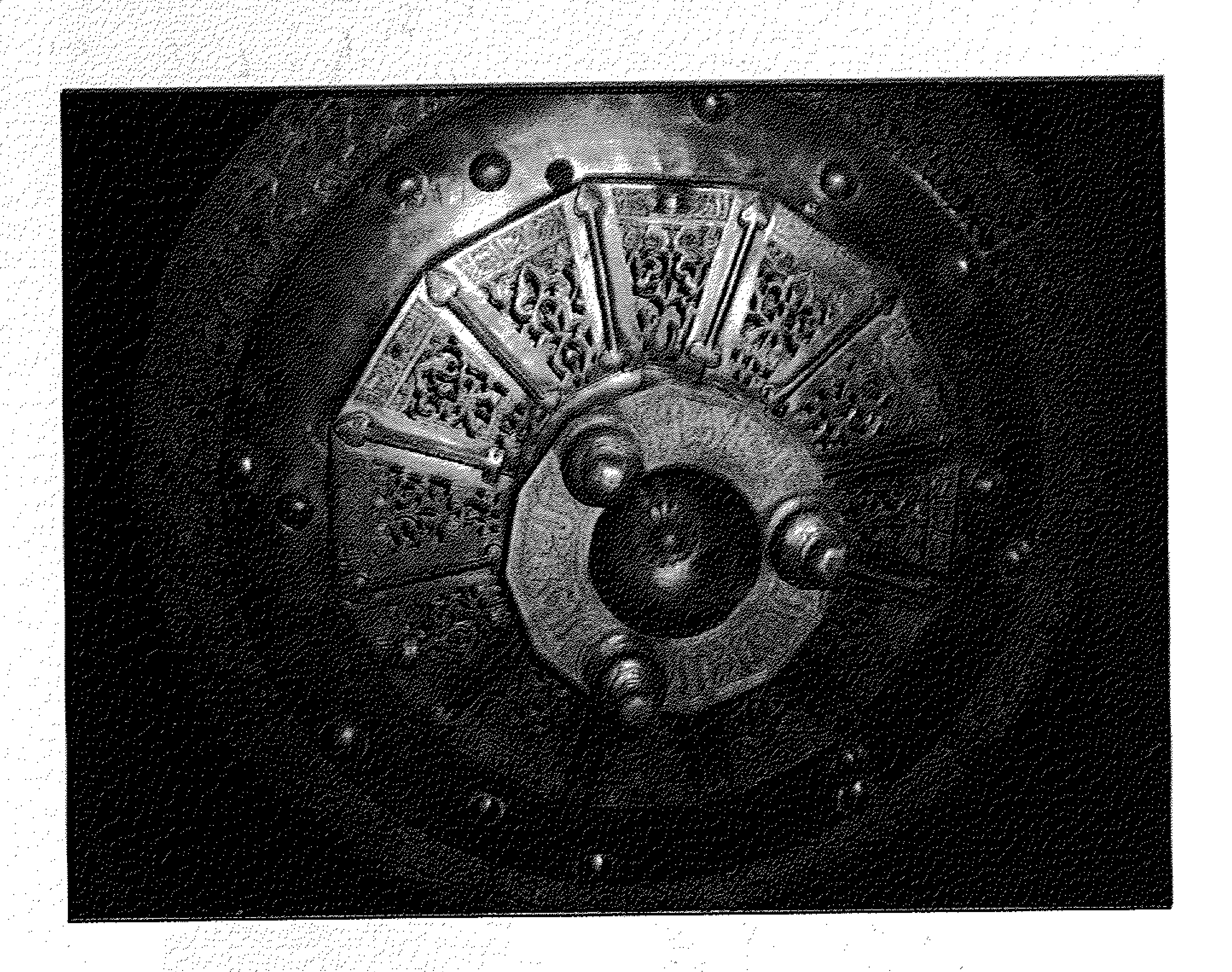
(لوحة ٣٧) تفاصيل الثريا الناقوسية السابقة «تصوير الباحث»



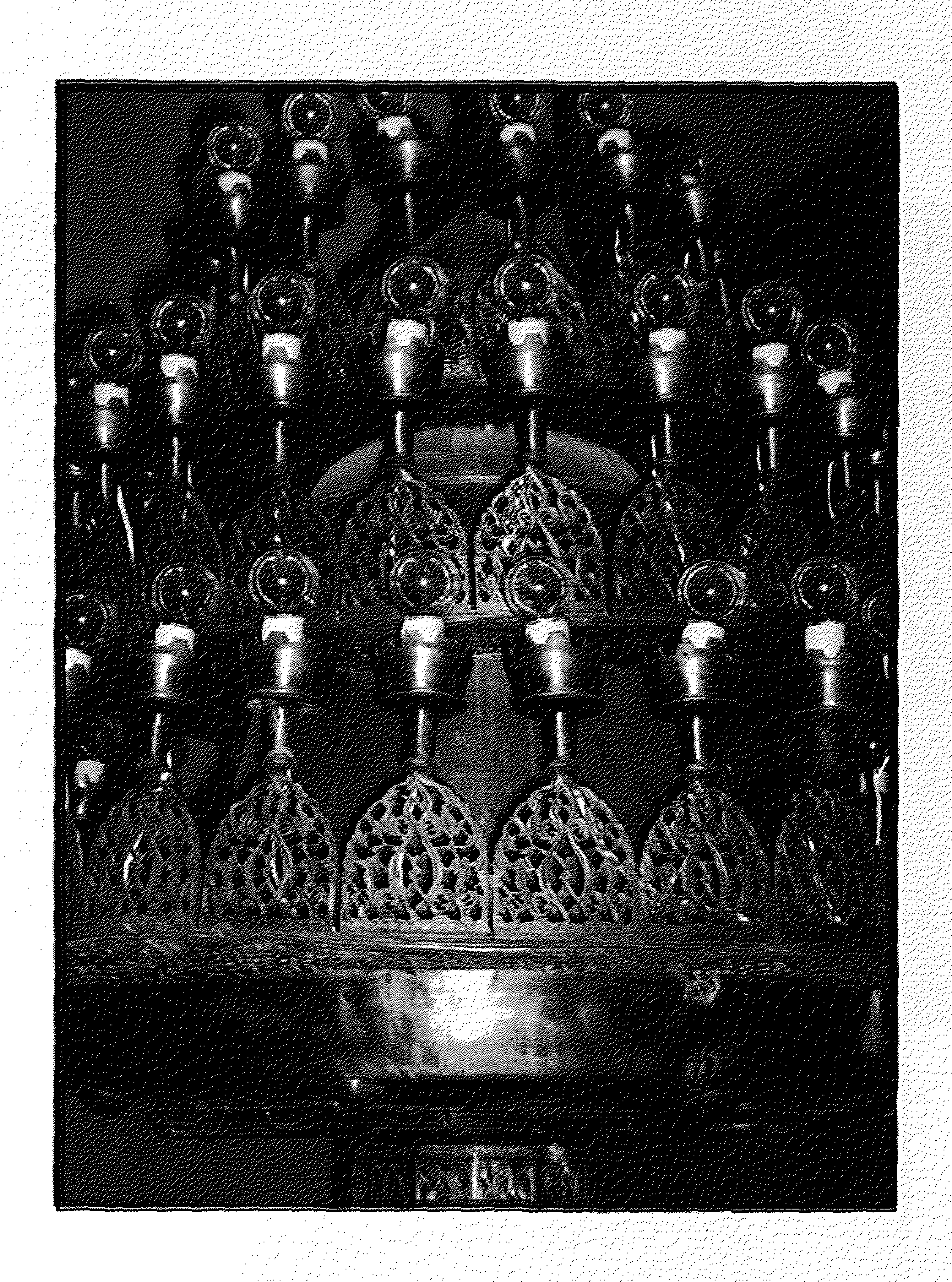
(لوحة ٣٨) ثريا ناقوسية بالقبة السابعة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



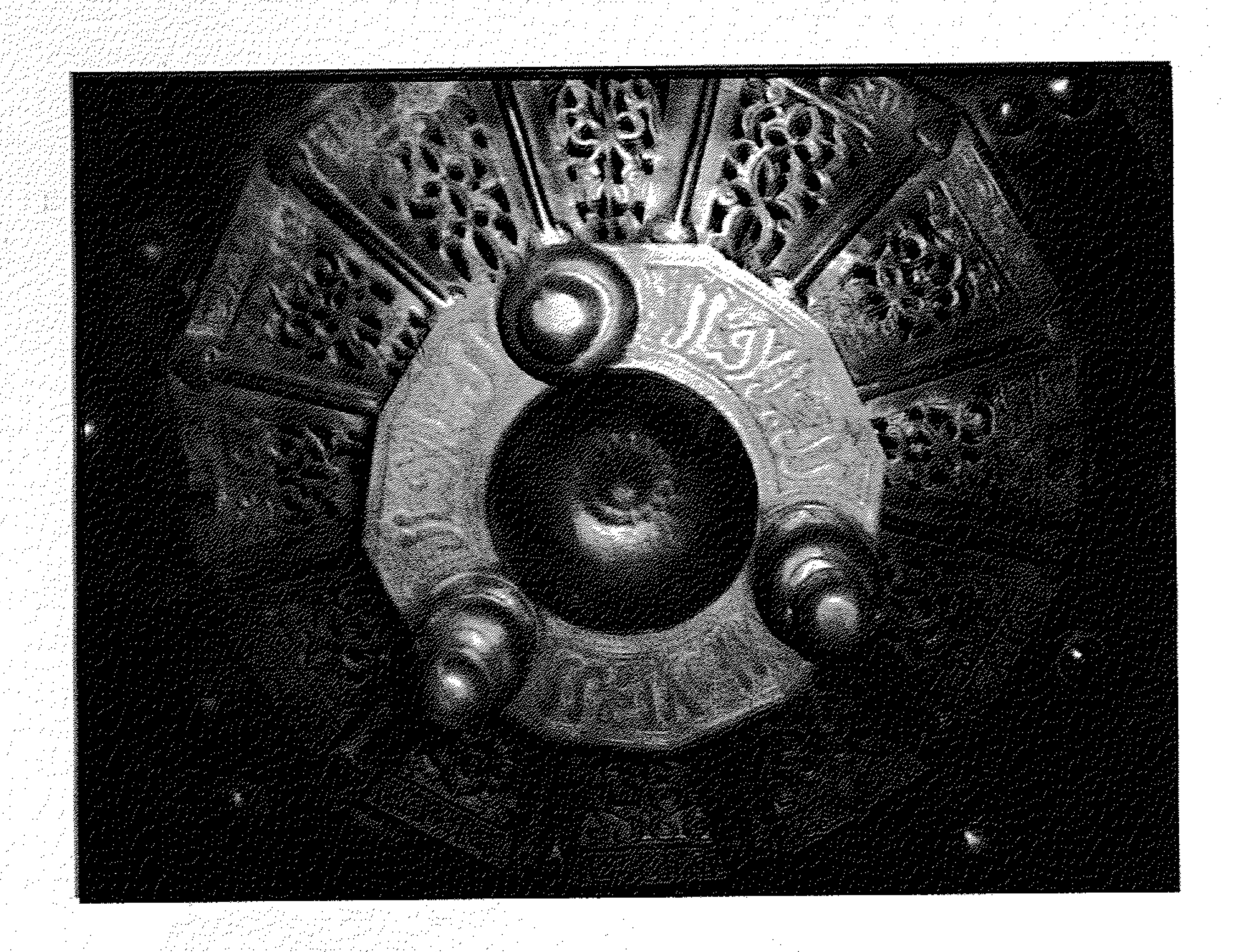
(لوحة ٣٩) ثريا ناقوسية بالقبة السابعة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



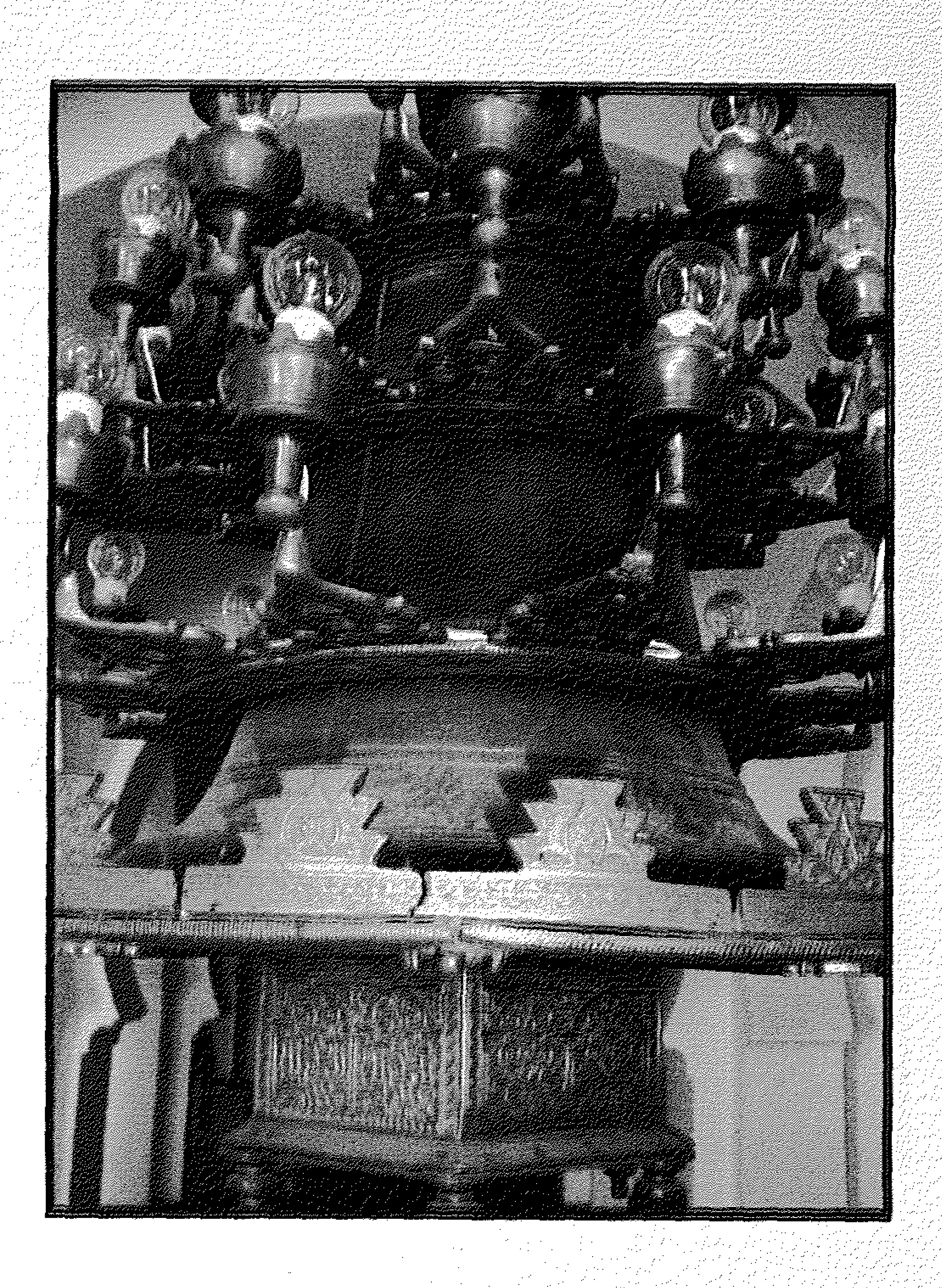
(لوحة ٤٠) تفاصيل زخارف الصينية «تصوير الباحث»



(لوحة ٤١) تفاصيل الزخارف الخارجية ببدن الناقوس «تصوير الباحث»



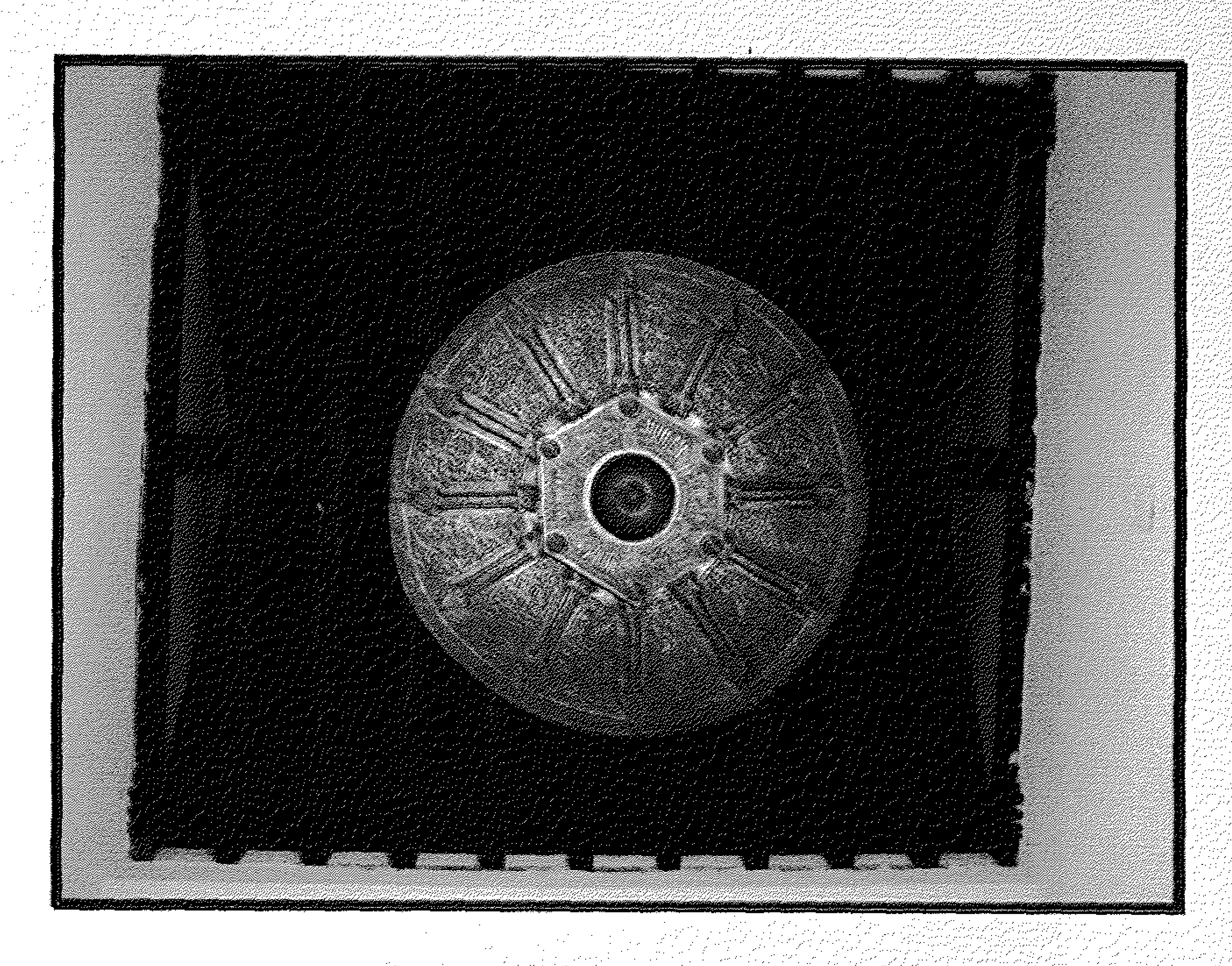
(لوحة ٤٢) تفاصيل الزخارف الكتابية «تصوير الباحث»



(لوحة ٤٣) ثريا ناقوسية بالقبة التاسعة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٤٤) ثريا ناقوسية بالقبة التاسعة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٤٥) ثريا ناقوسية بالقبة التاسعة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٤٦) تفاصيل زخارف صينية الثريا الناقوسية بالقبة التاسعة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٤٧) تفاصيل زخارف كرسي صينية الثريا الناقوسية بالقبة التاسعة في بلاطة محراب جامع القرويين

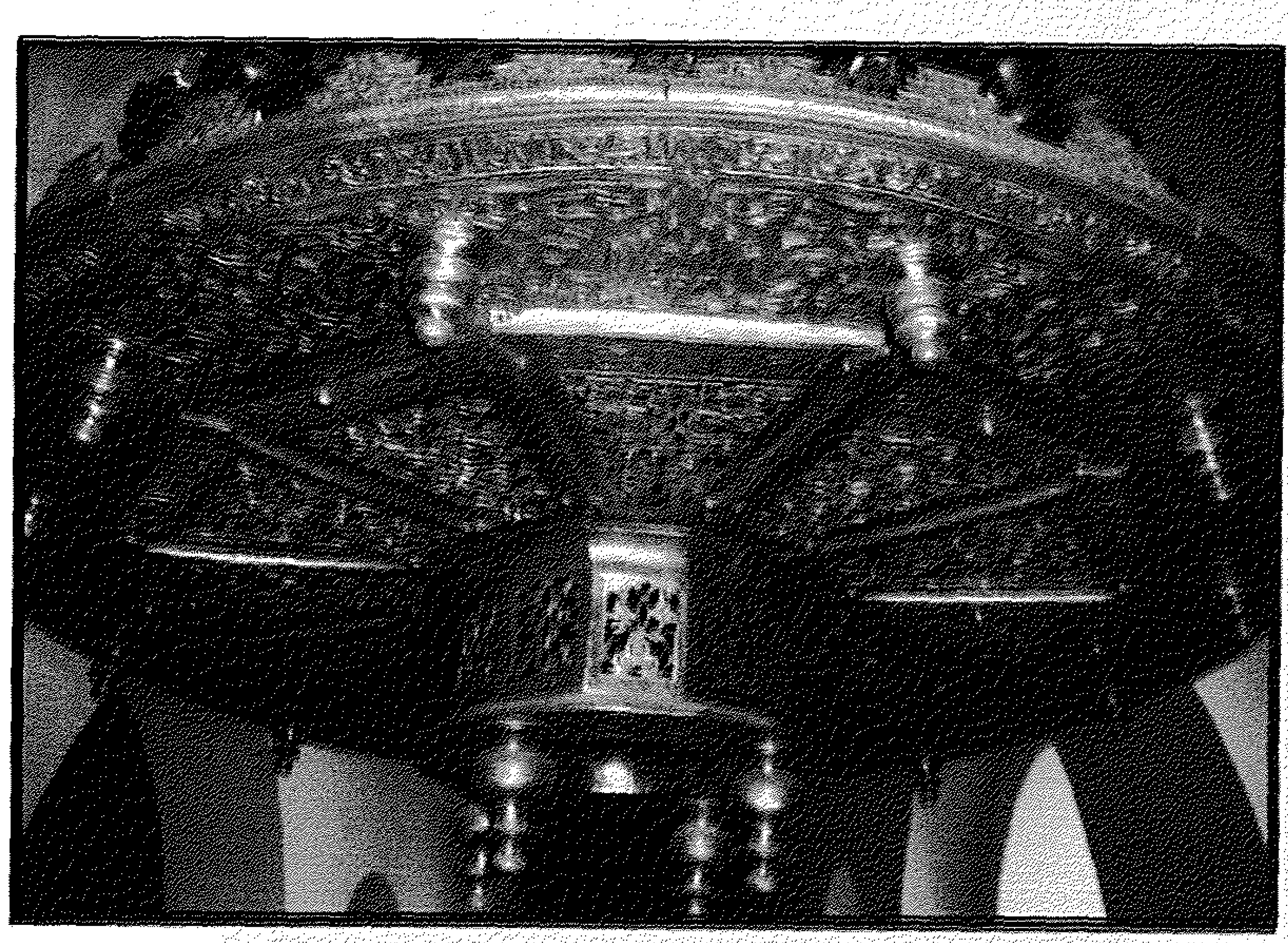
«تصوير الباحث»



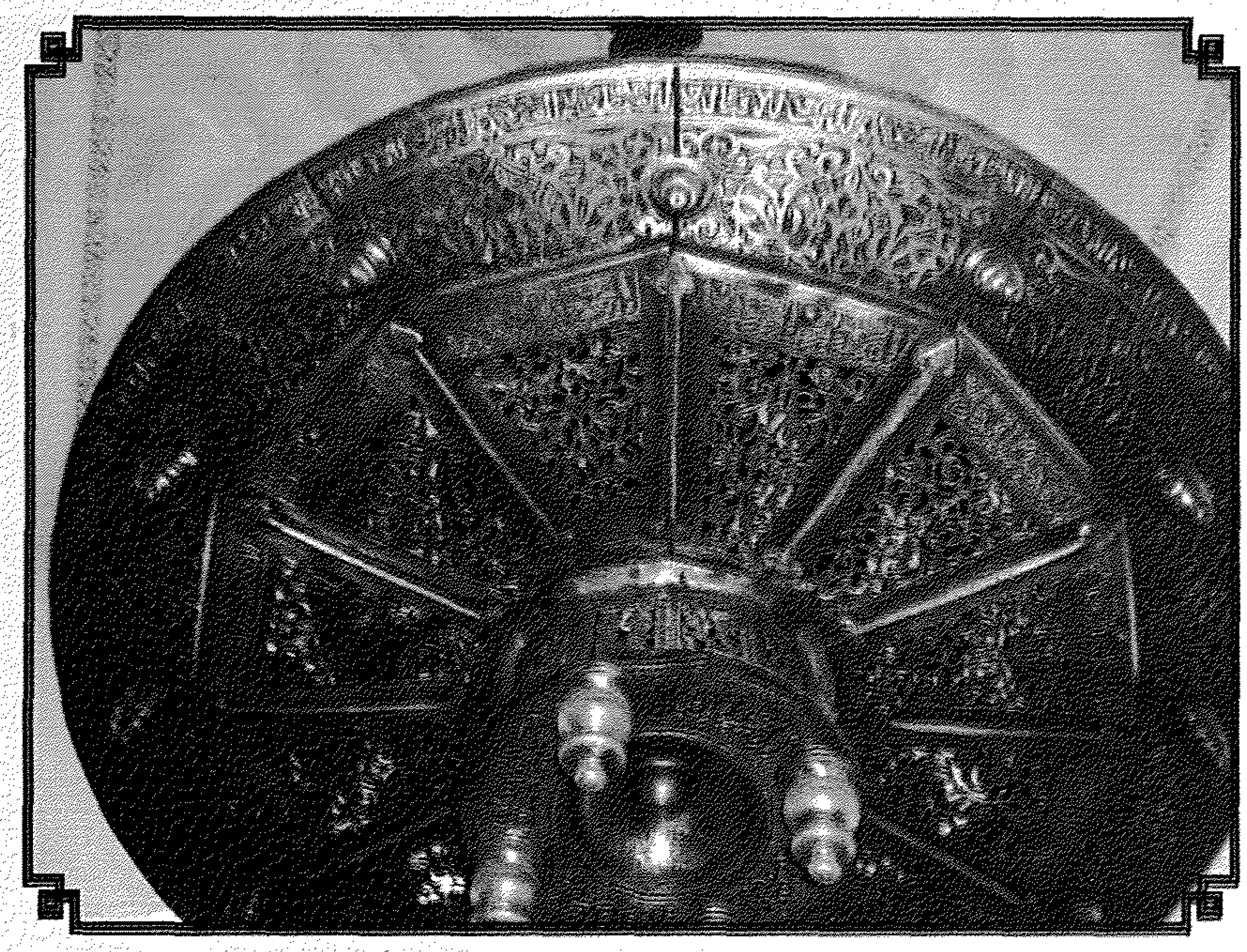
(لوحة ٤٨) ثريا ناقوسية بالقبة العاشرة أمام العنزة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٤٩) ثريا ناقوسية بالقبة العاشرة أمام العنزة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٥٠) تفاصيل صينية الثريا الناقوسية بالقبة العاشرة أمام العنزة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٥١) تفاصيل زخارف صينية الثريا الناقوسية بالقبة العاشرة أمام العنزة في بلاطة محراب جامع القرويين «تصوير الباحث»



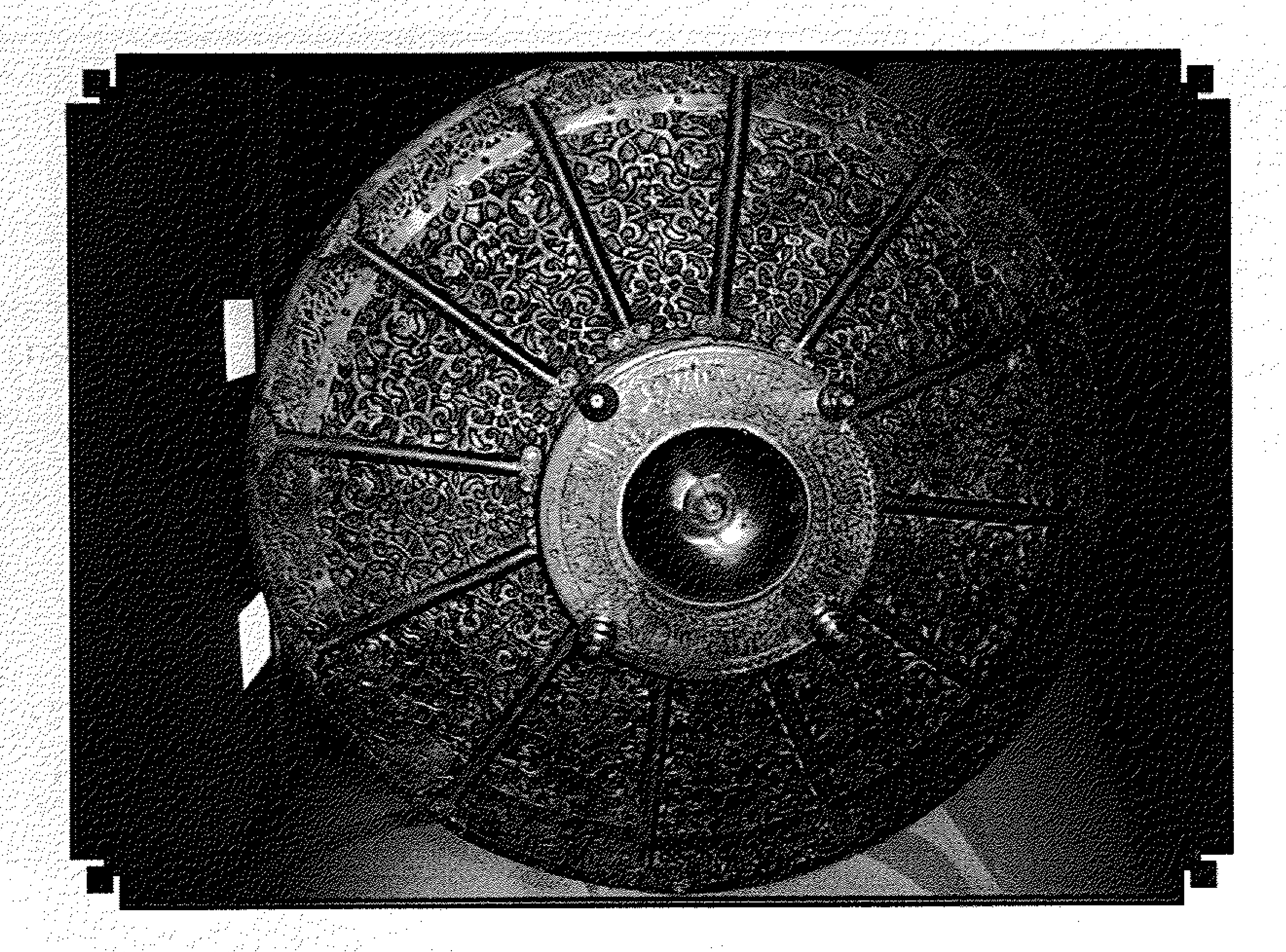
(لوحة ٥٢) ثريا ناقوسية بباب الشماعين في جامع القرويين «تصوير الباحث»



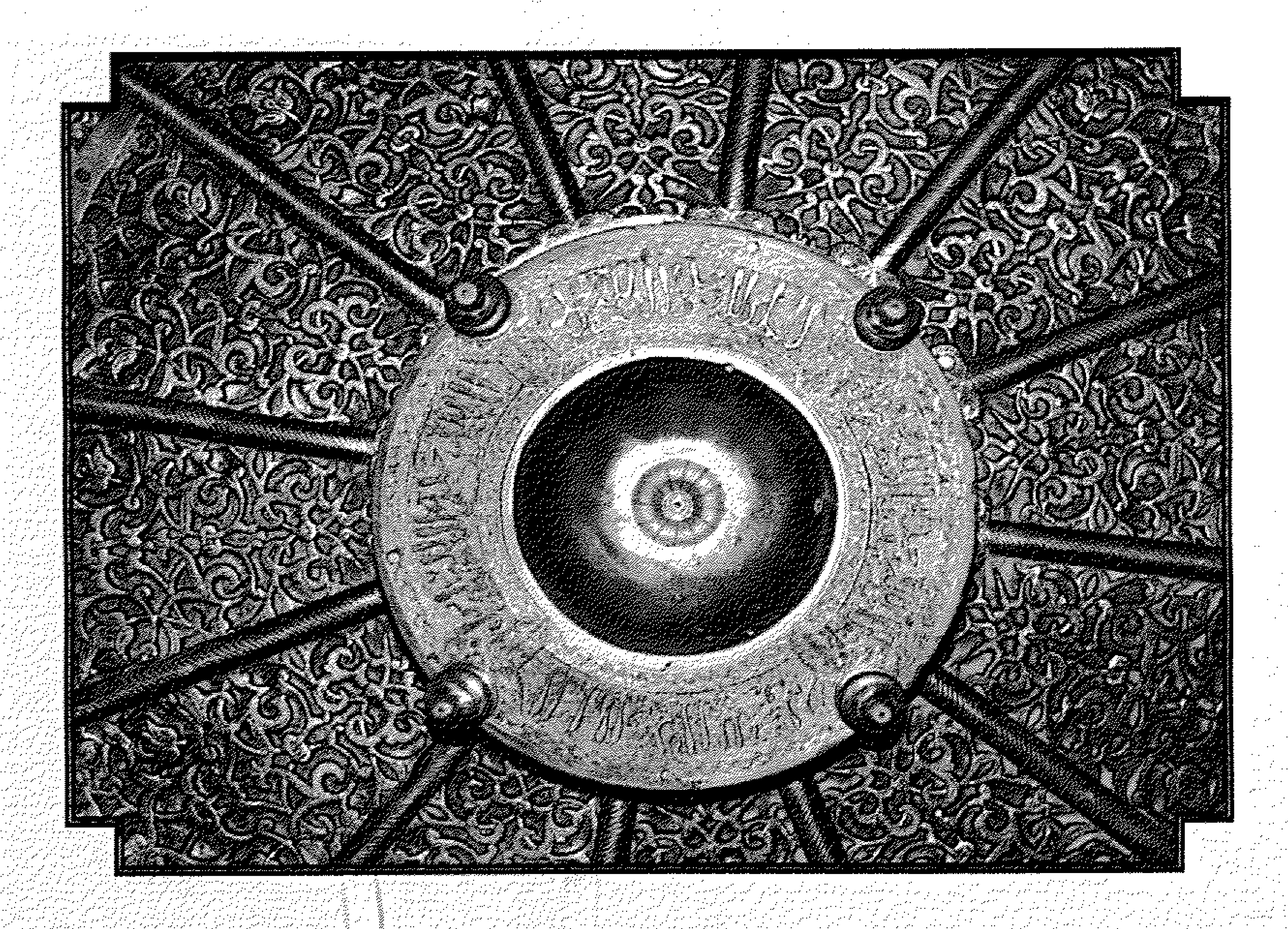
(لوحة ٥٣) ثريا ناقوسية بباب الشماعين في جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٥٤) ثريا ناقوسية بباب الشماعين في جامع القرويين «تصوير الباحث»

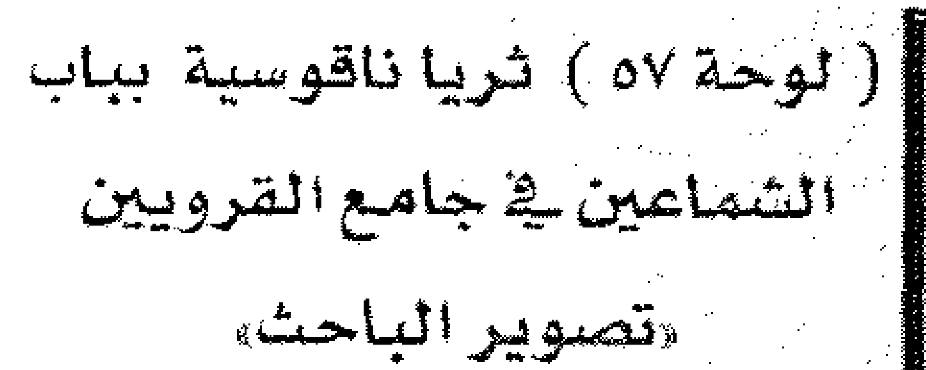


(لوحة ٥٥) صينية الثريا الناقوسية بباب الشماعين في جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٥٦) ثريا ناقوسية بباب الشماعين في جامع القرويين «تصوير الباحث»



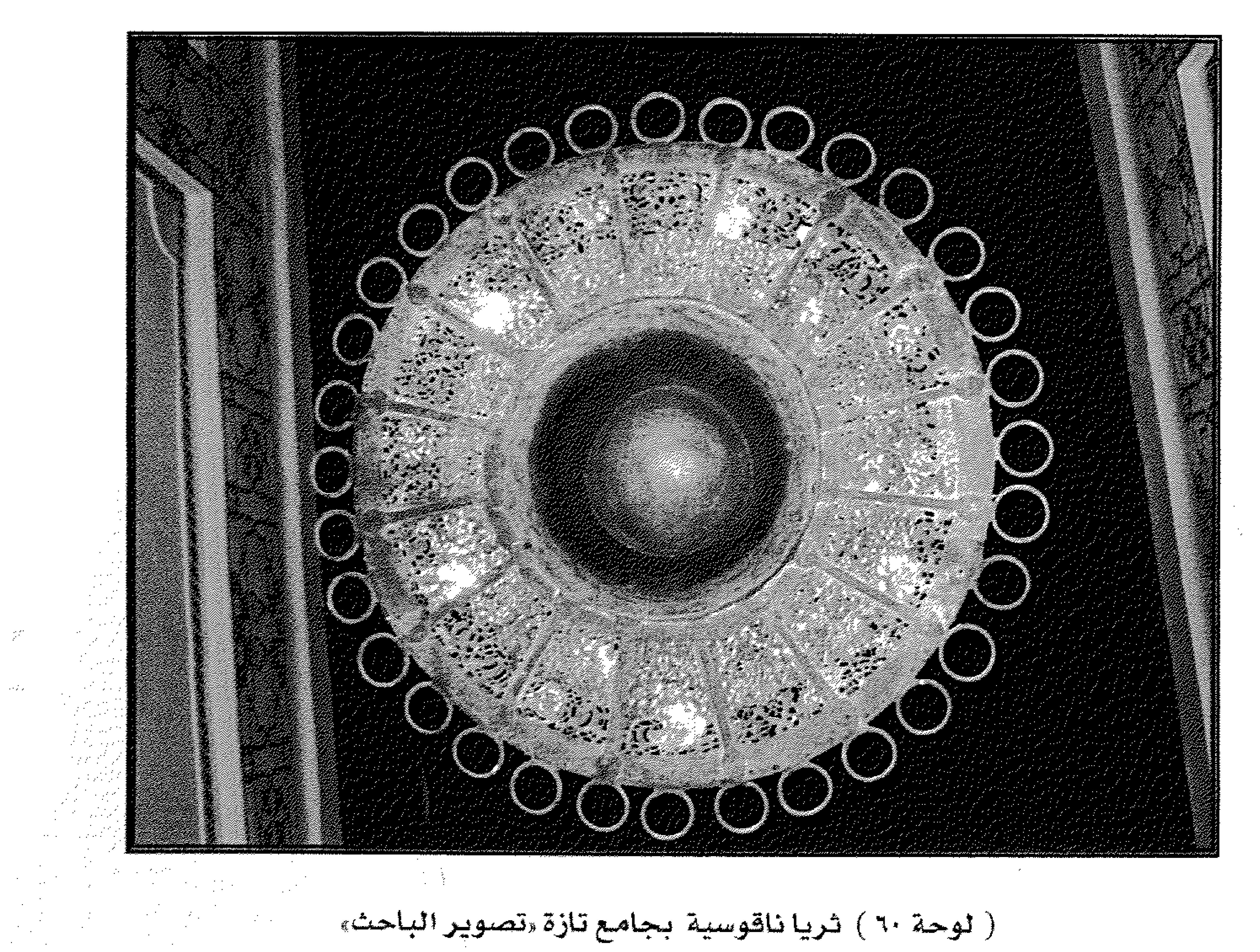


(لوحة ٥٧) ثريا ناقوسية بباب الشماعين في جامع القرويين «تصوير الباحث»

(لوحة ٥٨) ثريا ناقوسية بجامع تازة «تصوير الباحث»



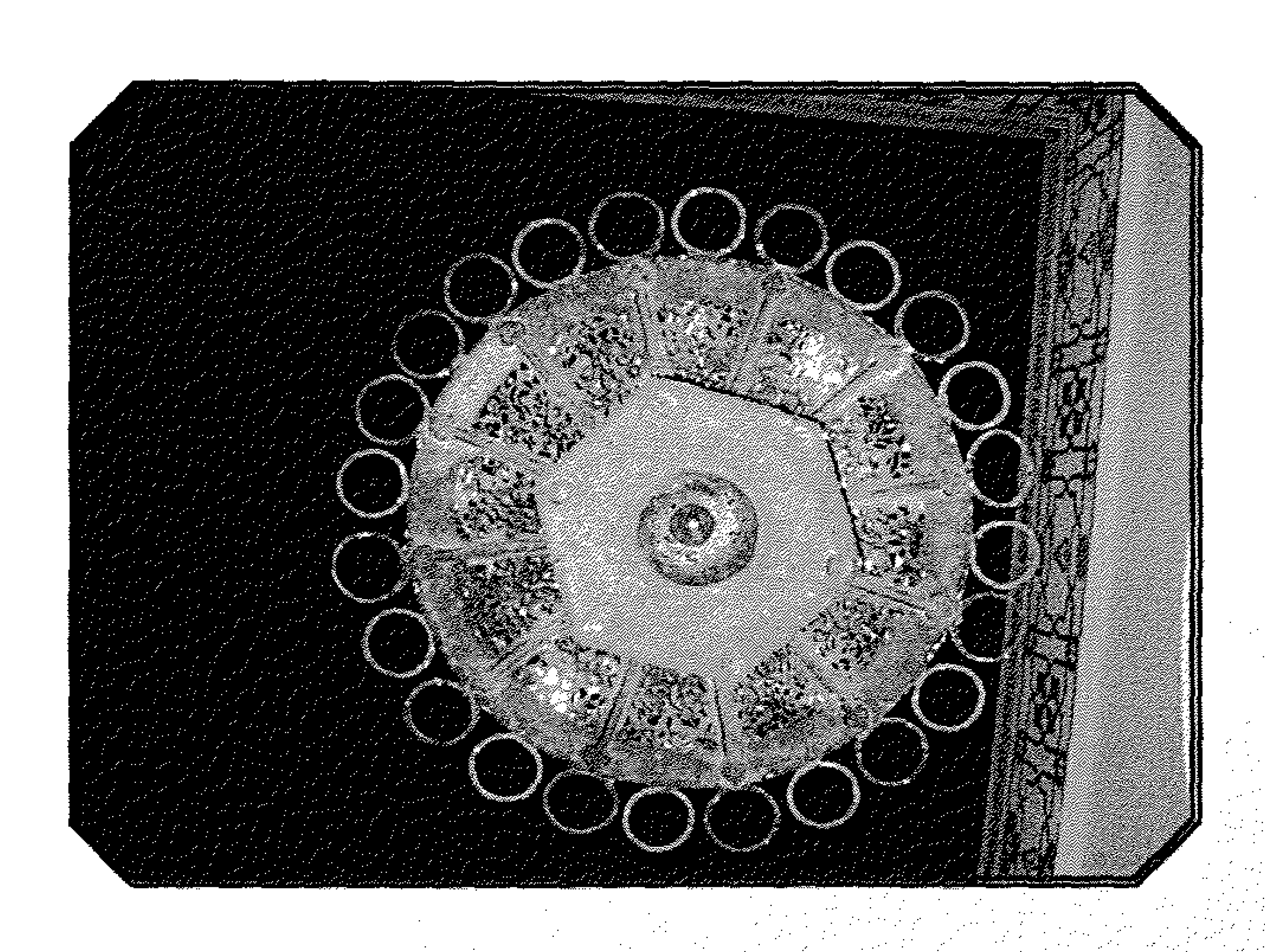
(لوحة ٥٩) ثريا ناقوسية بجامع تازة «تصوير الباحث»



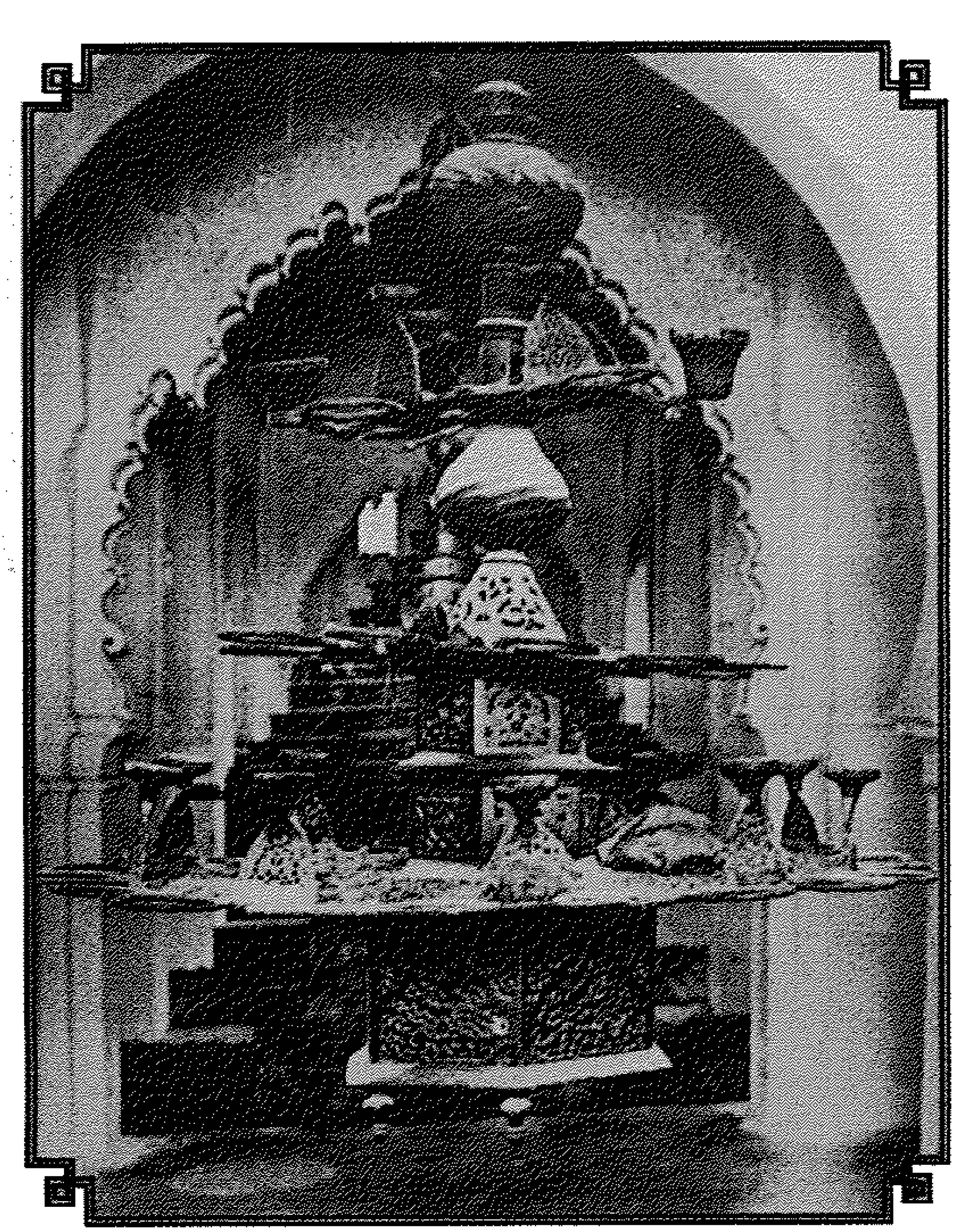
(لوحة ٦٠) ثريا ناقوسية بجامع تازة «تصوير الباحث»



(لوحة ٦١) الناقوس الصغير بجامع تازة «تصوير الباحث»



(لوحة ٦٢) صينية الناقوس الصغير بجامع تازة «تصوير الباحث»



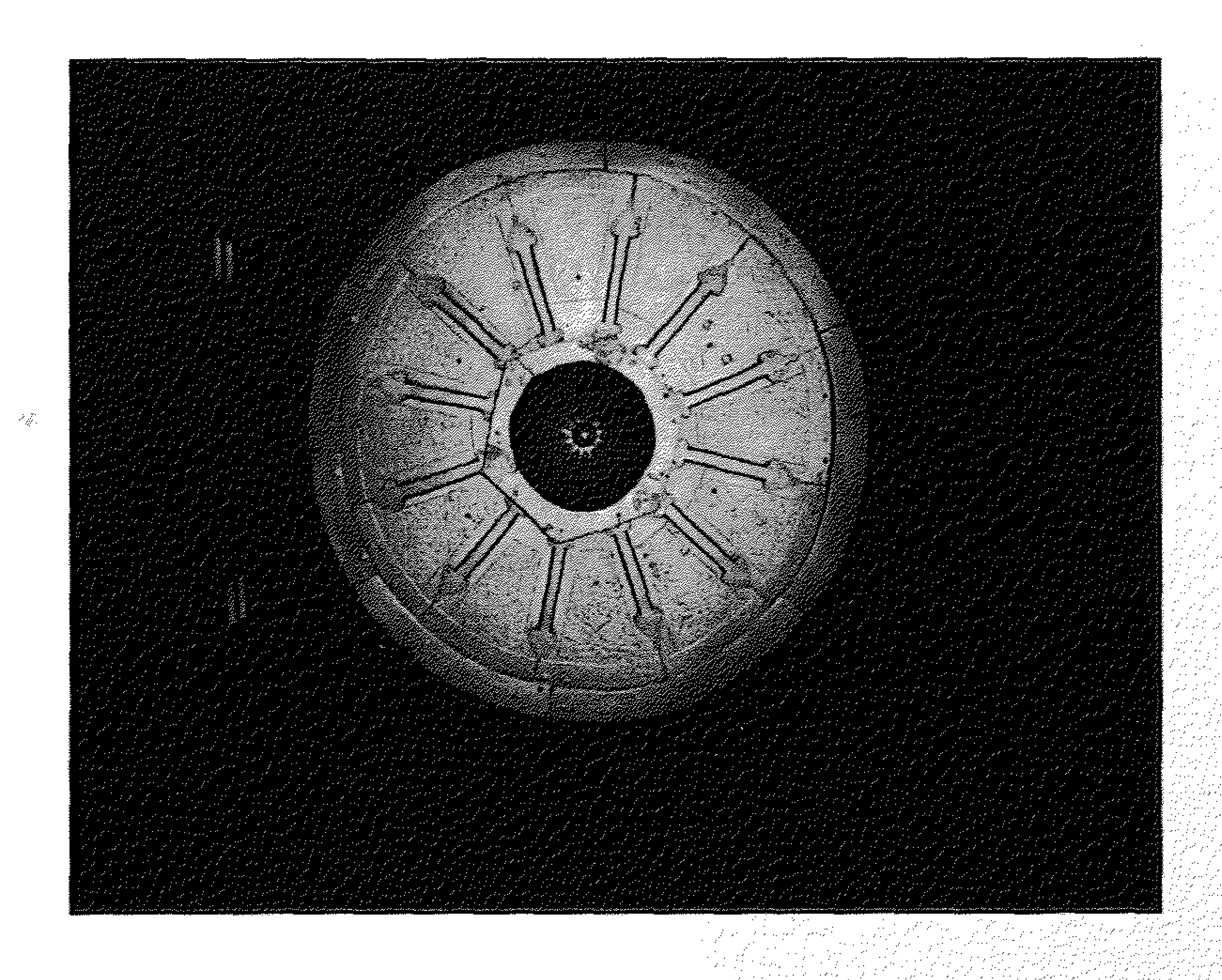
(لوحة ٦٣) الناقوس الصغير بجامع تازة نقلا عن :
Terrasse H., La grande mosquée de Taza ., pp.63-64, PL LXXXVII



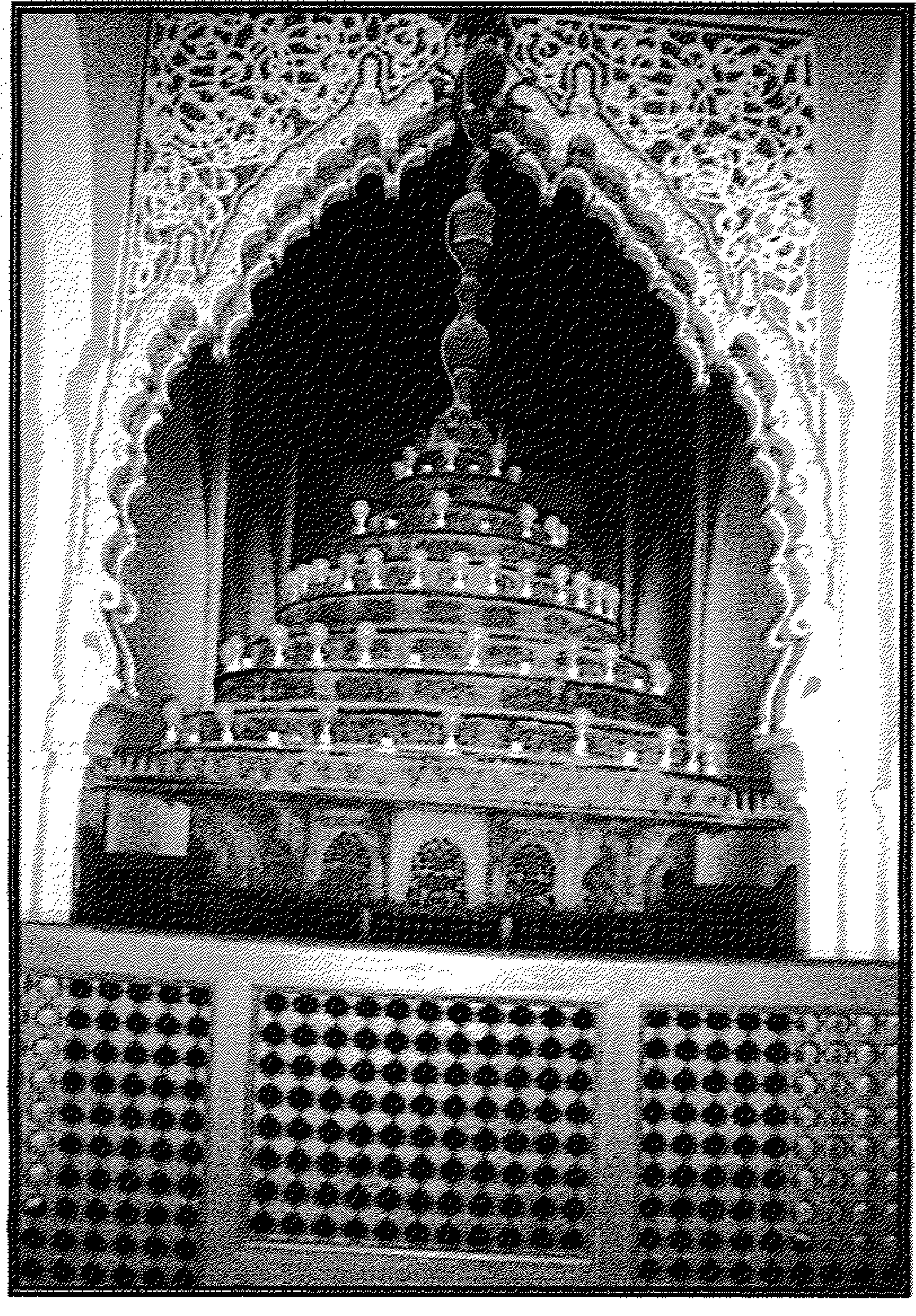
(لوحة ٦٤) ثريا ناقوسية بجامع الأندلسيين بفاس «تصوير الباحث»



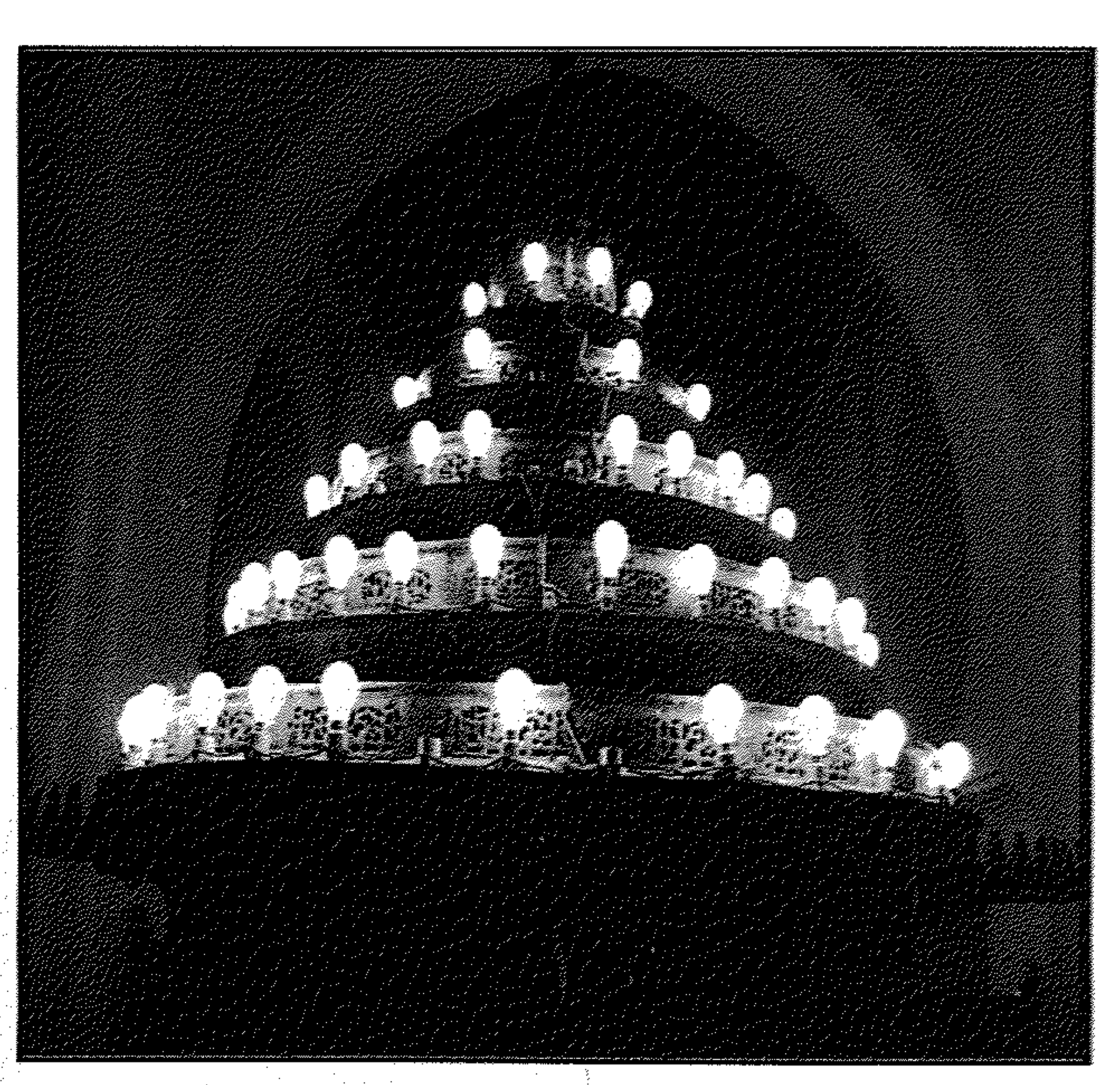
(لوحة ٦٥) ثريا ناقوسية بجامع الأندلسيين بفاس «تصوير الباحث»



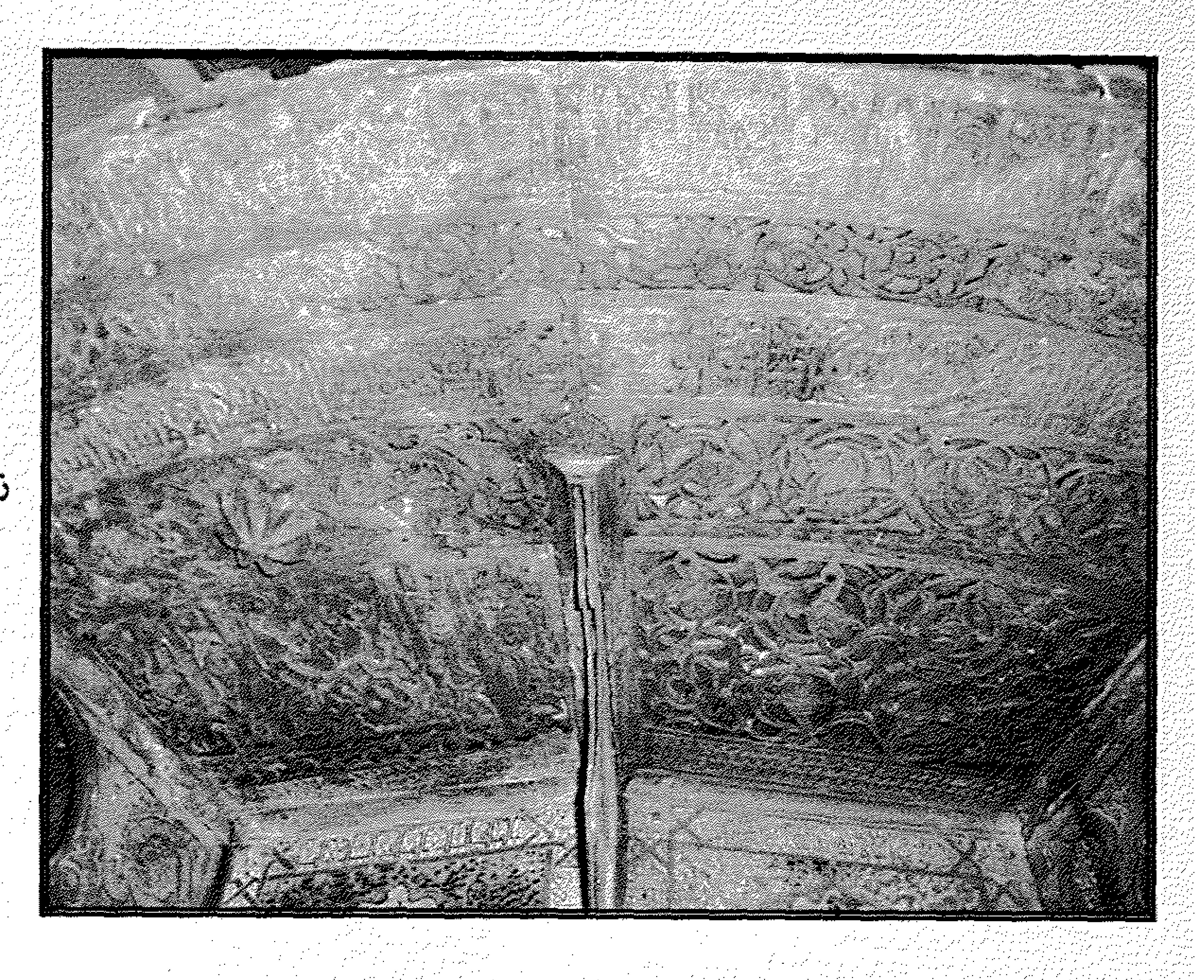
(لوحة ٦٦) تفاصيل صينية الثريا الناقوسية بجامع الأندلسيين بفاس «تصوير الباحث»



(لوحة ٦٧) الثريا الكبرى بجامع تازة «تصوير الباحث»



(لوحة ٦٨) الثريا الكبرى بجامع تازة «تصوير الباحث»



(لوحة ٦٩) تفاصيل زخارف الثريا الكبرى بجامع تازة «تصوير الباحث»



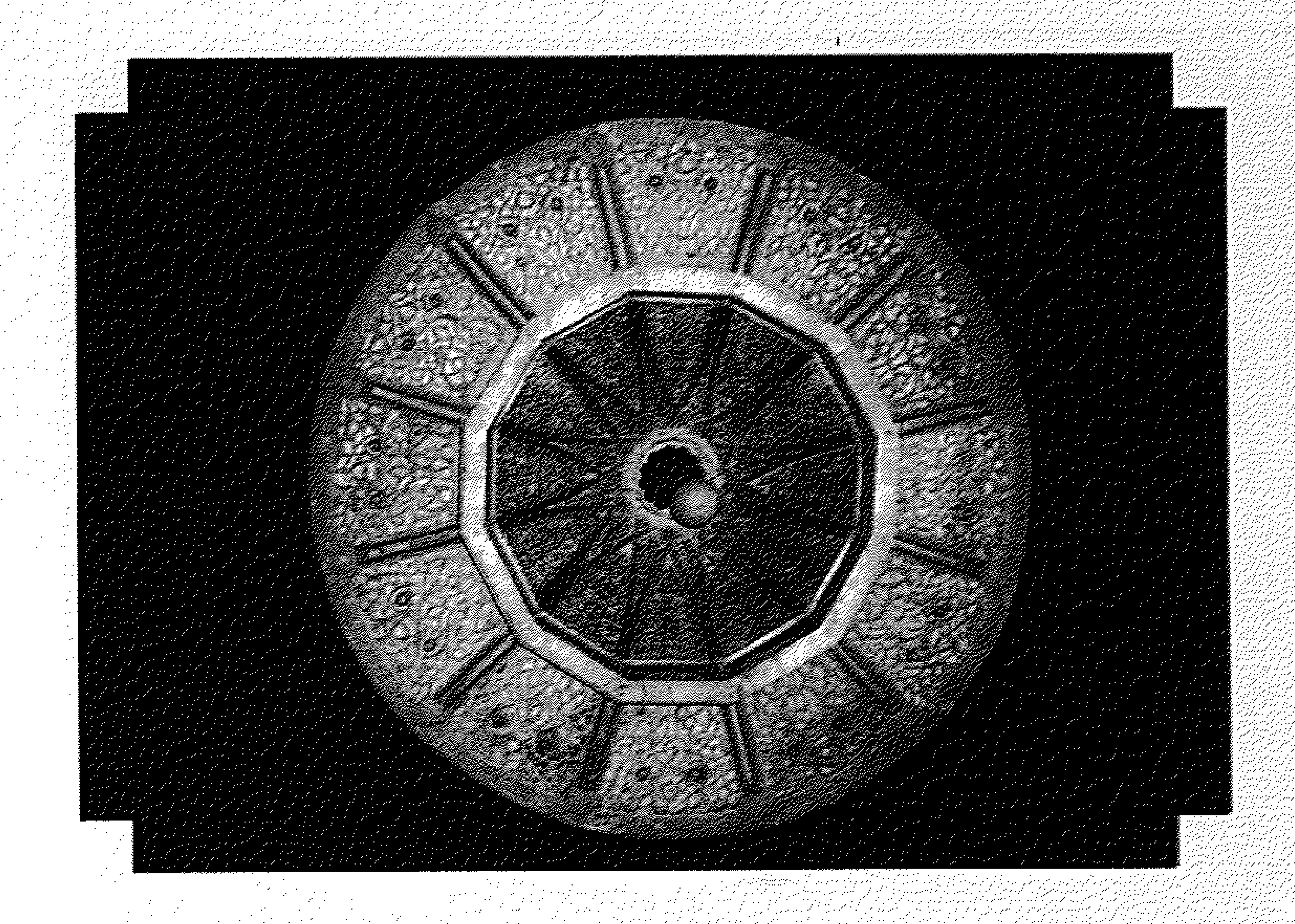
(لوحة ٧٠) تفاصيل زخارف الثريا الكبرى بجامع تازة «تصوير الباحث»



(لوحة ٧١) تفاصيل النصوص الكتابية بالدائرة السفلية بالثريا الكبرى بجامع تازة «تصوير الباحث»



(لوحة ٧٢) ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد «تصوير الباحث»



(لوحة ٧٣) ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد «تصوير الباحث»



(لوحة ٧٤) تفاصيل زخارف ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد «تصوير الباحث»



(لوحة ٧٥) تفاصيل زخارف ثريا الجامع الكبير بفاس الجديد «تصوير الباحث»



(لوحة ٧٦) ثريا مدرسة العطارين بفاس
«تصوير الباحث»



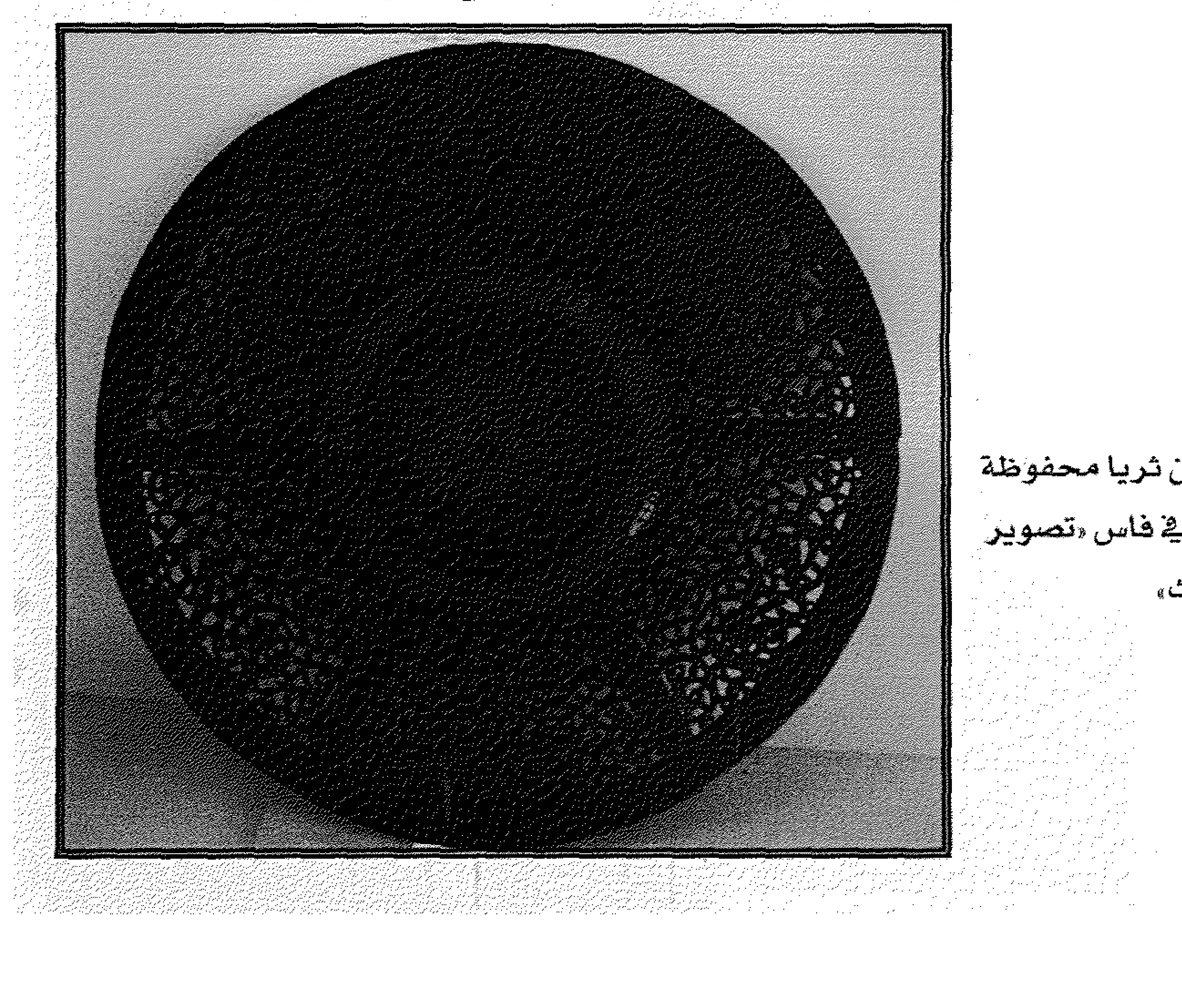
(لوحة ٧٧) ثريا مدرسة العطارين بفاس «تصوير الباحث»



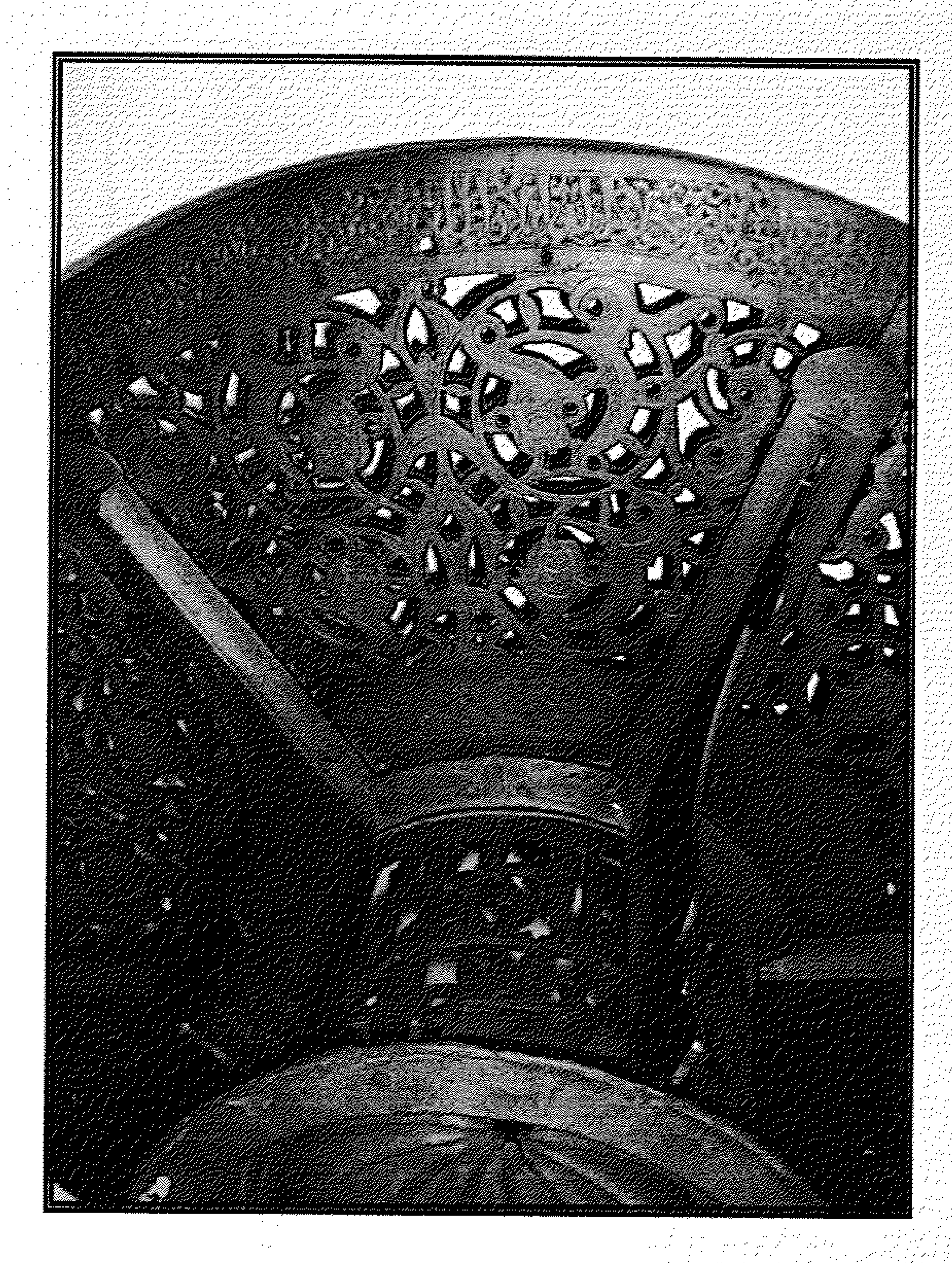
(لوحة ٧٨) تفاصيل النصوص التسجيلية بثريا مدرسة العطارين بفاس «تصوير الباحث»



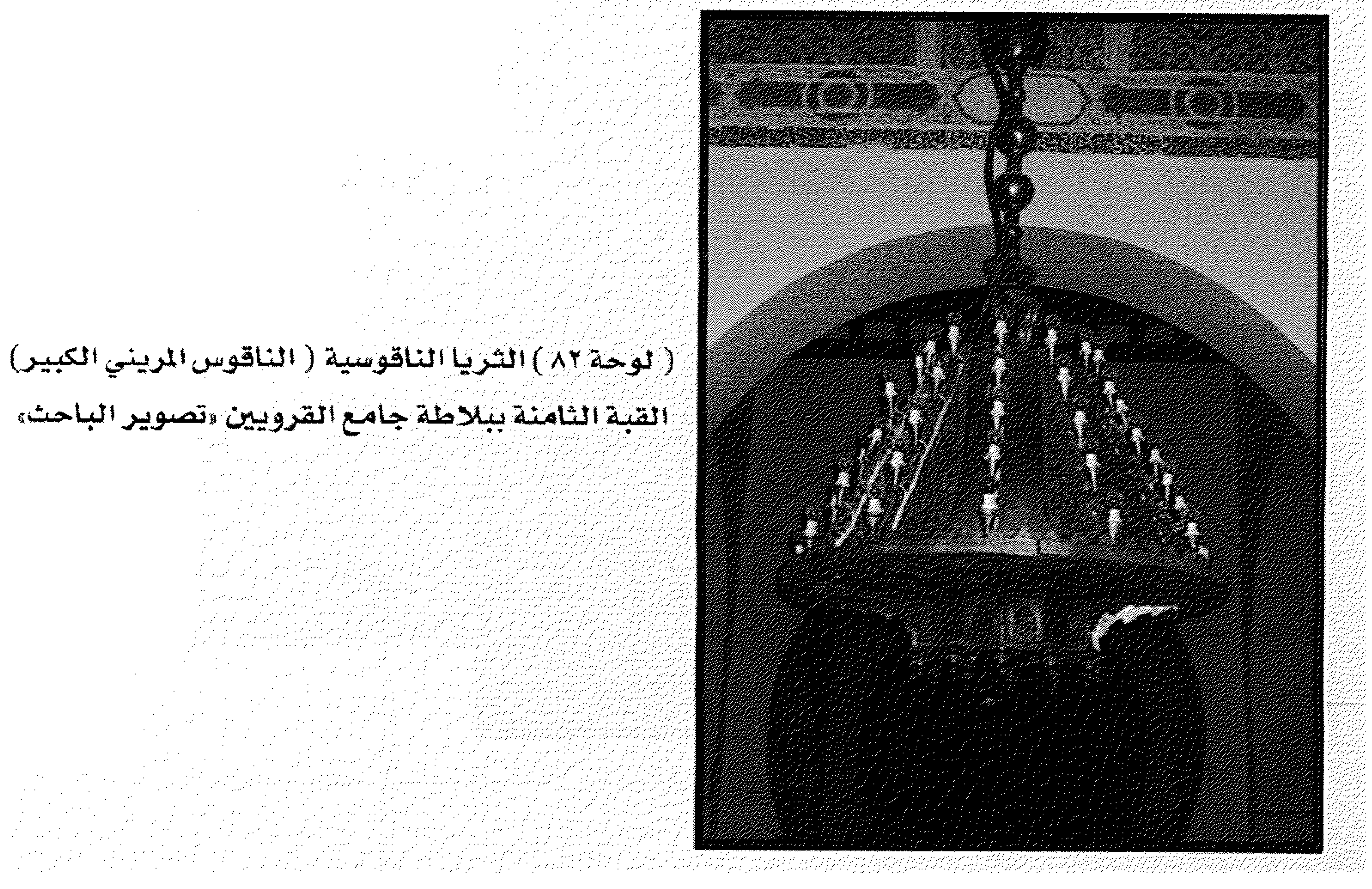
(لوحة ٧٩) تفاصيل النصوص التسجيلية بثريا مدرسة العطارين بفاس «تصوير الباحث»



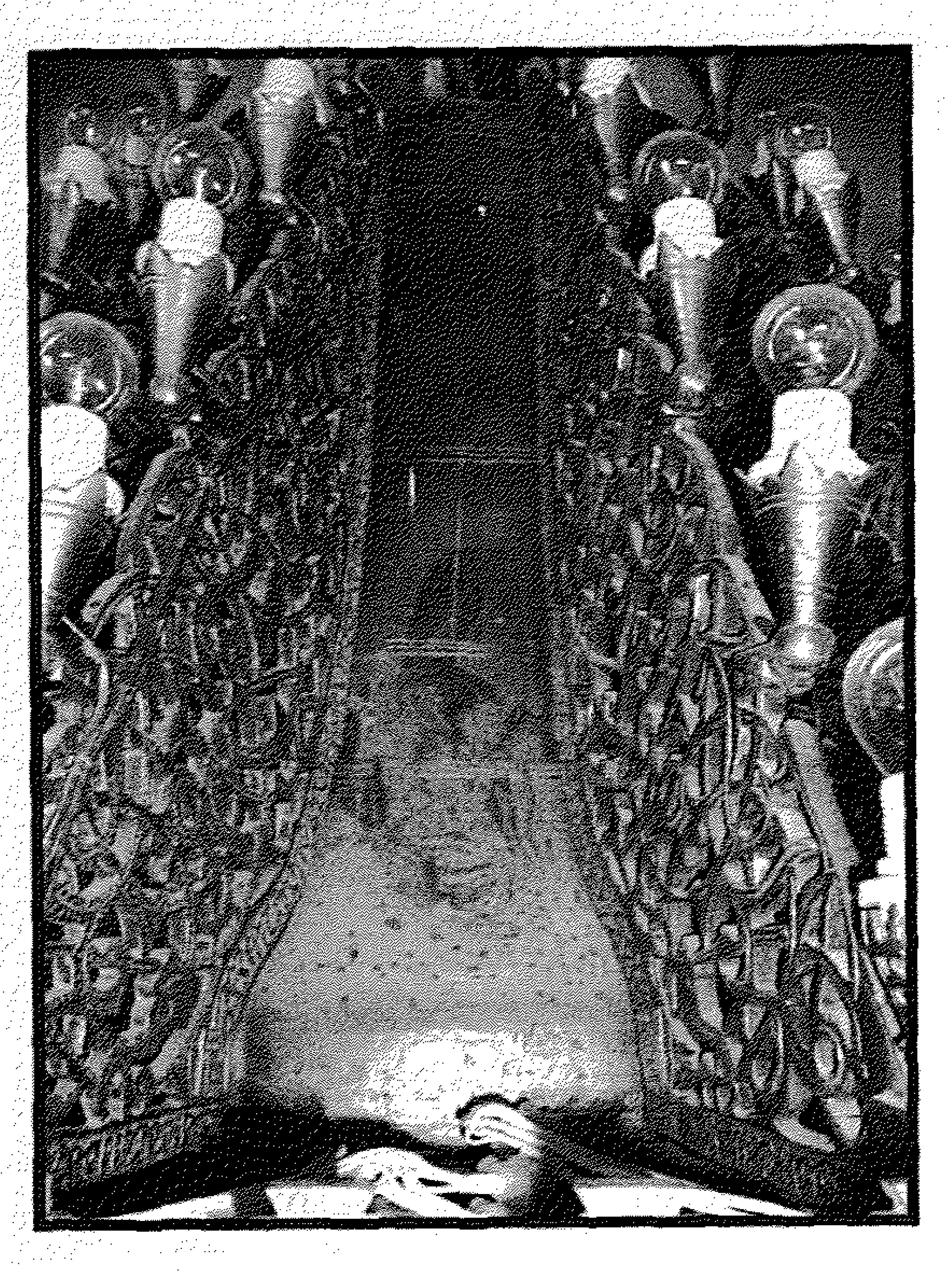
(لوحة ٨٠) جزء من ثريا محفوظة في متحف البطحاء في فاس «تصوير الباحث»



(لوحة ٨١) جزء من ثريا محفوظة في متحف البطحاء في فاس «تصوير الباحث»



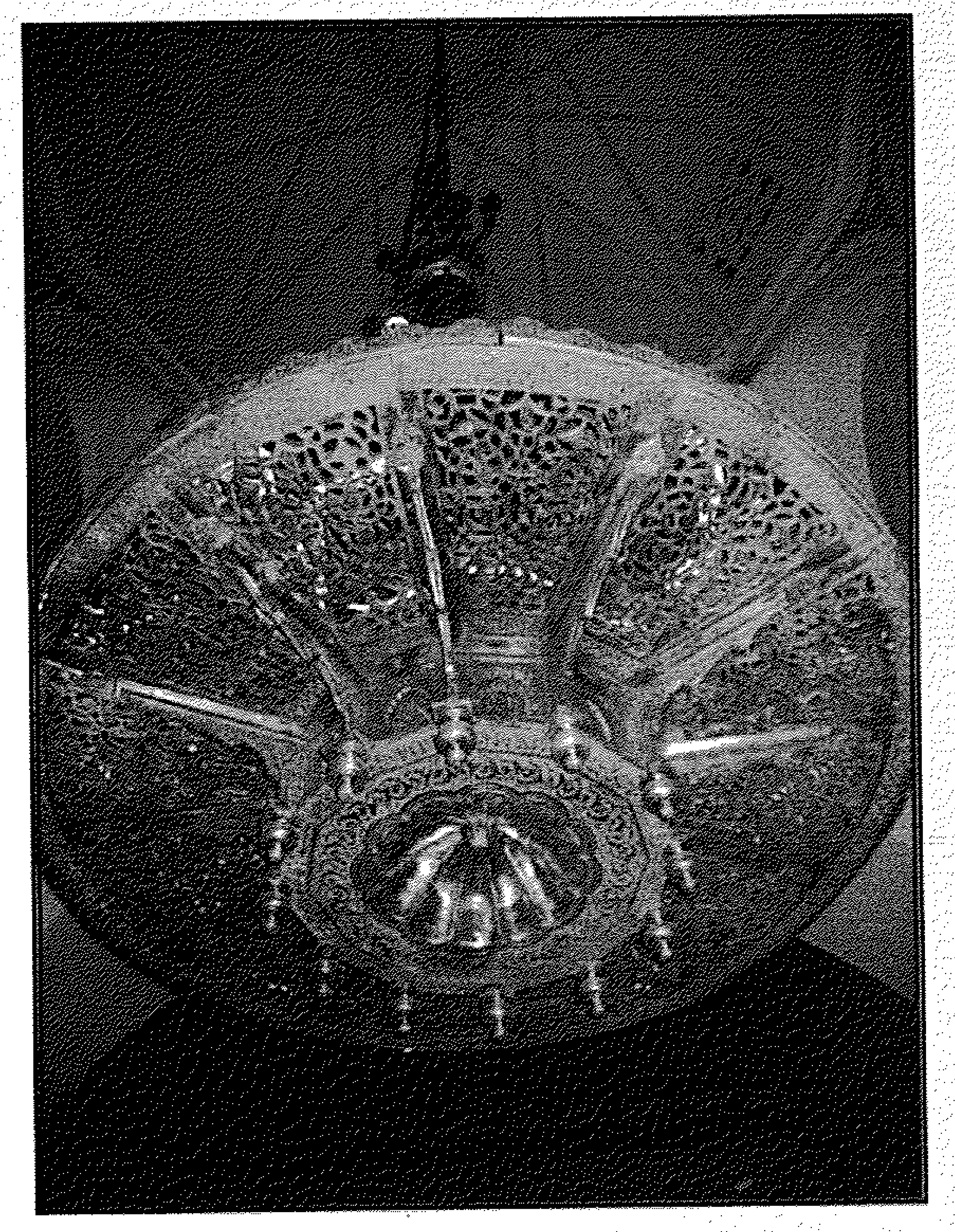
(لوحة ٨٢) الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين «تصوير الباحث»



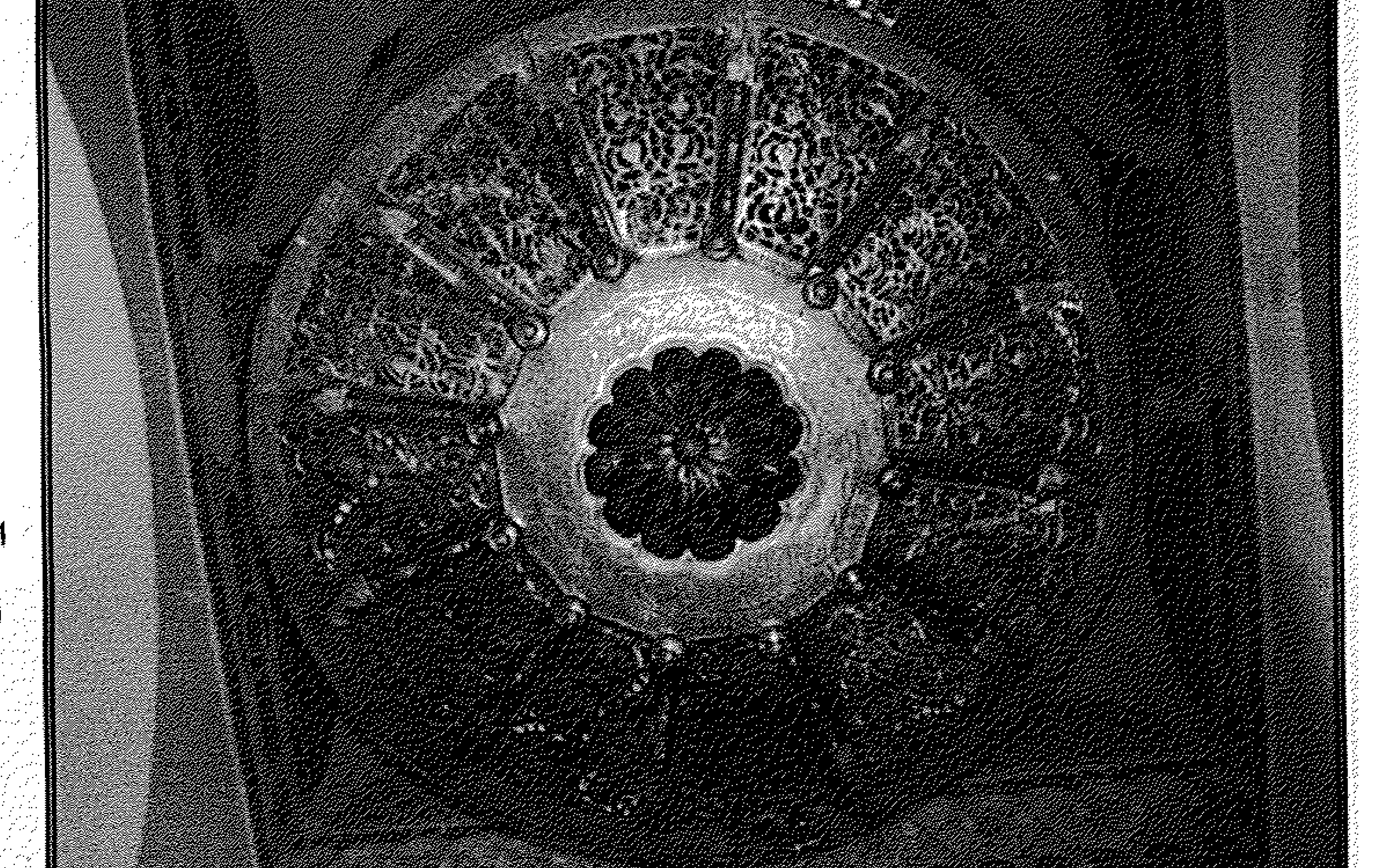
(لوحة ٨٣) تفاصيل الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين «تصوير الباحث»



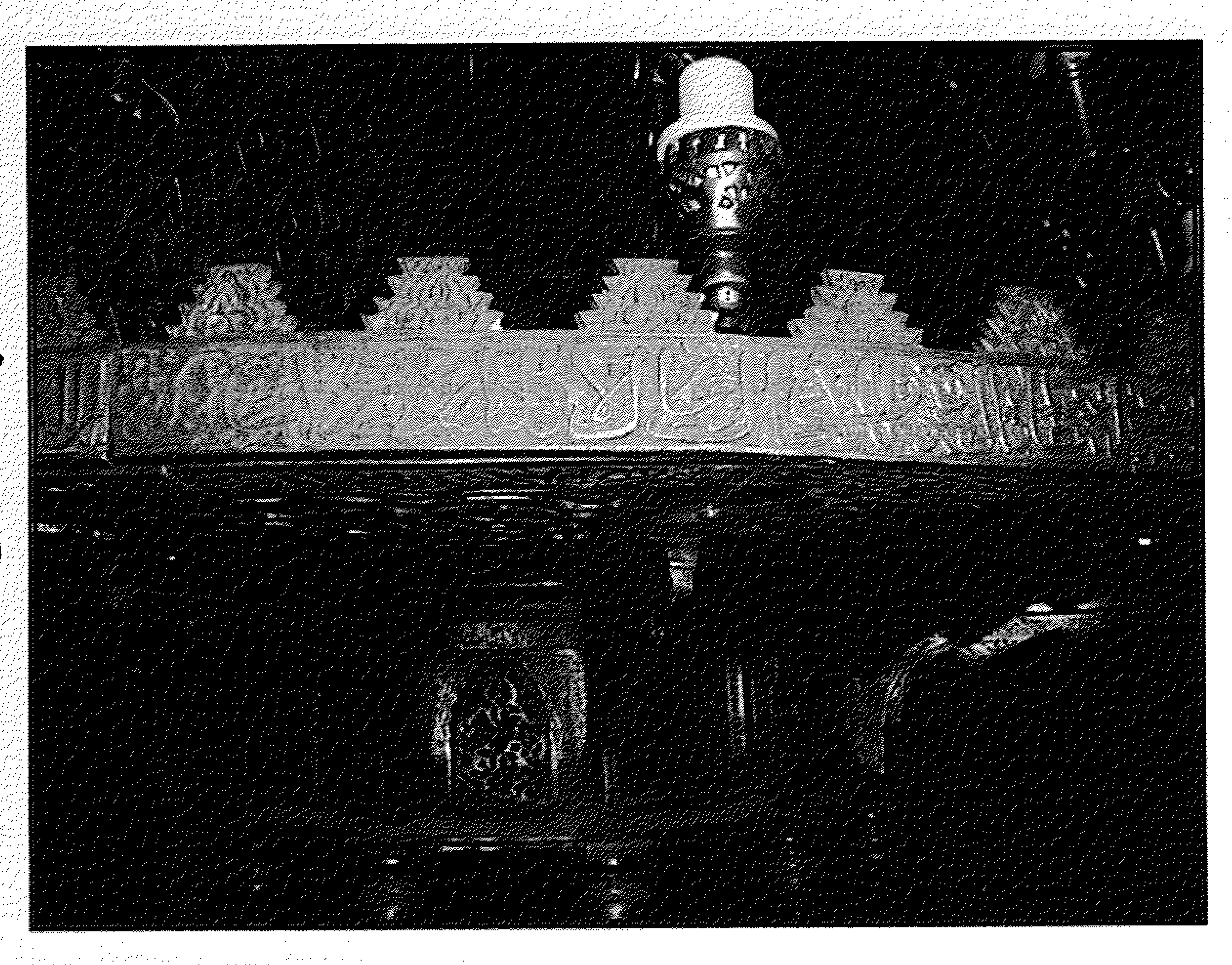
(لوحة ٨٤) تفاصيل الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين «تصوير الباحث»



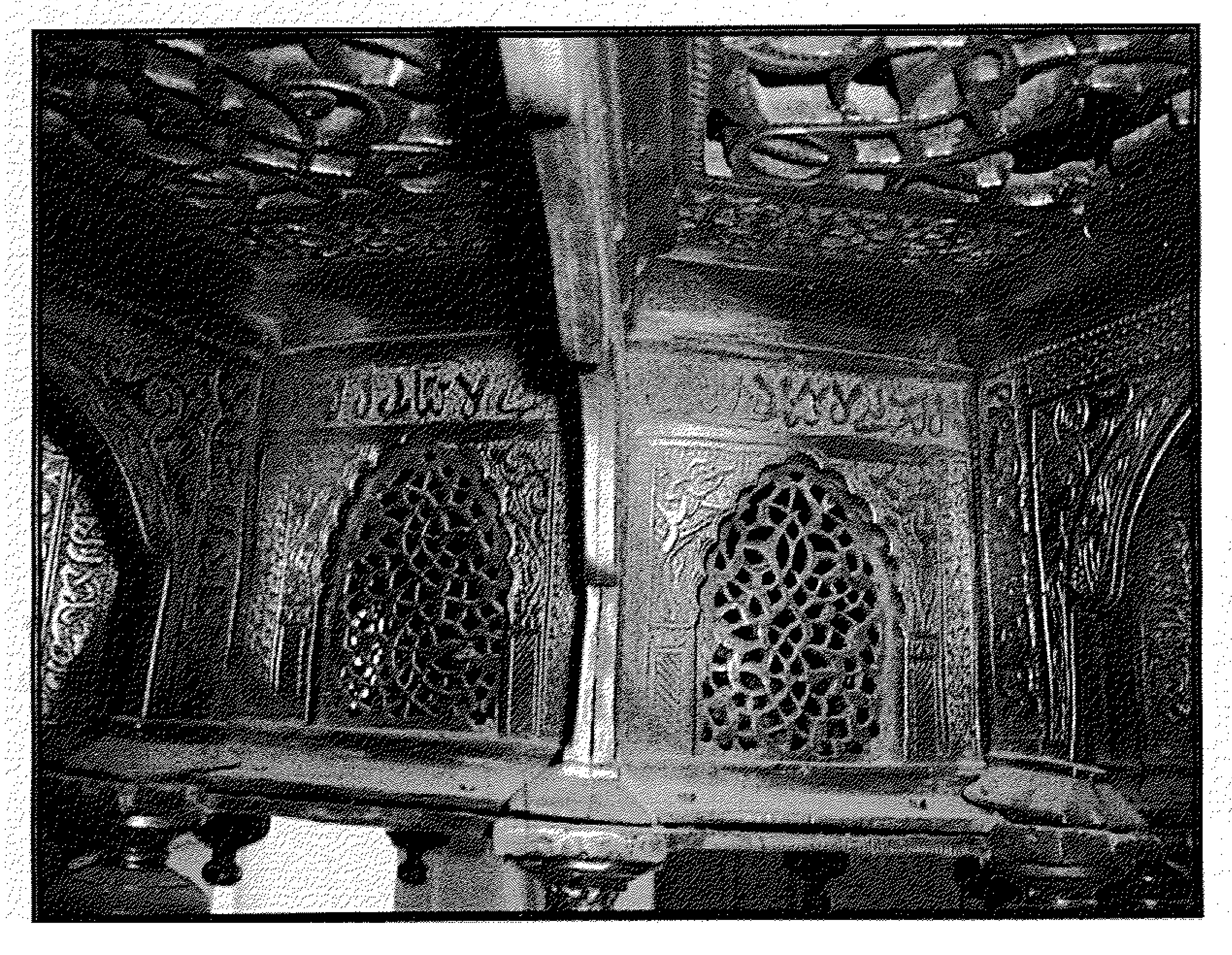
(لوحة ٨٥) تفاصيل صينية الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين «تصوير الباحث»



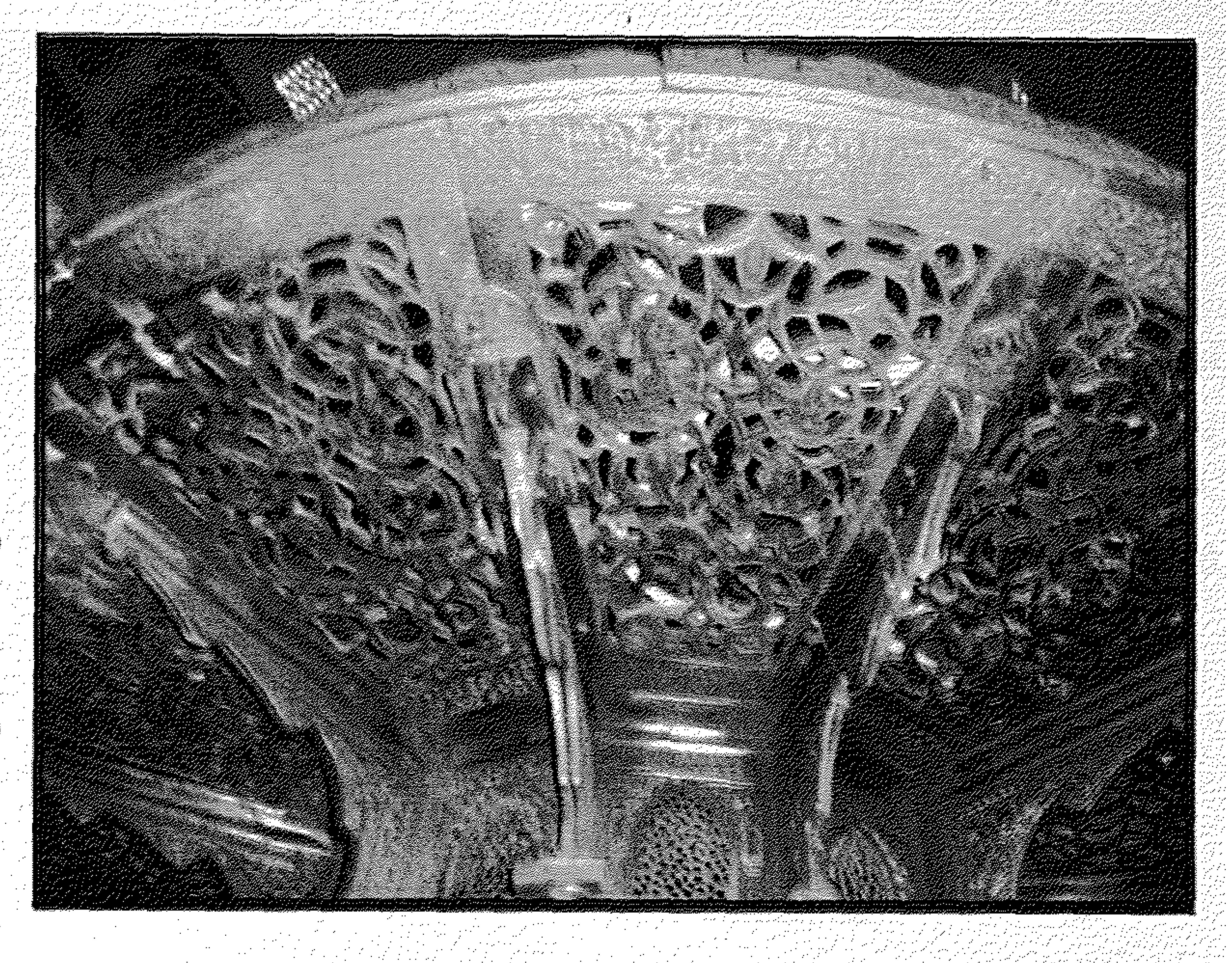
(لوحة ٨٦) تفاصيل صينية الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين «تصوير الباحث»



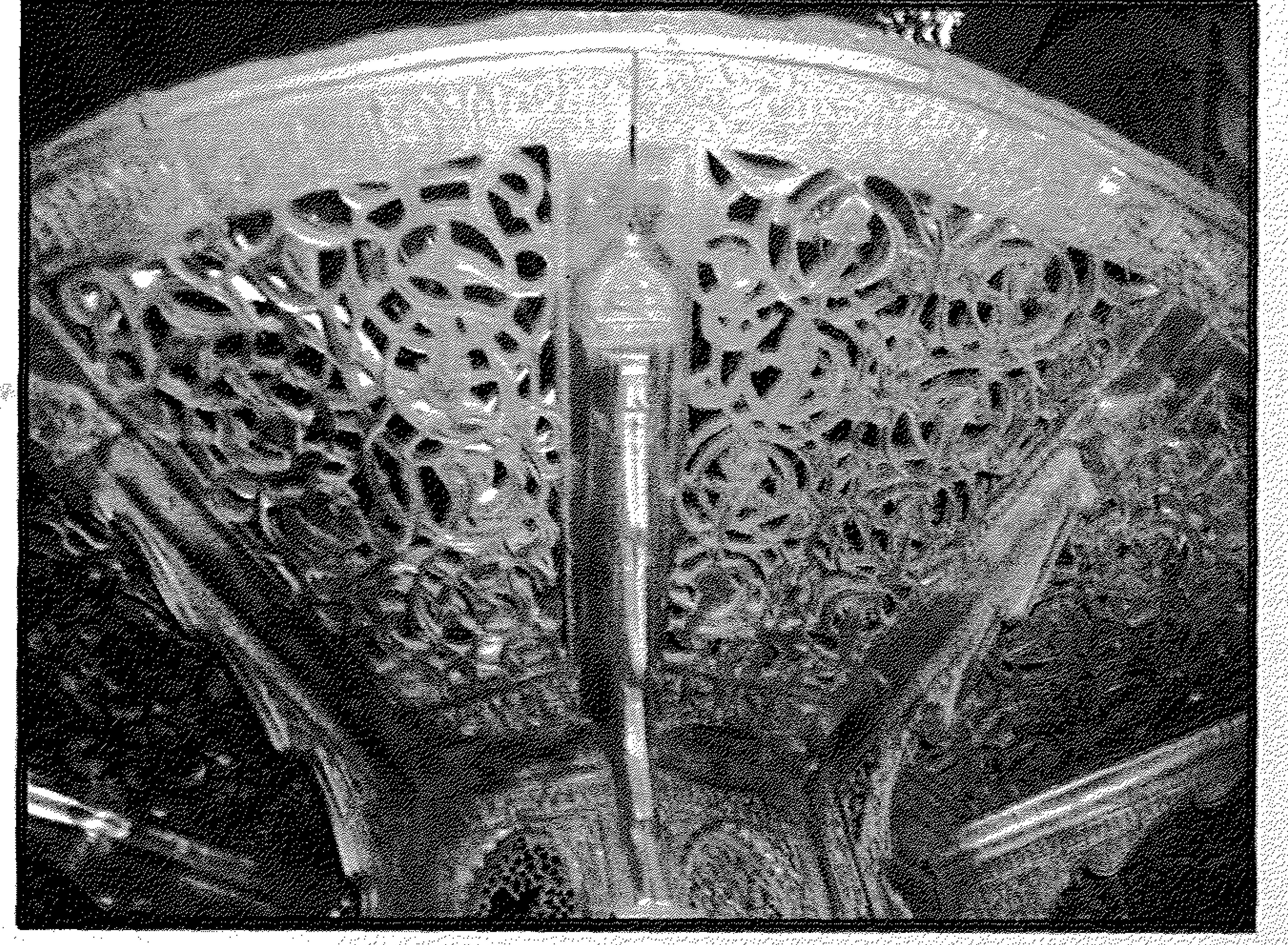
(لوحة ٨٧) تفاصيل صينية وكرسي الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين «تصوير الباحث»



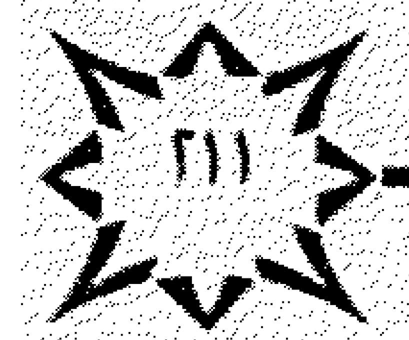
(لوحة ٨٨) تفاصيل كرسي الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين «تصوير الباحث»

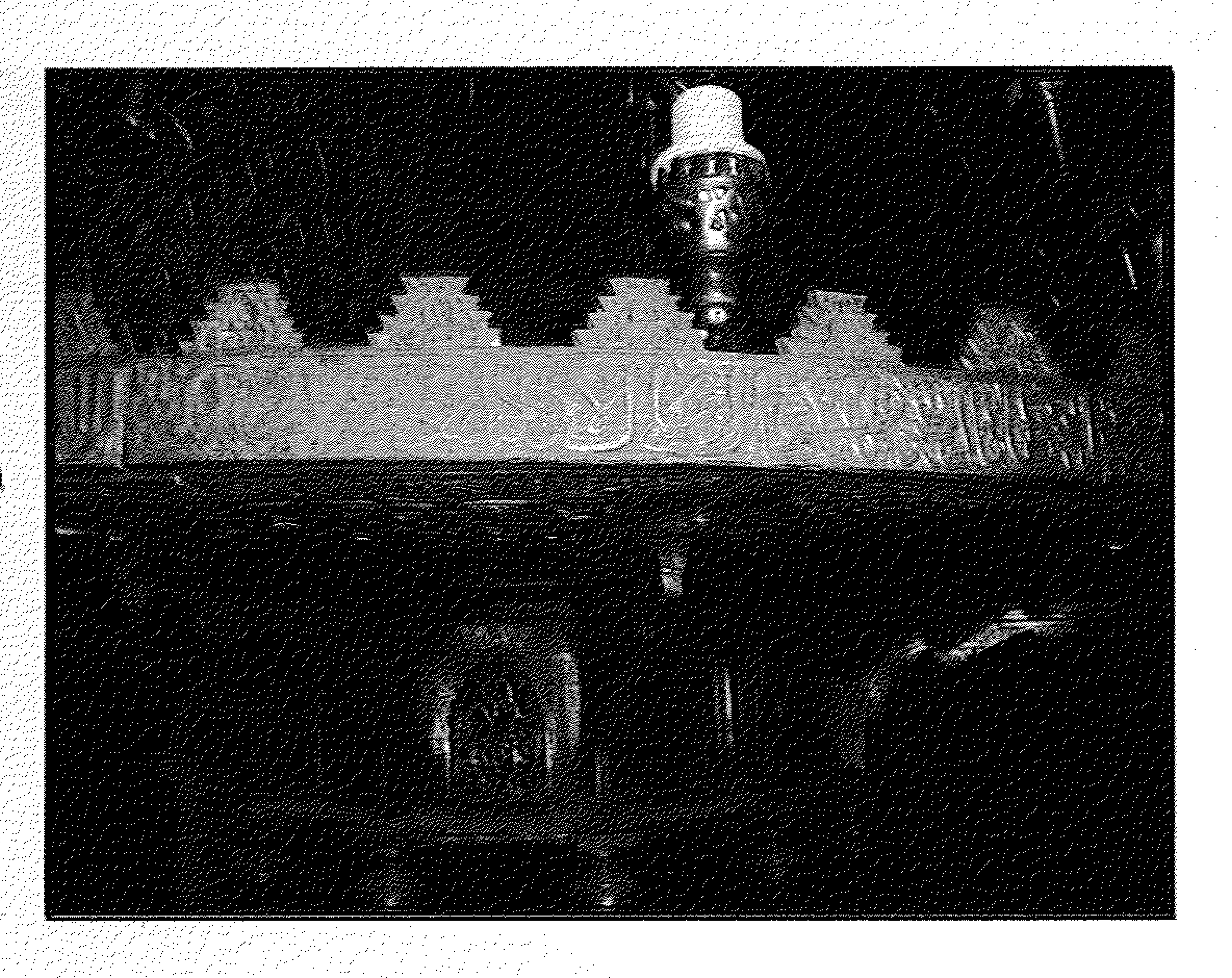


(لوحة ٨٩) تفاصيل زخارف صينية الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين «تصوير الباحث»

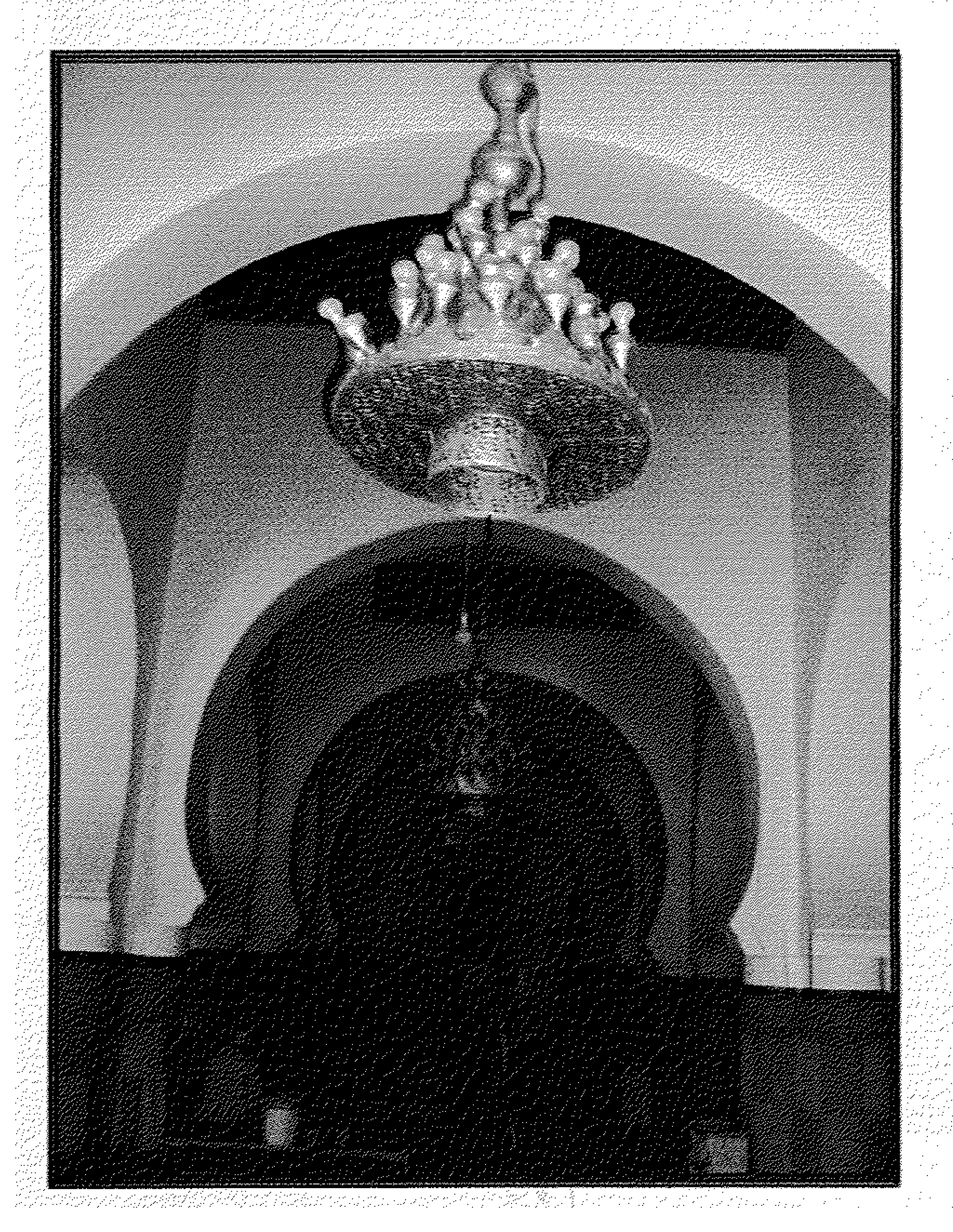


(لوحة ٩٠) تفاصيل زخارف الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين «تصوير الباحث»





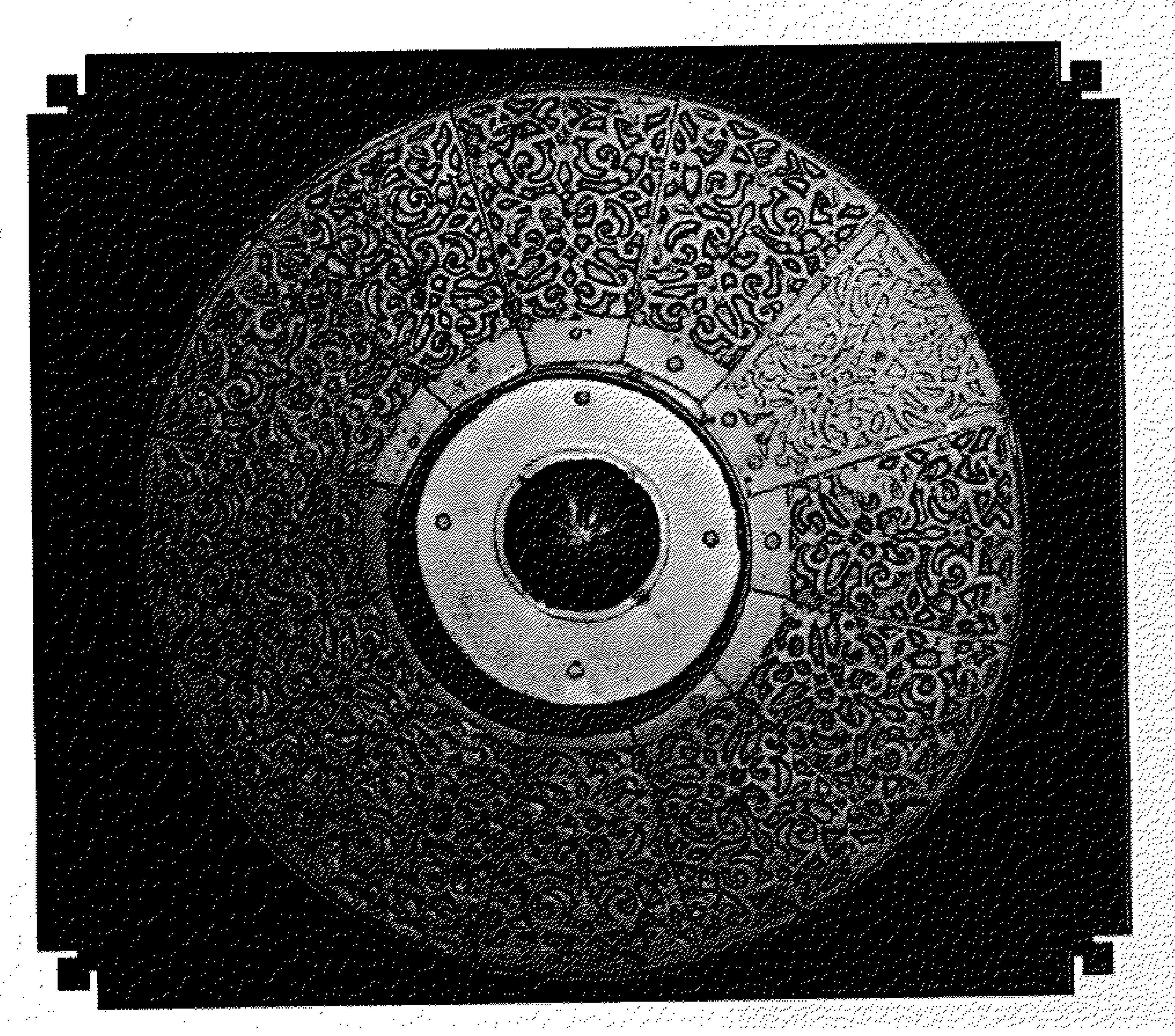
(لوحة ٩١) تفاصيل زخارف الثريا الناقوسية (الناقوس المريني الكبير) القبة الثامنة ببلاطة جامع القرويين «تصوير الباحث»



(لوحة ٩٢) الثريا الناقوسية بجامع الأندلسيين بفاس «تصوير الباحث»



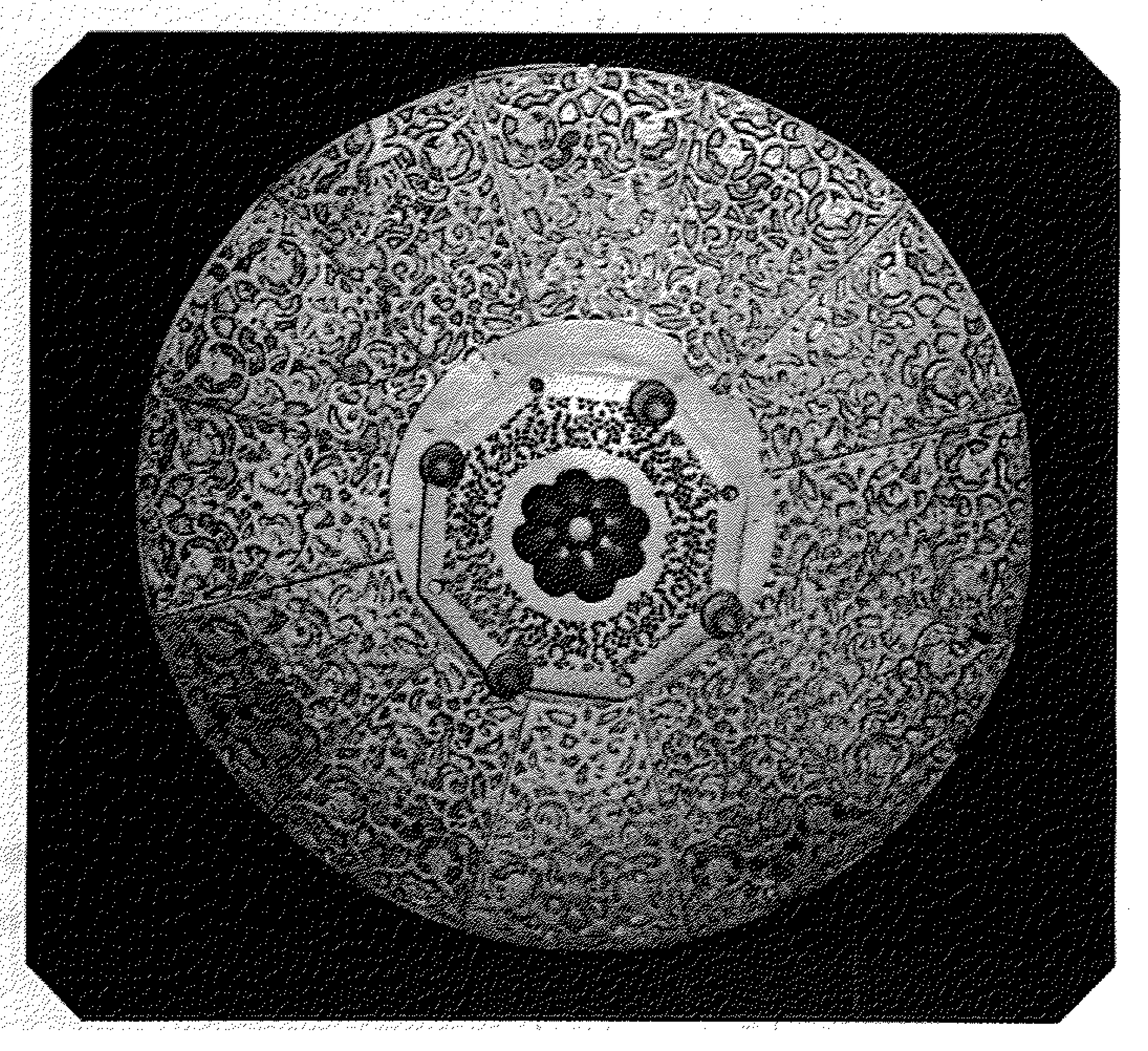
(لوحة ٩٣) الثريا الناقوسية المرينية بجامع الأندلسيين بفاس «تصوير الباحث»



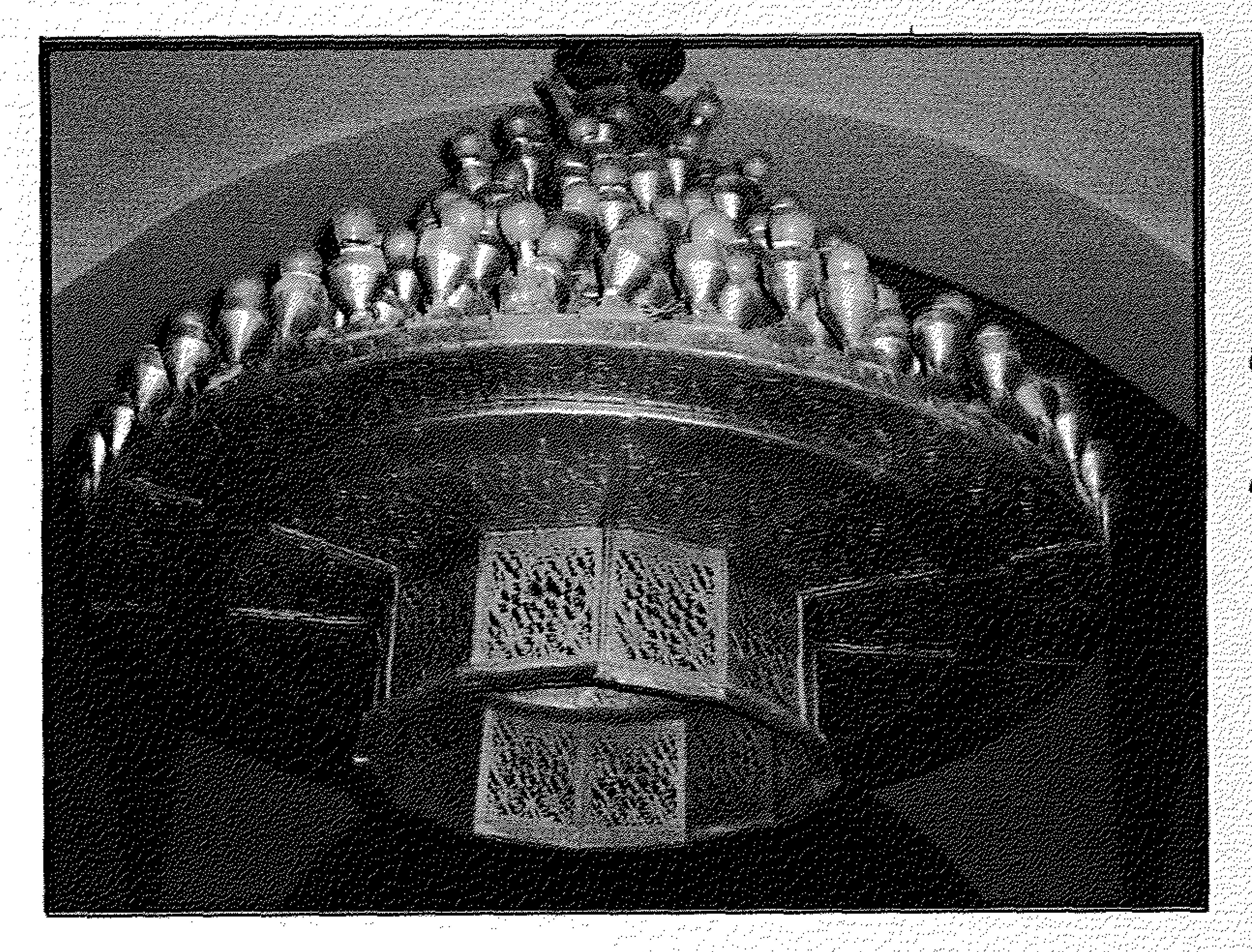
(لوحة ٩٤) تفاصيل زخارف صينية الثريا الناقوسية بجامع الأندلسيين بفاس «تصوير الباحث»



(لوحة ٩٥) الثريا الناقوسية المرينية بجامع الأندلسيين بفاس «تصوير الباحث»



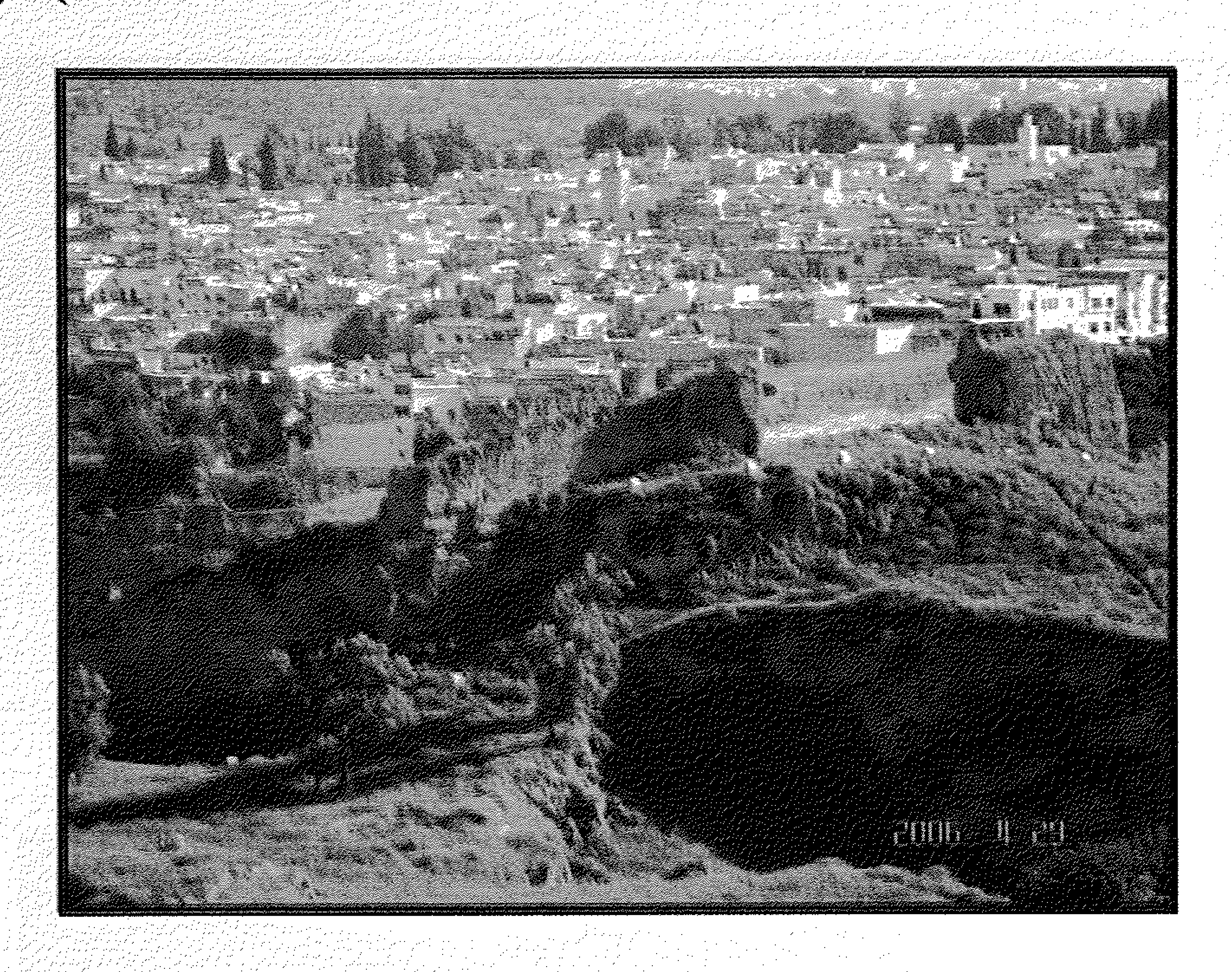
(لوحة ٩٦) تفاصيل زخارف صينية الثريا الناقوسية بجامع الأندلسيين بفاس «تصوير الباحث»



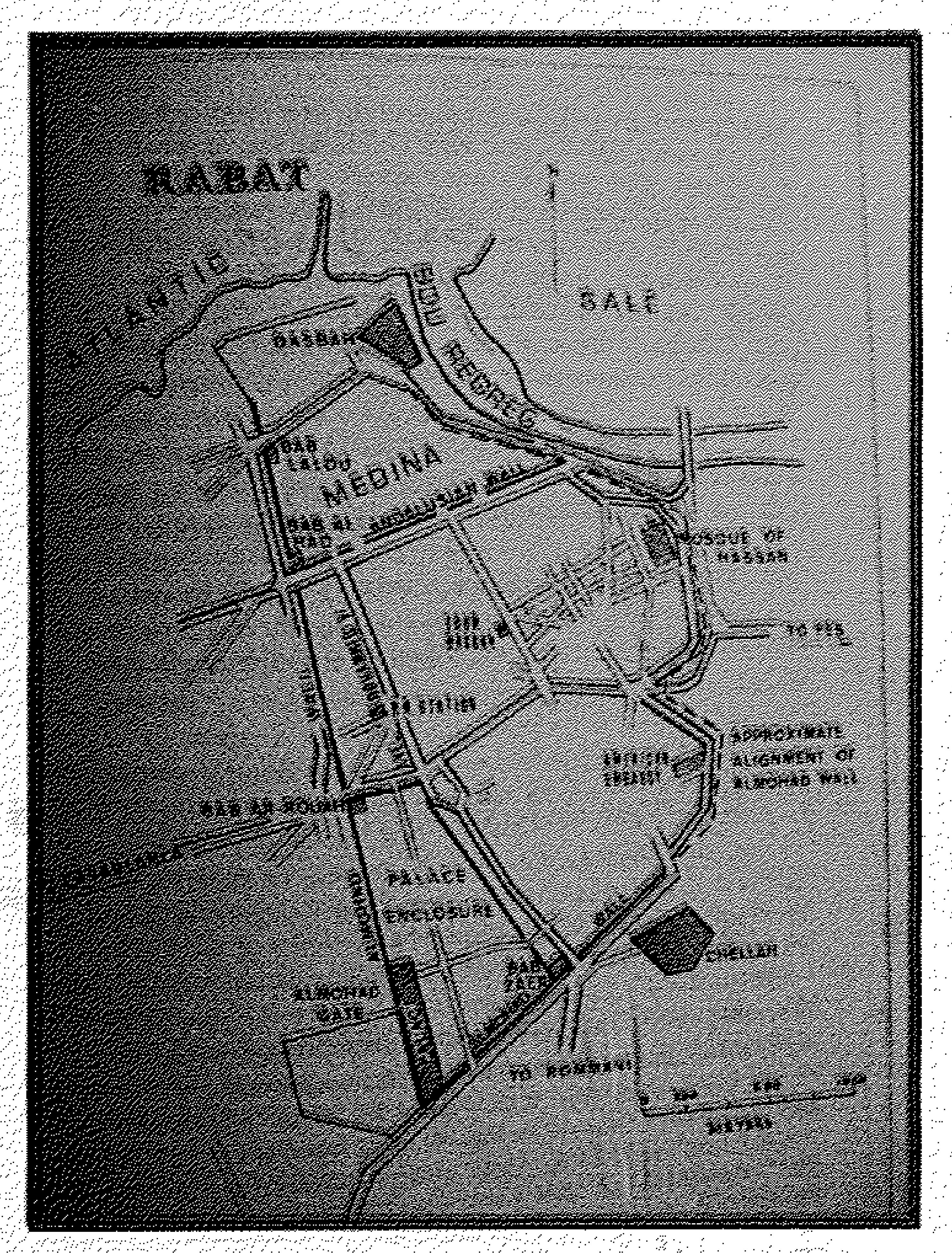
(لوحة ٩٧) ثريا تعود للقرن التاسع الهجري/ ١٥ م بجامع الأندلسيين بفاس «تصوير الباحث»



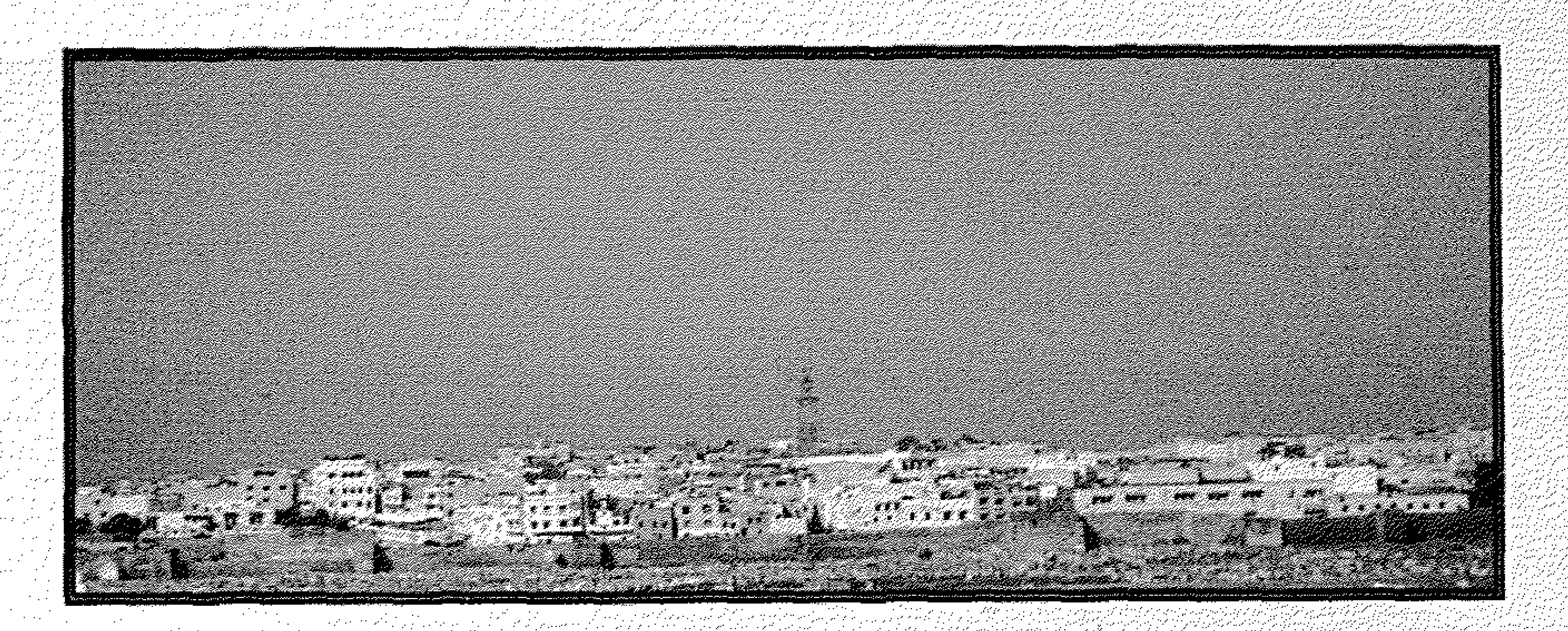
(لوحة ٩٨) تفاصيل صينية ثريا تعود للقرن التاسع الهجري/ ١٥ م بجامع الأندلسيين بفاس «تصوير الباحث»



(لوحة ٩٩) منظر عام لمدينة فاس (٢٠٠٦م) «تصوير الباحث»



(لوحة ١٠٠) تخطيط مدينة الرباط نقلاً عن :
Caillé J., La Ville de Rabat jusqu'au protectorat Français, vol. II, Vanoest, MICMXLIX, Fig. 187



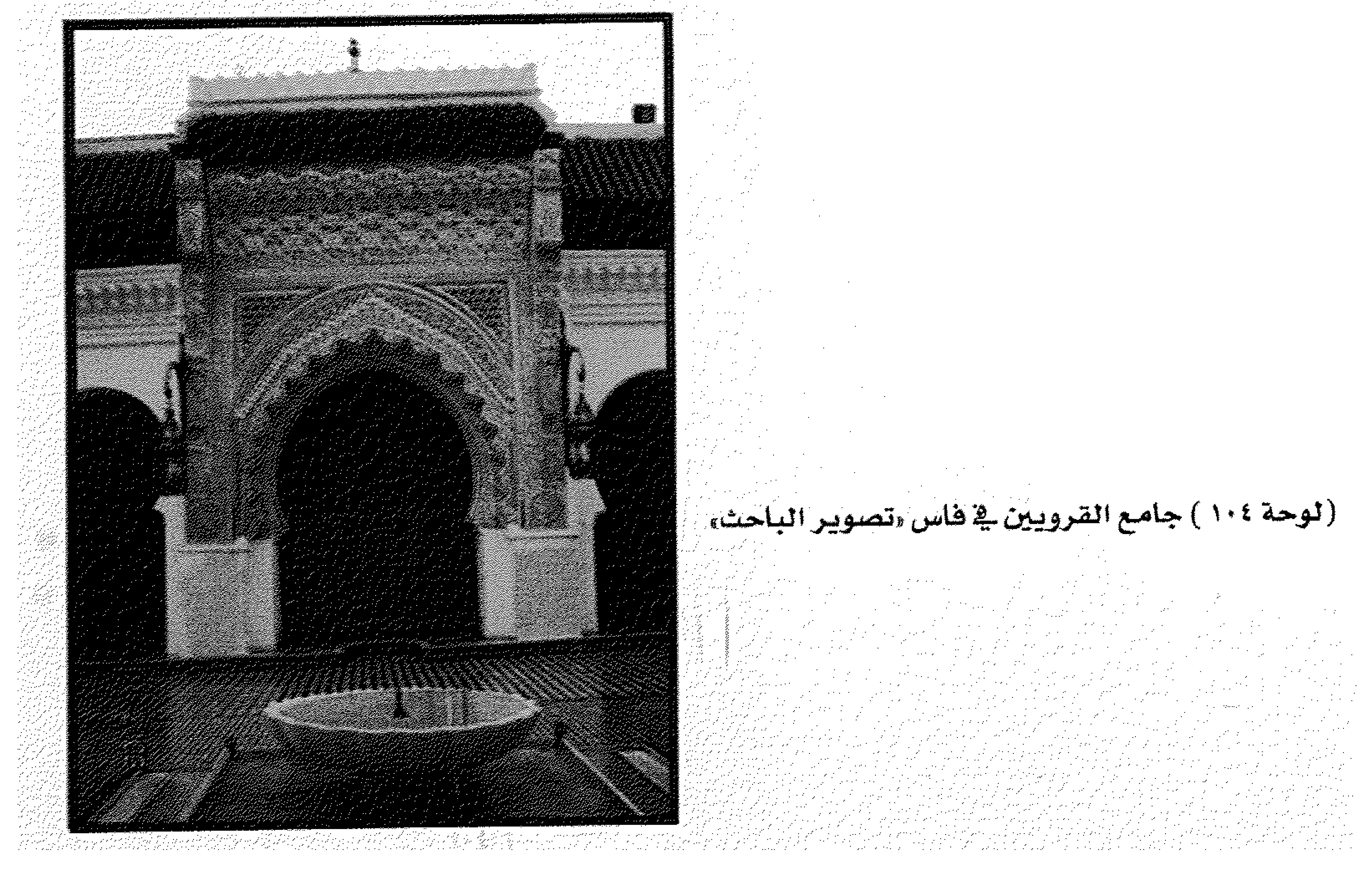
(لوحة ١٠١) منظر عام لمدينة سلا (٢٠٠٦م)



(لوحة ١٠٢) منظر عام لشالة «تصوير الباحث»



(لوحة ١٠٣) جامع القرويين في فاس «تصوير الباحث»

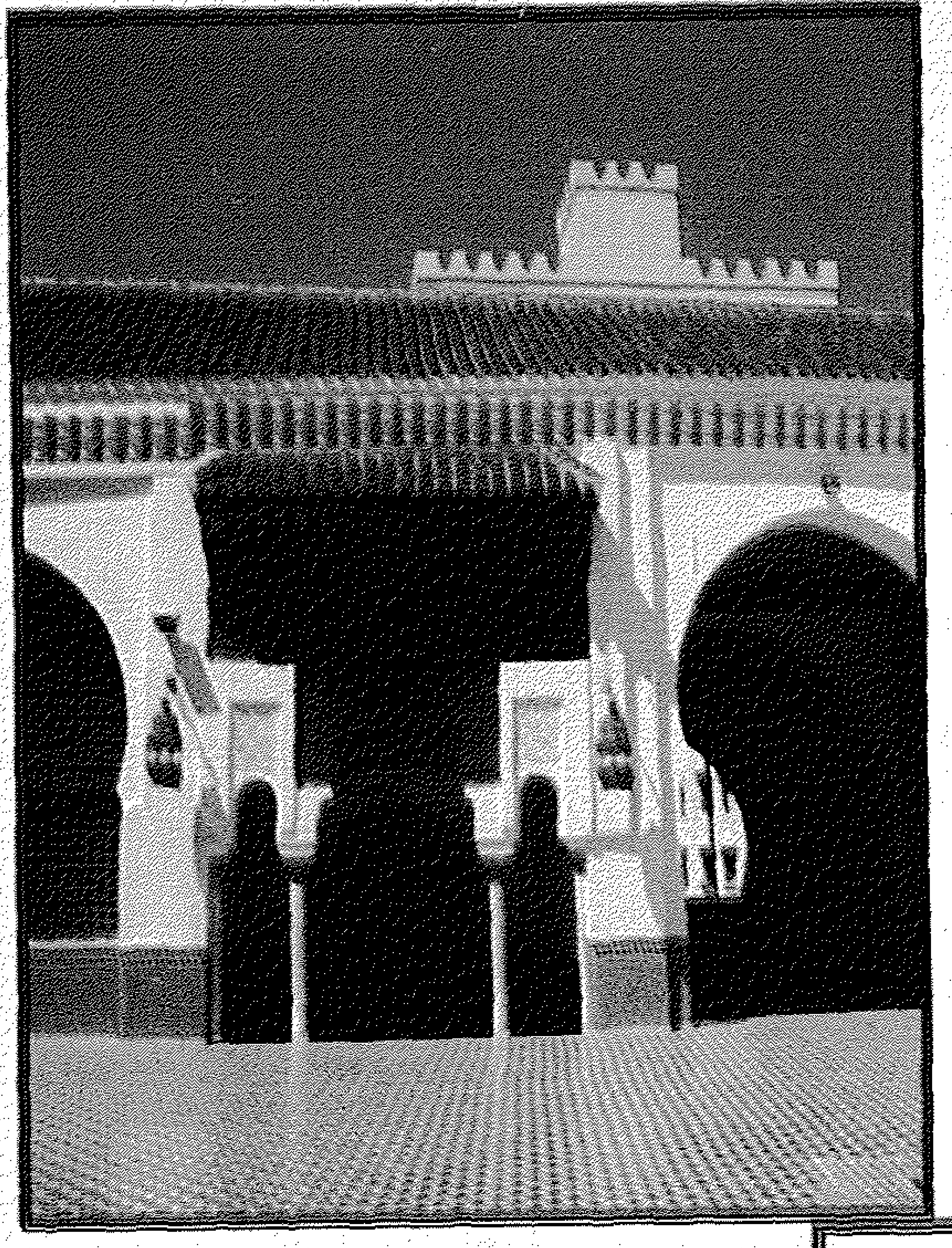


(لوحة ١٠٤) جامع القرويين في فاس «تصوير الباحث»



(لوحة ١٠٥) جامع القرويين في فاس «تصوير الباحث»

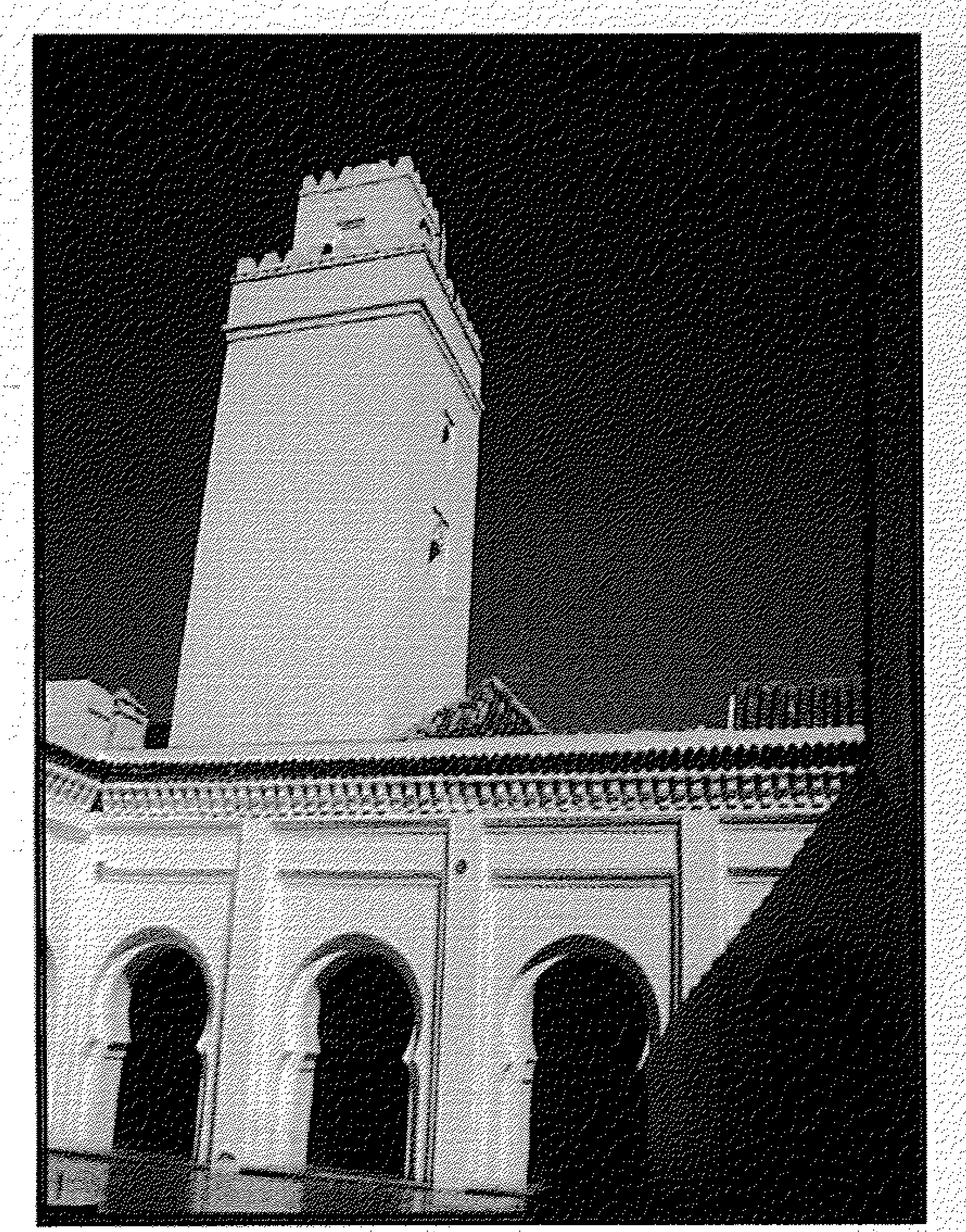
(لوحة ١٠٦) جامع الأندلسيين في فاس «تصوير الباحث»



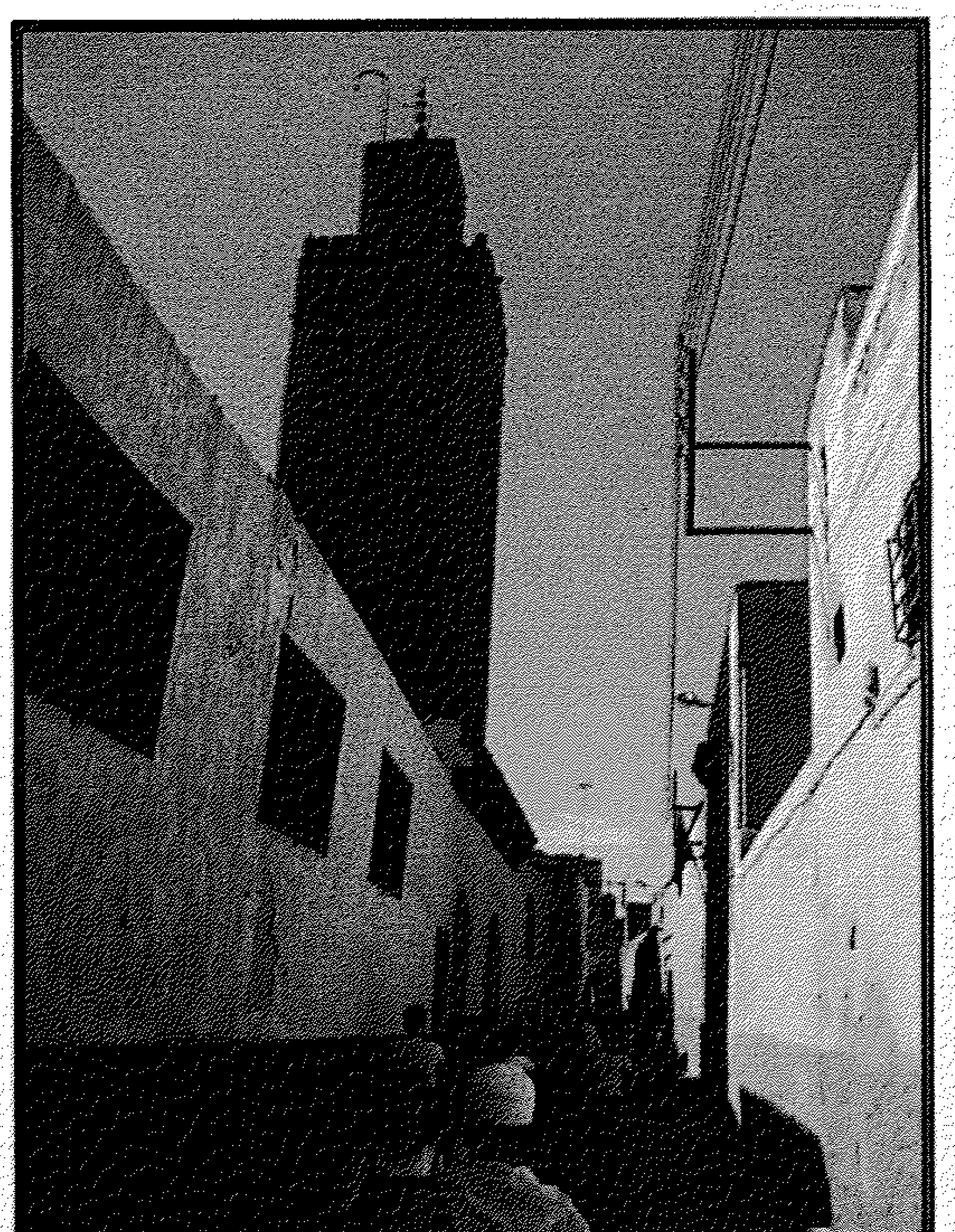
(لوحة ١٠٧) جامع الأندلسيين في فاس «تصوير الباحث»



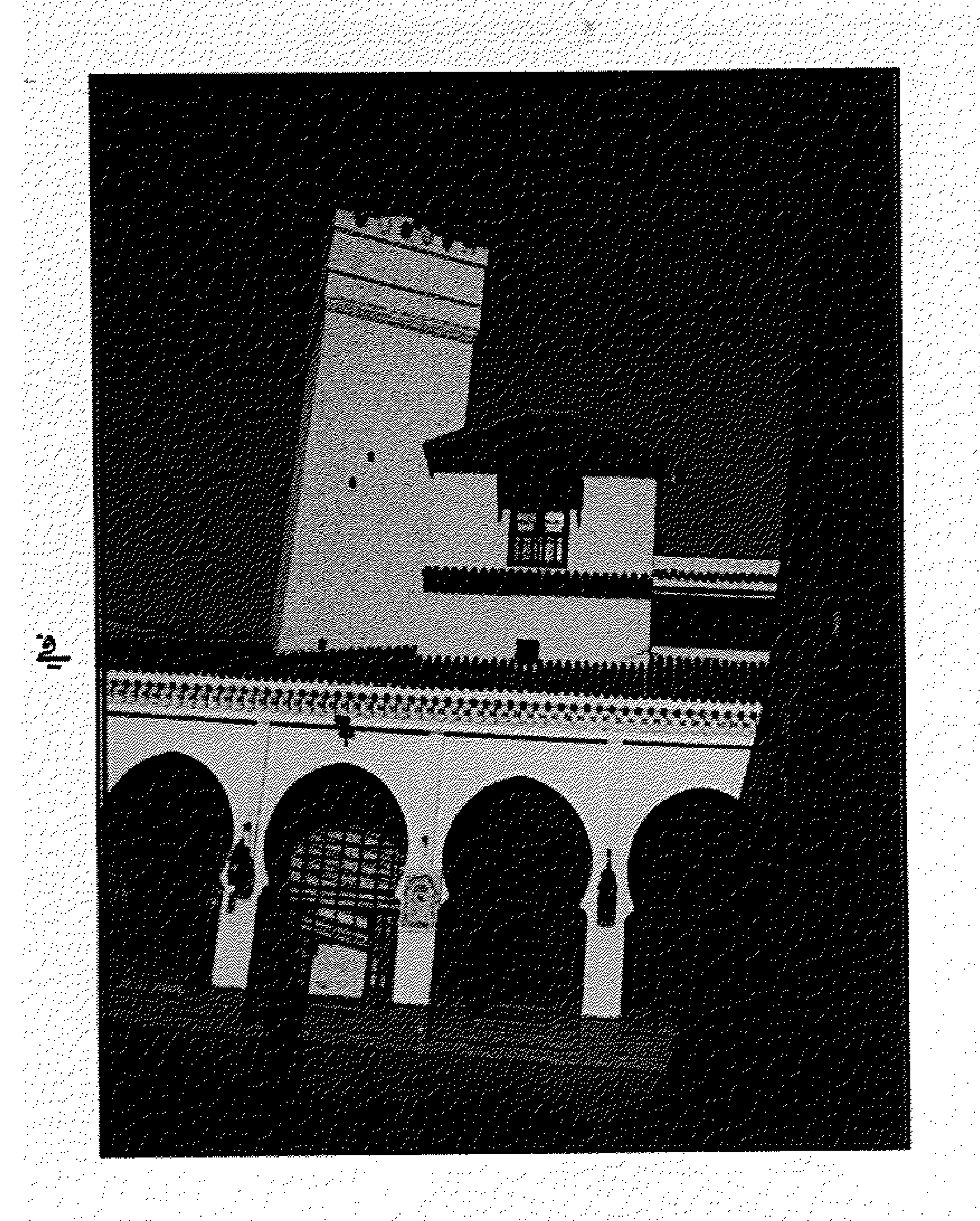
(لوحة ١٠٨) جامع الأندلسيين في فاس «تصوير الباحث»



(لوحة ١٠٩) الجامع الكبير في تازة «تصوير الباحث»



(لوحة ١١٠) الجامع الكبير في فاس الجديدة «تصوير الباحث»

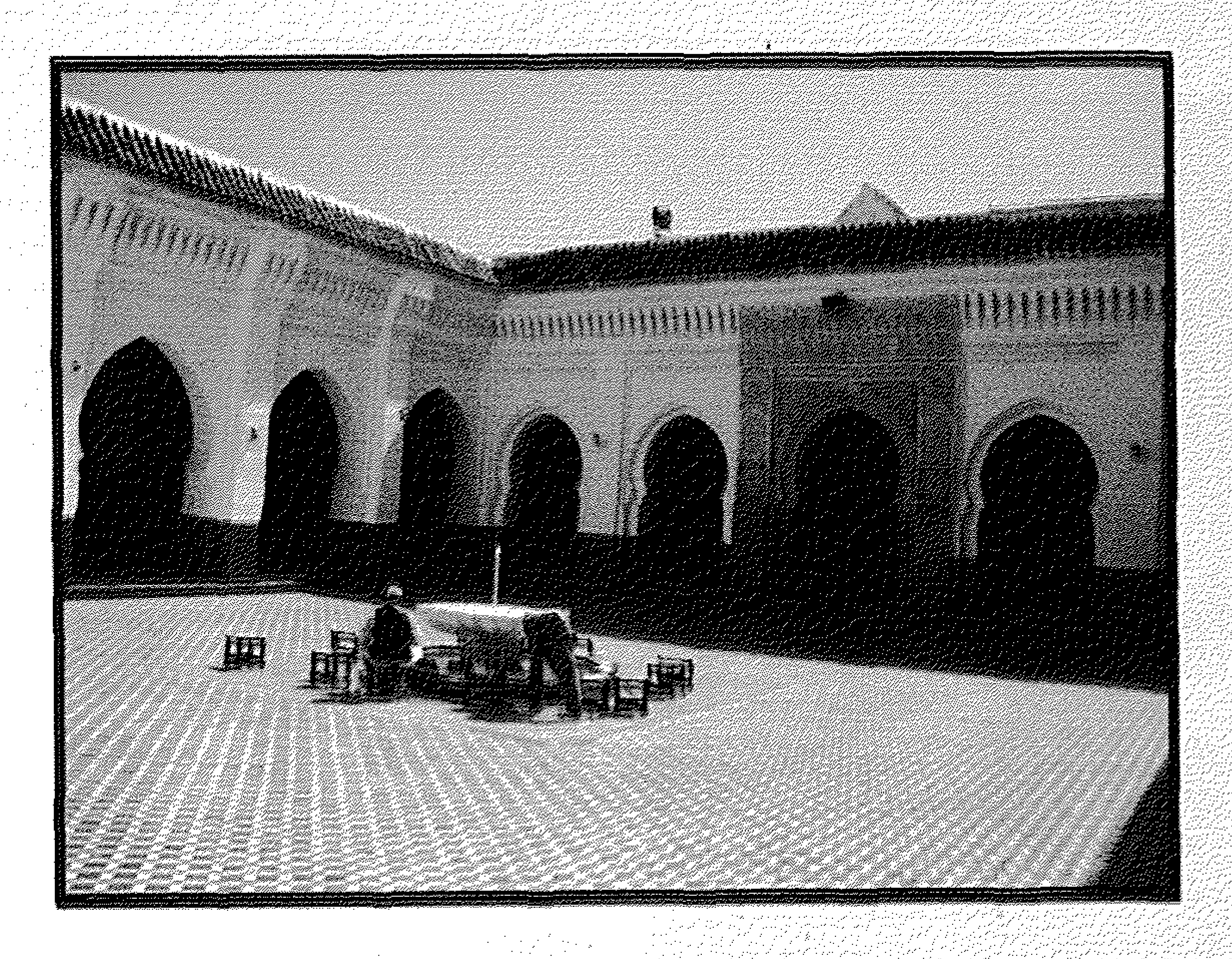


في

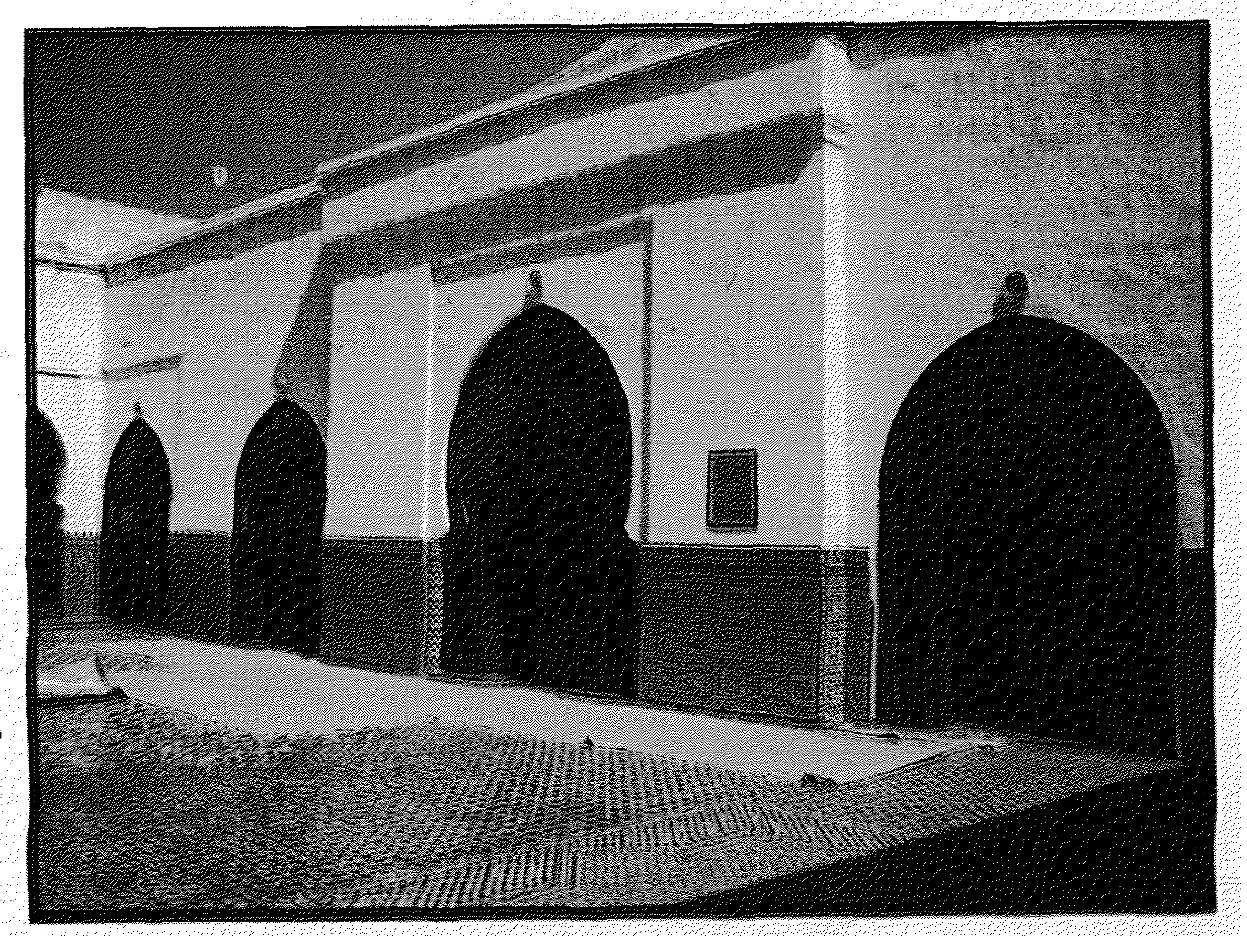
(لوحة ١١١) الجامع الكبير في فاس الجديدة «تصوير الباحث»



(لوحة ١١٢)
«تصوير الباحث»
الجامع الكبير في مكناس



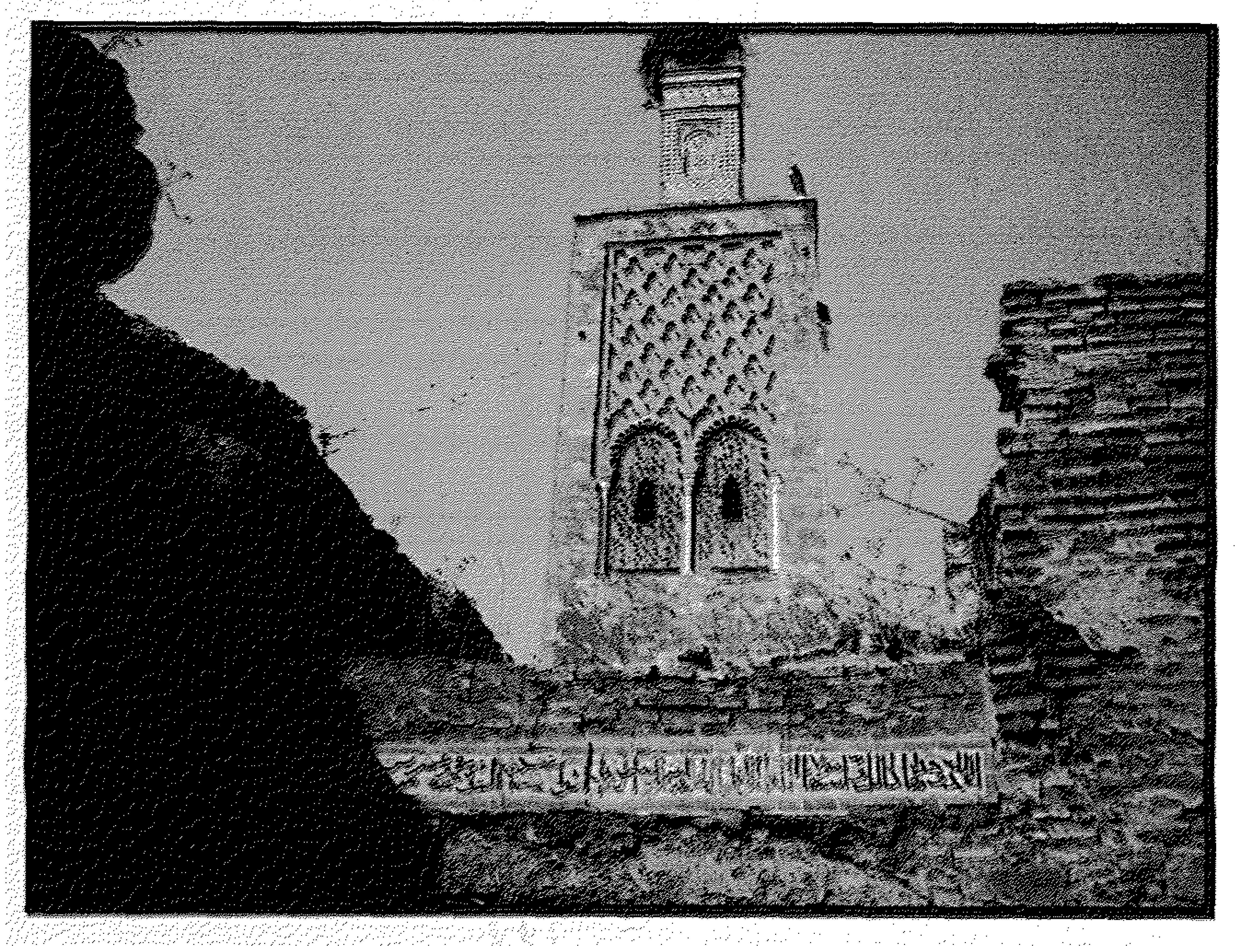
(لوحة ١١٣) الجامع الكبير في مكناس «تصوير الباحث»



(لوحة ١١٤) الجامع الكبير في مدينة الرباط «تصوير الباحث»



(لوحة ١١٥)
تفاصيل النصوص الكتابية المرينية بلوحة الحبوس في الجامع الكبير في مدينة الرباط «تصوير الباحث»



(لوحة ١١٦)
تفاصيل النصوص الكتابية المرينية في مدرسة شالة «تصوير الباحث»

الخط الفاسي أو القلم الرومي

الآحاد	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	1	2	3	4	5	6	7	8	9
العشرات	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	10	20	30	40	50	60	70	80	90
المئين	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	100	200	300	400	500	600	700	800	900
آحاد الألوف	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	1000	2...	3...	4...	5...	6...	7...	8...	9...
عشرات الألوف	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	10000	20...	30...	40...	50...	60...	70...	80...	90...
مئات الألوف	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	100...	200...	300...	400...	500...	600...	700...	800...	900...
الكسور	الخط الفاسي	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	القيمة العددية	١	2	3	4	5	6	7	8	9

أبجدية الخط الفاسي: نقلا عن عبد الهادي التازي، الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ، نشر المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة المعارف الجديدة، (١٩٨٣م)

هذا الكتاب

* يأتي المغرب الأقصى في مقدمة أقطار العالم الإسلامي التي ازدهرت فيها حضارة إسلامية متميزة انصهرت فيها الحضارات السابقة، وتفاعلت مع الحضارة العربية الإسلامية في المشرق، لتضفي تلك العناصر الممتزجة على الحضارة المغربية، طابعاً خاصاً، وفر لها مقومات الإبداع والازدهار طوال العصور الإسلامية، وهو ما يكشف عنه كتاب (روائع الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى)، الذي يقدمه الدكتور عبد العزيز صلاح سالم، للقارئ في إطار دراسة موثقة معتمدة على المصادر المغربية والعربية والأوروبية التي وفق في استقرائها والاستفادة منها، ومزودة بالصور الإيضاحية، وممهدة بمدخل عام يتناول المراحل السياسية والثقافية من تاريخ المغرب الأقصى في العصور الإسلامية المتعاقبة.

* إن القيمة العلمية للموضوعات التي يتناولها هذا الكتاب، تكمن في كشف العديد من الجوانب الأثرية والفنية المرتبطة بخصائص الفنون والآثار المغربية التي لا يزال يكتنفها نوع من الغموض، فعلى الرغم من أهمية الثريات المعدنية في إنارة العمائر الإسلامية، وقيمتها الفريدة بالنسبة لتأريخ الفنون الإسلامية في المغرب الأقصى، إلا أنها لم تلق العناية والاهتمام اللازمين من قبل الباحثين، الذين عزفوا عن دراستها، لما تتسم به مثل هذه الموضوعات من صعوبة في تتبع عناصرها الفنية، وذلك بسبب ندرة ما تبقى منها وتناثر أجزاؤها بين العمائر الإسلامية والمتاحف، بالإضافة إلى عمليات الترميم المتتالية التي ألحقت بهذه الأدوات الفنية ونقوشها المتنوعة، تغييرات جمة يصعب معها فحص تلك الأدوات ودراستها بمنهج أثري وبشكل فني.

